سلسلة الظاهر والباطن
(٣)

تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية



تأليف

محمود المراكبي

سلسلة الظاهر والباطن

(٣)

تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية

تأليف

محمود المراكبي

مقدمة

الحمد لله المتصف بجميع الكمالات، المنزه عن التصور والإدراك، سبحانه تفضل على خلقه ببيان الهداية، وأرسل إليهمّ من أنفسهم من يخاطبهم بلسانهم ويدلهم على سبيل الفلاح عند ربهم، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، محمد بن عبدالله، الرحمة المهداه، والنعمة المسداه، بعثه ربه بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا، وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ رسالته أكمل تبليغ، وبيّنها لقومه أشفى بيان، ولم يتركهم إلا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يضل الطريق إليها إلا خاسر، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله شهادة نلقى بها ربنا يوم القيامة ونحن بها مستمسكون، وعلى دربها سالكون، وبهديها متبعون، وبأوامرها عاملون، وبنواهيها وحدودها ملتزمون، وبأنوارها مقتدون، ولثوابها نائلون.

أما بعد، فليس كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، نال سعادة الدنيا والآخرة، فأُمة الإسلام انقسمت إلى فرق، وتفرقت إلى شعب وشيع، وبهذا أنبأ الصادق المصدوق، فالإسلام ليس كلمة تقال باللسان، ثم يناقضها أفعال الجوارح، ويكذبها مكنون الفؤاد، إن قائل شهادة التوحيد يعصم نفسه وماله، ويشهد الناس بإسلامه، ويحتمي بحمى الإسلام ويستظل بظله في المجتمع الذي يعيش فيه، أما عند مثول العبد بين يدي ربه للحساب، فلابد أن يقدم لإسلامه الظاهر حقيقة تؤكده، وباطن مستنير يوقد شجرة الإيمان في قلبه، وهل كان هواه تبعا لما جاء به الصادق الأمين ﷺ أم أنه سلك سلوك الذئاب في مسوح الحملان، ولا يخفى يومئذ على من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، حقيقة العبد وصدق سلوكه لمولاه، وحسابه عندئذ عند ربه، إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له.

إن المتتبع لسلسلة الظاهر والباطن يرى أن تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، والشريعة إلى مستويات يناقض بعضها بعضا، قد أضر بأتباع هذه الأفكار، بل أنها دفعت البعض منهم إلى تجاوز الحدود، والمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وقد ناقشنا أساس هذه القضية في كتابنا الأول، وأوضحنا أن المقصود من لقاء موسى والخضر شيئ يختلف اختلافا جوهريا عما ذهب إليه الباطنيون، فالخضر نبي كريم، أشار إلى ذلك الكتاب والسنة، سواء تلميحا أو تصريحا، كما أن حياته لا تتميز عن حياة الناس، وأنه قد توفي في عمر قرناءه من البشر، ولا صحة لما يقال حول تعميره إلى اليوم، كما فسرنا مرائي تلقي بعض الصوفية والباطنية في اليقظة عن الخضر عليه السلام.

كما تتبعنا في الكتاب الثاني تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، ونظريات تقسيم الدين إلى

شريعة وطريقة وحقيقة، وقارنا بين تقسيم الوحي للإسلام وبين تقسيم أهل البواطن والأسرار. وقد تطرقنا آنذاك إلى أنواع العلم الباطن من وجهة نظر الباطنية، وناقشنا أدلتهم بعد أن سردنا تقسيماتهم، وأمثلة من أفكارهم حول تقسيم العلم والدين، وبذلك نستكمل التمهيد لموضوع كتابنا اليوم الذي تدور حول إجابة تساؤل هام يشغل الفكر والبال، وهو:

كيف تسربت فكرة الظاهر والباطن إلى الشرائع السماوية؟

ومتى ظهرت هذه الأفكار؟

هل نشأت أفكار الباطنية على يدي بعض المسلمين هواة غرائب الأمور؟

أم لها جذور قبل الإسلام؟

وللإجابة على هذه التساؤلات الهامة، سنتتبع - بإذن الله تعالى - أشهر الفرق الباطنية، ومعتقداتها بعد معرفة ظروف نشأة أفكارها، ومَن كان وراء إشعال فتيل الباطنية في المجتمع الإسلامي؟

إن هذا الكتاب الذي بين يديك الآن يعد واسطة هذه السلسلة من الكتب، فهو يهدف إلى توضيح أسس الفكر الباطني، ويتتبع جزئياته منذ البداية، وكيف نَمَت وتسربت الأفكار المنحرفة في حقول الضلال، وكيف أن الإنحراف وإن تعددت مسمياته، وتغيرت أساليبه، ليس له إلا حقيقة واحدة، والفاعل فيها واحد، فهي جريمة واحدة تتكرر على أيدى أناس تختلف أسماؤهم وألوانهم، وتتفق قلوبهم وتتوحد نياتهم في صعيد واحد، وهي شق عصا الجماعة وإحداث الفُرقة في الأمة الوسط التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وسنفرد الصوفية بكتابنا الرابع الذي اخترنا له اسم: "عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة"، نبحث فيه حقيقة عقائد القوم فى ميزان كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ونُلقي فيه الضوء - بإذن الله تعالى - على روافد الفكر الصوفي ومنابعه الأصلية التى نَهَل منها، وسيجد القارئ الكريم أن الترابط بين أفكار هؤلاء وهؤلاء أَظهر من أن ينكرها جاحد أو مجادل. والله نسأل أن يوفقنا إلى خدمة ديننا، وكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أصحابه الأطهار وآل بيته الأبرار وعلينا معهم برحمتك يا كريم يا حليم يا ستار، يا واسع الإحسان يا ذا الجلال والإكرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

نشأة
علم الباطن

١- علم الباطن قبل التوراة
٢- علم الباطن عند اليهود

الفصل الأول

علم الباطن
قبل التوراة

١- العلم ظاهر وباطن

٢- نظرية الإنسان الأول

٣- وحدة الوجود

الفصل الأول: علم الباطن قبل التوراة

أولا: العلم ظاهر وباطن

ترجع نشأة القول بتقسيم العلم إلى ظاهر وباطن إلى قرون عديدة قبل الإسلام، فالثابت تاريخيا أن كهنة المعابد وسدنة الهياكل يزعمون رقي علومهم عن علوم الناس، وأن علوم العامة غايتها معرفة الألفاظ ودلالتها الظاهرة، أما علومهم فهي الأسرار وإدراك الحقائق الخفية المرادة من النصوص التي يتعبدون بها، ولم يكن هذا الزعم محصورا في أمة بعينها، وإنما ساد الدنيا من أدناها إلى أقصاها، ولعل هذا يفسر لنا سبب اختلاف العلماء والمؤرخين في تحديد أول ظهور لهذه الأفكار: فيقول الخطيب البغدادي: "الواقع أن مؤرخي الفرق مختلفون في أصلها ومصدرها، فمنهم من يرجعها إلى المجوس"،[1] "ومنهم من ينسبها إلى الصابئة بحران"،[2] والسرية في العقائد وعدم إظهارها أمام العامة، كانت معروفة أيضا في الهندوسية، فكتاب "الأوبانيشاد" المقدس عندهم، "اعتبرت مواده من القدسية بحيث لا يجوز ترديدها بحضور الطبقات الدنيا، باعتبارها أسرارا خاصة لا يمكن أن تباح أمام هؤلاء".[3]

بينما يذهب أكثر العلماء إلى أن الفلسفة اليونانية هي الأصل الأول، ومنهم الدكتور محمد أحمد الخطيب حيث يقول: "إلا أن هذا الاختلاف سرعان ما يزول عندما نعرف أن الأصول التي تعتمد عليها الباطنية بكل فرقها وطوائفها نابعة من الفلسفة اليونانية التي غذت بأفكارها الكثير من هذه الفرق"،[4] ويؤكد هذا الرأي د. صابر طعيمة بقوله: "إن القول بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ولكل نص روحا هو المقصود والمراد منه، بدأ منذ بزوغ فجر الثقافة اليونانية، وانتشار الفلسفات القديمة، فمنذ صاغ هوميروس شعره، أخذ الأدباء اليونانيون في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله، ومنهم زيتون الرواقي الذي انتهج الأسلوب الباطني في تأويل النصوص الأدبية".[5]

وقد يكون للفلسفة اليونانية أثر كبير في نشأة علم الباطن فيما يخص الإلهيات، وربما كان

---

١ الفرق بين الفرق للخطيب البغدادي ٢٨٤

٢ خطط الشام – محمد كرد علي ٢٥١:٦

٣ حكمة الأديان الحية جوزيف كاير ١١٢، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الأسلامي د. الخطيب ٤٧

٤ الحركات الباطنية في الإسلام د. محمد أحمد الخطيب ٢٠

٥ دراسات في الفرق د. صابر طعيمة

ذلك محصورا بين أهل الفكر والفلسفة والخاصة من المثقفين، إلا أني أرى أن هذا الفكر ظهر في غير الإلهيات وعلى مستوى عامة الناس، متزامنا مع كل مجتمع إنساني ترك رسالات الله إلى أنبيائه وسار وراء الكهان والرهبان وسدنة المعابد والأصنام.

فالقول بعلم ظاهر للعوام وعلم باطن لا يدركه إلا الصفوة هو من وضع البشر لينالوا به المنزلة والحظوة بين الناس، وليتوجوا أنفسهم بهالات التقديس والنيابة عن الله في مخاطبة العوام، ولا تخلو حضارة من الحضارات القديمة في مصر الفرعونية وفارس والهند من وجود حزب للمنتفعين من ترويج هذه الأفكار، فالمنجم والكاهن يحتل مكان الصدارة في القبائل البدائية وسطوته غالبة على أهل القبيلة، وما سادهم إلا بزعمه امتلاك ناصية البواطن والأسرار التي لا تُدْرَك إلا باتباعه.

ثانيا: نظرية الإنسان الأول

"يحاول الإنسان منذ فجر التاريخ أن يعرف علاقته بالخالق والمخلوق، وقد تكون في القرن الخامس قبل الميلاد وبالتحديد في الديانة الإيرانية القديمة، تفسير شامل للعالم قائم على أساس مبدأ التناظر بين الكون الأكبر والكون الأصغر أي المبدأ القائل بأن العالم إنسان كبير، وبأن الإنسان عالم صغير، كما ظهر تعبير الإنسان الأول بوصفه الإنسانية ومعناها الباطن أنه رسول الله المدافع عن الله ضد القوى الشريرة، ومن هنا نشاهد الإنسان الأول كائنا ذا طبيعة إلهية، وهو يمثل بوصفه نموذجا أول للإنسانية - مجموع النفوس - لكنه يظل مع ذلك متميزا من الألوهية العليا، فهو ليس خالدا وليس واحدا من القديسين، إلا أنه يناظر ويقابل العالم الكبير".[1] وتظهر أيضا في الديانات الإيرانية القديمة فكرة الإنسان الأول الذي يسمى في الديانة الأبستاقية "جيامريتن" أي الحياة الفانية، أو في صورة أبسط "جيا" بمعنى الحياة، كما ورد اسم الإنسان الأول أيضا - في أحد الكتب الفارسية المقدسة وهو "الجاتا الثالثة" - على أن له وظيفة كونية فحسب، فهو النموذج الأول للإنسانية وأصلها، ويخلقه الله على هيئة صورة نورانية شابة، ويعتقد أصحاب هذه الديانة أن الزوج الأول من بني الإنسان ينشأ من جثة الإنسان الأول بعد موته في معركة يقودها الإنسان الأول ضد قوى الشر.

---

١ عبد الكريم الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي أطروحة دكتوراه لنجاح الغنيمي ص ٩٥٨ ، نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعري تأليف هانز هينرش شيدر نقلا عن الإنسان الكامل في الإسلام د. عبدالرحمن بدوي ٢٥

وقد بدأت فكرة التقابل بين أجزاء "العالم الأكبر" وأعضاء "العالم الأصغر" في الفلسفة الإغريقية، وأن الله بدأ الخلق بخلق "صفة الكمال" وهي المعبر عنها "بالعالم الكبير"، قبل تابعه وهو "العالم الصغير" المعبر عنه بالإنسان.

ويقرر ذلك هرميس في كتابه استوطاس حيث يقول: "إن الله بدأ بخلق "العالم الكبير" قبل "العالم الصغير"، وأثبت أسرار "العالم الكبير" في "العالم الصغير"، في أعلاه وأسفله، وجعل ذلك في روحانية وجسمانية، فليس في "العالم الكبير" شيء من خلق الأرواح الروحانية، والأجسام الفاعلة، والجماد، والجوهر، والنامي، العرض إلا وقد اجتمع ذلك كله في تراكيب "العالم الصغير"، شبيها "بالعالم الكبير"."[1]

ثم يجري هرمس مضاهاة كاملة بين العالم (الكون الأكبر) والإنسان (الكون الأصغر)، وهذه المقابلات بتفصيلاتها تطابق تماما ما ورد في أحد الكتب المقدسة للمزدكيين وهو كتاب البوندهيش الكبير، والتي تناولت الإنسان باعتباره ممثلا للعالم.

وتتلخص أفكار هرميس في النقاط التالية:

١- أن الله خلق أولا صفة الكمال وهي العالم الكبير.

٢- ثم خلق العالم الصغير وهو الإنسان.

٣- أن هناك تقابلا كاملا بينهما.

٤- أن أسرار العالم الكبير قد انطوت في الإنسان.

"ولا يقتصر فهم هرميس والمنجمين الإغريق على هذه النواحي العضوية، بل إنهم يتعدونها إلى مقابلة الأفلاك بالصفات الإنسانية، فهم يعتبرون أن الإنسان الإلهي يمتلك سبع صفات كل واحدة منها تقابل فلكا من الأفلاك السبعة، فيقابل الشمس الروح الطيبة الخيرة، ويقابل القمر الحظ الطيب، والمشترى يقابل النصر، ويقابل عطارد الضرورة، ويقابل الزهرة

---

١ نقلا عن رسالة دكتوراه للدكتور نجاح الغنيمي ص ٩٤٦، ويقول عنه، ولدينا نصا غاية في الأهمية، وهو كتاب استوطاس لهرميس، نقل إلى العربية في عصور الترجمة القديمة، وله نسخة خطية بمكتبة باريس الأهلية برقم ٢٥٧٧، ويرى بلوشية أن هذه الترجمة العربية ترجع لنص منحول لأرسطو، ومع ذلك فإن هذا لا ينفي أن نظرية العالم الأصغر والعالم الأكبر التي يعرض لها الكتاب تبدو بوضوح أنها ترجمت عن أصل إغريقي، وهذا واضح من الألفاظ اليونانية التي ترد في النص العربي بصورتها اليونانية مثل كلمة الاسطقسات وغيرها مما يضيق المجال عن ذكره.

الحب، ويقابل المريخ الجرأة، ويقابل زحل العدل".[1]

كما أثر ما يسمى بالتيار الفارسي المختلط في بلورة فكرة الإنسان الأول، وهذا ما يمثله تيار المدرسة المانوية عموما، والذي يعتبر امتدادا للتيار السابق، ومن ثم فهو مطابق ومكمل له في نواحي عديدة من ناحية، ومضيفا أشياء جديدة له من ناحية أخرى، والفارق الوحيد بين التيارين هو أن الإنسان الأول عند ماني كان عليه أن يتخذ طابع المُخَلص الغنوصي.

ثالثا: وحدة الوجود

وضع الفلاسفة القدماء أساس فكرة وحدة الوجود، والتي تقرر أن وجود الخالق والمخلوق وجود واحد، ولا ترى أن الخالق أوجد الوجود وخلقه من عدم، ووهبه نوعا من الوجود المناسب له كمخلوق، وإنما ترى هذه الفكرة أن الكائنات إنما هي مظاهر لحقيقة وجودية واحدة، هي في جوهرها الإله، ونشاهد مظاهرها فنظنها مخلوق.

وتقرر "الفيدا" "وقوانين مانو" وهي من أسفار البراهمة نشأة نظرية وحدة الوجود فتقول: "أن الله واحد لا شريك له، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان، فالموجود بحق هو الله وحده، وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه، ... وغالوا في توحيد الله وبالغوا فيه حتى انتهوا إلى وحدة الوجود التي تسربت فيما بعد إلى التصوف عموما، ويقول براهما: "إنني أنا نور الشمس وضوء القمر، وبريق اللهب ووميض البرق، وصوت الرياح، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء، والأصل الأزلي لجميع الكائنات، وحياة كل موجود، إنني صلاح الصالح، أنا الأول والآخر، أنا الحياة والموت لكل كائن، إنني أنا الله لا إله غيري، رب الأرباب، مالك السموات والأرض، الله واحد لأنه الجميع،... أي جميع الكائنات فهي كلها مظاهر منه".[2] وأتباع هذه الأفكار من الهنود وغيرهم يؤمنون بوحدة الوجود، ولذلك لا يقتلون الحشرات مثلا، ويرون في البقرة أكمل مظاهر الإله، ويحرقون موتاهم ويذرون ترابهم في الكون ليتحدوا بالإله، وغير ذلك من الإعتقادات المعروفة بينهم.

---

١ نقلا عن رسالة دكتوراه للدكتور نجاح الغنيمي ص ٩٥١ ، ونفس هذه المفاهيم يعتنقها عبدالكريم الجيلي صاحب نظرية الإنسان الكامل، ويأخذ بها ويشرحها في بيانه لمراتب الوجود.

٢ الأسفار المقدسة صفحة ١٥٧ ، نقلا عن التفسير الإسلامي للجاهلية - د. نوح محمود الغزالي ١١٣

الفصل الثاني

علم الباطن عند اليهود

١- إله واحد رغم التحريف

٢- وساطة الكلمة والإنسان الأول

٣- مقابلة الإنسان للكون

الفصل الثاني: علم الباطن عند اليهود

أولا: إله واحد رغم التحريف

نزلت رسالات السماء تترى كل منها تؤكد وحدانية الإله الذي لا وزير له ولا مشير بين يديه، لا صاحبة له ولا ولد، جل عن الشريك والند، والباحث في تاريخ الأديان ومفاهيم الشعوب يجد أن الإله الواحد حقيقة لا تختلف من مكان إلى غيره، فالله عند البراهمة إله واحد متصرف لا شريك له، وقد كتب طاغور كتابا أوجز فيه أصول عقيدته في ثلاثة بنود تدور كلها حول إله واحد لا ثاني له خالق للكون.

وقد كانت صلوات أخناتون في القرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح قائمة على: الإيمان بإله واحد هو روح رابض وراء الشمس، دعا إلى عبادته وبشر الناس به، وقال عنه في نشيد له: "أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره كسلطانه، يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك".

يصف القرآن التوراة التي أنزلها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾.[1]

وبرغم تعرض التوراة التي أنزلها الله ﷻ على موسى ﷺ وكتب ألواحها بيده إلى تحريف وحذف وتبديل من الأحبار، إلا أن عقيدة التوحيد لا تزال واضحة في التوراة التي بين أيدي اليهود الآن فقد جاء في الوصية الأولى من الوصايا العشر: "أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"،[2] وفي سفر التثنية: "إن الرب إلهنا رب واحد"، وكذلك: "فاعلم اليوم وردد في قلبك: أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل ليس سواه".[3] والمتأمل في هذا النص لا يجد أي صعوبة أن يستنتج أنه خرج من نفس المشكاة التي خرج منها قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾.[4]

كما ورد في مناجاة داود عليه السلام لربه: "لأنك أنت الله وحدك"،[5] وعلى لسان أشعياء:

---

١ سورة المائدة آية ٤٤

٢ سفر الخروج ٣:٢٠

٣ سفر التثنية ١٤:٦، ٣٩:٤

٤ سورة الزخرف آية ٨٤

٥ مزامير ١٠:٦٨

"أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي". وأيضا: "أنا الرب ولا إله غيري، أنا الله وليس آخر".[1]

كما حاول عدد من اليهود ممن تأثروا بالفلسفة الأفلاطونية القديمة تأويل التوراة على قواعد الفلسفة الأكثر انتشارا في زمنهم، ومن ثم ظهرت فرقة تسمى القبالة هدفها تأويل التوراة والبحث فيما وراء الكون وكشف الغيب ومعرفة أسرار الحروف، وعلوم التنجيم والأبراج اتباعا لما تلته الشياطين على ملك سليمان بأنه استخدم السحر في تسخير الجن.

وسوف نتكلم بتوفيق الله عن دور فرقة القبالة اليهودية في الترويج للأفكار الباطنية.

ثانيا: وساطة الكلمة والإنسان الأول

وقد كونت فرقة القبالة جمعيات أطلقوا عليها "جمعيات أهل العرفان"، بدأت نشاطها سرا ثم بدأت تعلن عن أفكارها، حتى ظهر في الأسكندرية الفيلسوف اليهودي فيلون الذي وضع قواعد وأصول مدرسة التأويل الباطني للتوراة، والمقصود بالعرفان عندهم هو العلم الباطني الذي يهبط على قلوبهم إشراقا ووحيا دون واسطة أو معلم، ويقول د. الخطيب: "ويدور أكثر تفلسف فيلون حول شرح التوراة شرحا رمزيا، فحواء مثلا كناية عن الحس، والحية كناية عن اللذة،... ولقد نفى - أي فيلون - عن الله جميع الصفات التي وصفته بها التوراة، فالله في نظره لا يمكن أن يتصل بالعالم، ولهذا خلق أولا الكلمة." ويرى فيلون أن الكلمة هي الابن الأول لله، أما العالم فهو الابن الثاني لله، وبما أن الانسان لا يستطيع أن يتصل بالله مباشرة، فقد جعل الله الكلمة والملائكة شفعاء للبشر في توسلهم إليه، وبسبب هذه الفلسفة ظهرت طائفة القبالة، وأهم مسائلها هي سرية التعليم، وإمكان فك رموز التوراة، وكذلك رمزية الأعداد والحروف".[2] ويعلل فيلون الحاجة إلى سرية التعاليم بقوله: "لا ينبغي الإفضاء بالحقيقة إلا لعدد صغير، وبحذر وحيطة، فإن آذان العامة الجهلاء لا تقدر على فهمها واحتوائها، ومن ثم ليس للحكيم أن يكشف الحجاب عن الحقيقة لكل أحد، بل إنه ليعرف كيف يكذب أحيانا في هذا السبيل، مدفوعا بالتقوى والرحمة وحب الإنسانية؟!".[3]

---

١ أشعياء ٤٥:٥، ٤٦:٩

٢ الحركات الباطنية في الإسلام د. محمد أحمد الخطيب ٢٢ ، ٢٣

٣ الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري تأليف إميل بريهين ١٤، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. الخطيب ٤٧

ثالثا: مقابلة الإنسان للكون

وأبرز أفكار القبالة اليهودية هي فكرة "وساطة الكلمة" أي الإنسان الأول أو الأصلي ويسمونه بالإصطلاح العبري "آدم قدمون" وهو المبدأ الإلهي الثاني وهو تجسيد أو مجلى للسفروت[1] العشرة، وهي الصفات المختلفة التي تصدر عن الله، وهذا الإنسان السماوي يعتبر صورة لكل شيء في السماء وعلى الأرض، وتمثل السفروت العشرة بأعضاء الإنسان المختلفة ووظائفها".[2] كما استقت طائفة القبالة اليهودية فكرة تماثل الانسان كعالم صغير مع الكون كعالم كبير من نظرية هرميس الحكيم، ولهذا فقد ورد في أحد كتبهم والمسمى زهر ما يلي: "أن شكل الانسان هو صورة كل شيء فوق (في السماء)، وتحت على الأرض، ومن ثم فقد اختاره القديم المقدس (الله) ليكون شكله الخاص"، وورد في نفس الكتاب "أن الإنسان السماوي هو مجلى كل التجليات الإلهية، والسفروت العشرة هي الصورة الأصلية للإنسان، أما آدم السماوي فإنه يبرز من عمق الظلمة الأصلية، ويخلق آدم الأرضي، وبعبارة أخرى فإن نشاط الذات الأصلية تتجلى بنفسها في خلق الإنسان، وهو في الوقت نفسه صورة الإنسان السماوي والعالم." [3]

وقد تحورت هذه النظرية في القبالة المتأخرة بحيث أصبحت تميز بين آدم السماوي وآدم الأرضي أو الإنسان كما يلي:-

١- آدم السماوي: هو الوسيط أو الابن الأول المخلوق على صورة الله، والذي لا يشارك أي جوهر أرضي أو فاسد، وهو عقل مجرد، ومثال محض.

٢- آدم الأرضي: المخلوق من مادة مفككة توسم باسم كتلة الصلصال، ويمكن إدراكه بالحواس وله نصيب من الصفات الأرضية.

ويشرح الفيلسوف اليهودي "فيلون" فكرة الوساطة بقوله: "الله بعيد عنا كل البعد، ولذلك لا نستطيع أن نعلم عنه شيئا أكثر من اسمه، إنه تعالى لا يتصل بالعالم، ولا يعني به مباشرة، بل بواسطة وسطاء، فالوسيط الأول هو العقل أو الكلمة أو اللوغس، وبهذا الوسيط خلق الله

---

١ السفروت: لفظ عبري تطلقه القبالة اليهودية على القوى العشر الخلاقة، مرتبة بالتدريج ابتداء بأكثرها روحانية حتى أقلها، ومن خلالها تتجلى الذات الإلهية الأصلية بنفسها في العالم.

٢ موسوعة اليهودية طبعة ١٩٤٨، نقلا عن الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي ٩٦٩

٣ عبد الكريم الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي رسالة دكتوراه د. نجاح الغنيمي ٩٦٩

العالم ويعني[1] به، وبواسطته أيضا يمكننا الاتصال بالله ومعرفة أفكاره، والوسيط الثاني هو الحكمة التي تدبر العالم وتقوده إلى اللوغس، أما الوسيط الأخير فهو آدم الذي ولد منه البشر".[2]

ولا ندري أي إله هذا الذي يتحدث عنه فيلون وينفي عنه كل شيء، ويصفه في موضع آخر بقوله: "الله واحد وهو بسيط غير مركب، لأنه لا يمكن أن يضاف إليه شيء لا أسمى منه، ولا أقل منه، ولا متساوي معه، وثابت أنه لا يوجد أسمى منه ولا مساوي له، فإذا أضيف إليه من هو أقل فإن هذا ينفي كماله تعالى".[3]

ولقد حاول "ميمون" من فلاسفة اليهود أن يجادل الذين يصفون الله بالأوصاف المادية مجادلة عنيفة تحملهم على الاعتراف بالتنزيه فادعى أن وصف الله بالسوالب والتنزيهات هو الوصف الصحيح ، أما وصفه بالصفات الإيجابية فيحمل خطرا جسيما، إذ يؤدي إلى التجسيم والشبه بينه تعالى وبين مخلوقاته والانفعالات، وهذه مما ينبغي التصريح بنفيها عنه تعالى"،[4] ولهذا يقول: "أن الله بلا صفات ولا علاقات ولا يتأثر بمؤثرات خارجية، وبلا رغبة ولا احتياج، وبلا اسم، وليس له نوع ولا كمية، فليس هو مبدأ عقلي ولا نفسي، ليس هو في حركة ولا سكون، وليس هو في مكان ولا زمان.

---

١ ويعني به أي أن الله يعتني بخلقه ويقوم على شئونه بواسطة الوسيط الأول

٢ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٦٥

٣ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٥٧

٤ الإلهيات تأليف القس صموئيل مشرقي ٦٥

ملخص الباب الأول

١- أرسل الله الرسل بالتوحيد، وفي كل مرة يتسرب الغلو والفكر الباطني إلى الدين، ويخرج الناس عن التوحيد إلى دائرة الفلسفة ووحدة الوجود واتحاد الخالق مع المخلوق.

٢- أن شعر هوميروس قد شجع قدامى الأدباء اليونانين على انتهاج الأسلوب الباطني في تأويل النصوص الأدبية.

٣- أظهرت الديانات الإيرانية القديمة فكرة الإنسان الأول، وأن له وظيفة كونية، ثم بدأت أفكار هرميس والتي تؤكد مبدأ التقابل بين العالم الأكبر، والعالم الأصغر ويعنون به الإنسان.

٤- تشير أسفار البراهمة إلى نظرية وحدة الوجود، وهذا الوجود الواحد هو للإله وأن كل الكائنات هي مظاهر لهذا الإله، ليس لها وجود مستقل، أو إيجاد من العدم.

٥- زرع فيلون في اليهودية بذور الفكر الباطني، ووضع نظريات الظاهر والباطن ومقابلة الإنسان للكون. وتتلخص أقوال الباطنية في المفاهيم الآتية:

❋ أن العلم علمان: علم ظاهر للعوام وعلم باطن للخواص لايدركه العوام.

❋ أن العلم الباطن سر من الأسرار، وهم يعنون بذلك فهم الفلاسفة وتأويلاتهم الباطنية.

٦- الباطنية متفقون على القول بالوساطة بين الله وبين خلقه، وإن تعددت المسميات إلا أن المعنى واحد سواء:

* العقل أو الإنسان الأول
* العالم الكبير أو الجيامرتين
* آدم السماوي أو آدم قدمون
* كلمة الله أو ابن الله.
* الوسيط خُلِق أو صدر عن الله أو فاض من حياض الجبروت.
* طبيعة الوسيط هي النور، وله صفات إلهية.

الباب الثاني

علم الباطن عند المسيحيين

١- عقيدة النصارى

٢- الرمز في المسيحية

٣- الشريعة والحقيقة عند النصارى

٤- كلمة الله عند النصارى

٥- حقيقة المسيح عند النصارى

الفصل الأول

عقيدة النصارى

١- مَن كتب إنجيل يوحنا؟
٢- الثالوث والتوحيد
٣- ماذا دار في نيقية؟
٤- طبيعة الأقانيم الثلاثة

* وحدة في الجوهر
* أشخاص ثلاثة
* مظاهر لإله واحد

الفصل الأول: عقيدة النصارى

تعرض النصارى إلى قدر لا مثيل له من الإضطهاد والتعذيب لم يكن على يد قياصرة الرومان فقط وإنما ساهم اليهود أيضا بقسط وافر منه، ويقرر كثير من علماء المسيحية الفحول أن هذه المصائب والفتن التي تعرضوا لها طوال قرون ثلاثة أفقدت أناجيلهم الإسناد المتصل إلى مصنفي هذه الأناجيل.

ورغم ذلك فإن عقيدة التوحيد ما زالت موجودة في الأناجيل المتداولة اليوم، فقد جاء على لسان المسيح عليه السلام: "إن الله واحد وليس آخر سواه".[1] كما جاء ذكر "الإله الواحد" في مواضع منها: يوحنا ٤٤:٥، كورنثوس الأولى ٤:٨، ٦، وتيموثاوس الأولى ٥:٢، ووردت "الله واحد" في رومية ٣٠:٣، وغلاطية ٢٠:٣، ويعقوب ١٩:٢، وفي إنجيل متى خطاب موجه للشيطان يقول: "اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد".[2]

ولا يخفى أن عقيدة التوحيد السمحة قد تأثرت كثيرا بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وغيرها من مصادر الفكر الباطني حتى تحولت إلى ما نراه اليوم من تحول التوحيد إلى التثليث، "وقد لاحظ العلامة جارسلاف كربتي وجود تماثل وتطابق بين الثالوث المسيحي والفرعوني، الأمر الذي دعاه إلى تقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ من الثالوث الفرعوني، ويلاحظ جوستاف لوبون تشابها واضحا بين الديانة البوذية وبين المسيحية"،[3] كما مرت عقيدة التوحيد أيضا بعدة تطورات أفرزتها المجامع المسكونية المنعقدة في السنوات ٣٢٥ ، ٣٨١ ، ٤٣١ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ حتى وصلت إلى شكلها الحالي، وهي أن "عقيدة النصارى التي لا تختلف حولها الكنائس، وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي وهي الإيمان:-

١- بإله واحد: أب واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى.

٢- وبرب واحد: يسوع الابن الوحيد المولود من الآب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء والذي من

---

١ إنجيل مرقس ٣٢:١٢

٢ إنجيل متى ١٠:٤

٣ ديانة قدماء المصريين للعلامة جارسلاف كربتي^ أستاذ اللغويات بجامعة أكسفورد بإنجلترا، نقلا عن النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي صفحة ٩٠، وقد أجرى في كتابة مقارنات شاملة بين عقائد الوثنية وعقائد النصرانية، فليراجع

أجلنا نحن البشر، ومن إجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، تأنس،[1] وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد، ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه.

٣- وبالروح القدس: الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الآب يسجد له، ويمجد، الناطق بالأنبياء".[2]

وتقوم هذه العقيدة على العناصر التالية:-

١- التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم.

٢- صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره، ورفعه.

٣- المسيح يدين الأحياء والأموات.

إن المطلع على الأناجيل الثلاثة المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا لا يجد أي نص صريح أو حتى إشارة بعيدة الدلالة عن عقيدة التثليث أو الأقانيم أو تجسد الابن ليخلص البشرية من خطيئتها، بينما انفرد إنجيل يوحنا بهذه الإشارات التي استطاع الباطنيون أن يصلوا بها إلى الأقانيم الثلاثة ذلك الشكل الذي اتفقت عليه الكنائس، ثم عادت واختلفت حول طبيعة كل أقنوم كما سنبين ذلك تفصيلا في هذا الباب.

وهذا يؤكد سبب اهتمام علماء المسيحية بإنجيل يوحنا، فيا تُرى من كتب إنجيل يوحنا؟ هذا ما سنتبينه فيما يلي.

---

١ تأنس: أي صار إنسانا واتخذ صورة بشرية

٢ كتاب سوسنة سليمان لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني

أولا: مَن كَتَبَ إنجيل يوحنا؟

إن الباحث في عقيدة النصارى الآن ليتسائل: متى وكيف دخلت هذه المفاهيم فيما أنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، حتى قامت عليها مسيحية اليوم؟

استطاعت المدرسة الباطنية أن تحول مسار العقيدة المسيحية، فعندما أدركت أن التيار الذي يؤمن ببشرية المسيح وأمه يتزايد، وليس عندهم سند يدعم أفكارهم الباطنية، "اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادي بإنجيل لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح"،[1] ويشهد على ذلك بعض علماء المسيحيين المتقدمين منهم والمتأخرين الذين يقولون:

١- جاء في دائرة المعارف البريطانية التي أعدها خمسمائة عالم من علماء المسيحية ما نصه: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المُزَوِّرُ في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا، ولا يخرج الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليليّ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدى.

٢- "إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذي يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع (يوحنا) والثلاثة المتشابهة، إن الاختلاف بينهم عظيم، لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوق فيها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا".[2].

٣- "المقصد من كتابته (لإنجيل يوحنا) إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات

---

١ جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه: "إن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية، بأن المسيح ليس إلا إنسانا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا ..." نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة صفحة ٥٤

٢ دائرة المعارف الأمريكية ج١٣ ص ٧٣

التروي مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة، أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم".[١]

٤- "إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا وغيرهم، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى ومرقص ولوقا في أناجيلهم".[٢]

٥- "إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية (تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها)، ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف".[٣]

٦- "يستنكر المؤرخ الشهير ويلز كل مبادئ الكفارة والفداء ويرى أنها جميعا موضوعة ولا سند لها من الأناجيل، كما يقرر أنه من العسير أن تجد كلمة تنسب فعلا إلى المسيح فسر فيها هذه المبادئ أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني".[٤]

٧- "يشك العلماء في خاتمة إنجيل متى التي تنسب للمسيح قوله لتلاميذه: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس".[٥]

ويرجع هذا الشك - كما يقول أدولف هرنك - وهو من أكبر علماء التاريخ الكنسي - إلى الآتي:

*** لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات، وبولس لا يعلم شيئا عن هذا.**

*** إن صيغة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر**

---

١ صاحب مرشد الطالبين نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة رحمه الله صفحة ٥٤

٢ يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره من تحفة الجيل، نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله صفحة ٥٤

٣ قاله الأستاذ لن في العصور المتأخرة ونقله عنه صاحب كاتلك في ٢٠٥:٧ المطبوع سنة ١٨٤٤، ويقول ذلك المحقق برطشيندر أيضا، نقلا عن النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي ص ١٤

٤ نقلا عن النصرانية والإسلام لمحمد عزت إسماعيل صفحة ١٣

٥ إنجيل متى الإصحاح ٢٨ : ١٩.

الرسل، وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به، لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا".[1]

ولا شك أن أغلب المسيحيين لا يوافقون على هذه الآراء، برغم أن قائليها من جلدتهم وعلى دينهم.

ثانيا: الثالوث والتوحيد

يرى كثير من علماء المسيحية أنهم لم يبتدعوا عقيدة الثالوث من عند أنفسهم وإنما هي عقيدة معروفة قبل المسيحية، ويقول حبيب سعيد ما يلي: "عقيدة الثالوث منتشرة في أهم الأديان الوثنية قديما وحديثا: ففي ديانة

١- الفينيقيين: نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم ولكل مستعمرة ثالوث، وقد وجد المنقبون في جبيل ثالوثا هو ايل وتموز وعولم أي القدير، والسيد، والأزلي.

٢- وثالوث المصريين: أوزوريس، وإيزيس، وهورس.

٣- وثالوث الهنود: بوذا، وبرهما، وفيشنا.

٤- وثالوث الصينيين: يعبرون عنه بمثلث متساو الأضلاع والزوايا".[2]

وجدير بالذكر أن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي واكبت المسيحية كان لها أثرها الكبير في تطور عقيدة التثليث، فقد اعتنق شيخ هذه المدرسة أمينوس المتوفى سنة ٢٤٢ الديانة المسيحية ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين، ثم جاء من بعده أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠، وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند واطلع على تعليم بوذا ومبادئ صوفية الهند، ثم عاد إلى الإسكندرية حيث بدأ يعلم الناس آراءه التى تتلخص في أن إنشاء الكون مر بثلاثة أطوار هي:

١- صدر الكون عن منشئ أزلي لا تدركه الأبصار، ولا تحده الأفكار، ولا تصل إلى معرفة كنهه الأفهام، له الكمال المطلق والبراءة من التغيير، يفيض على الأشياء بنعمة الوجود، صدر عنه وسيطين دونه في الكمال.

٢- العقل: وهو أول صادر عن المنشئ الأزلي، وهو المتولد عنه كما يتولد الولد عن أبيه، وللعقل قوة الإنتاج، إلا أنه ليس كمن تولد عنه.

---

١ أدولف هرنك ١ : ٧٩ نقلا عن مناظرة بين الإسلام والنصرانية، صادر عن الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، طبعة دار الحديث

٢ تاريخ الأديان حبيب سعيد صفحة ٦٦، ٦٧ تحت عنوان عقيدة الثالوث في غير المسيحية

٣- الروح الإلهية: وهي الوسيط الثاني المنبثق أيضا عن العقل، وأن هذا الروح منه الحياة ومنه انبثقت الأرواح، فهو يمثل وحدة الأرواح التي تتصل بالمنشيء الأول بواسطة العقل.

وأن العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة وتحت سلطانها، وإن كانت هذه الأقانيم غير متساوية في الجوهر والرتبة.[1]

ولا يخفى أن أفلاطون كان يعتمد على السرية التامة في إظهار أفكاره الحقيقية، وكان عندما يتحدث عن الإلهيات يصوغ فكرة واحدة بعبارات مختلفة وذات دلالات متباينة أحيانا، وأحيانا متناقضة، ويذكر أنه من المستحيل كشف الحقائق لكل الناس، لأن النور الذي يفيض من هذه الحقيقة يبهر أعين العامة، والظاهر أن أفلاطون كان يقتدي بكهنة مصر، ومن سبقه من الفلاسفة، باتخاذه تعليمين: سريا وجهريا، فالأول كان للداخلين في مذهبه، وكان يعلمهم إياه شفاهة لا كتابة، ولا يكتم عنهم شيئا، والثاني للعامة كان يعلمهم إياه كتابة".[2]

ثالثا: ماذا دار في نيقية؟

حاول كثير من النصارى الوقوف أمام محاولات الفلاسفة والباطنية تحريف العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام، وإلباسها ثوب التثليث الفلسفي الأفلاطوني، وأشهر هذه المحاولات تلك التي قام بها آريوس الذي ظهر في الأسكندرية ينادي: "أن الآب وحده هو الله الفرد، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن، وهنا أشاع البطرك بطرس الذي كان بطرك الإسكندرية آنذاك أنه رأى المسيح في المنام مشقوق الثوب، فقال له يا سيدي من شق ثوبك؟ قال له: آريوس، وراح يحذر تلاميذه منه، إلى أن قتل بطرس هذا وتولى مكانه الأكصندروس الذي منع آريوس من دخول الكنيسة وقال للناس إن الله لعن آريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة، فاستغاث آريوس بقسطنطين الملك، الذي جمع بينهما في مناظرة بدأت بسؤال من قسطنطين لآريوس قائلا: اشرح مقالتك.

قال آريوس: أقول إن الآب كان إذ لم يكن الابن، ثم الله أحدث الابن، فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى "كلمة"، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما، كما قال في إنجيله، إذ يقول: "وهب لي سلطانا على السموات والأرض"،

---

١ نقلا عن محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة ص ٣٦ - ٤٠ ، والذي ينقله عن المستشرق المعروف ليون جوتيه في مقدمة كتابه المدخل لدرلسة الفلسفة الإسلامية المطبوع في باريس سنة ١٩٢٣

٢ دائرة المعارف - للمعلم بطرس البستاني ٤:٦٥،٦٦، نقلا عن الحركات الباطنية د، الخطيب ٤٧

فكان هو الخالق لهما بما أعطي من ذلك، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم ومن روح القدس، فصار ذلك مسيحا واحدا، فالمسيح الآن معنيان: كلمة وجسد، إلا أنهما جميعا مخلوقين.

قال البطرك: أيهما أوجب علينا عندك، عبادة من خلقنا (المسيح)، أو من لم يخلقنا (الله)؟. قال آريوس: بل عبادة من خلقنا.

قال البطرك: فإن كان خالقنا الابن كما وصفت، وكان الابن مخلوقا، فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الآب الذي ليس بخالق، بل تصير عبادة الآب الخالق للابن كفرا، وعبادة الابن المخلوق إيمانا، وذلك من أقبح الأقاويل.

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البطرك، وشنَّع عندهم مقالة آريوس، فأمر الملك أن يلعن آريوس وكل من قال مقالته، وبعث في البلدان يدعو إلى اجتماع للأساقفة والبطاركة، فاجتمع ٢٨٤٠ أسقفا مختلفي الآراء فيما عُرِف فيما بعد بمجمع نيقية المنعقد في سنة ٣٢٥، وترك كل فريق يعرض مقولته وهو يستمع لهم فمنهم من يقول:

١- المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم الريمانية، ويسمون أيضا المريميين.

٢- إن منزلة المسيح من الآب كشعلة نار تعلقت من شعلة نار. فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية. وهي مقالة سبارينون وأشياعه.

٣- أن مريم لم تحمل تسعة أشهر، وإنما مر نور في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن "كلمة الله" دخلت من أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها. وهي مقالة البان وأشياعه.

٤- إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطُفِيَ ليكون مُخَلِّصا للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، فلذلك سمي ابن الله، ويقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس. وهي مقالة بولس الشمشاطي بطرك أنطاكية وأشياعه، وهم البوليانيون.

٥- أن الآلهة ثلاثة، لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما. وهي مقالة مرقيون وأشياعه.

٦- ربنا هو المسيح. وهي مقالة بولس الرسول و ٣١٨ أسقفا.

استمع قسطنطين الملك إلى هذه المقولات وغيرها وتعجب كل العجب من قدر التباين في اعتقاد أبناء العقيدة الواحدة، ثم أخلى داره وعقد مجلسا خاصا للأساقفة أتباع بولس، وكانوا ٣١٨ أسقفا وانحاز إلى رأيهم ووضع سيفه في وسطهم وسلطهم على مملكته ليصنعوا ما بدا لهم حتى يستقيم الناس على رأيهم، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر

دين النصرانية وذَبَّ عنه[1].

ومن المدهش حقا أن يروي المؤرخ أبوسيبوس الذي تسميه الكنيسة سلطان المؤرخين وتُقَدِّسُ كلامه: "أنه هو الذي عَمَّدَ قسطنطين الملك وهو على فراش الموت، وهذا معناه أنه لم يكن قد دخل المسيحية يوم رأس مجمع نيقية، وأن الرجل استحسن رأي بولس لأنه أقرب إلى وثنيته آنذاك"،[2] وقد تمخض مجمع نيقية المنعقد في سنة ٣٢٥ ميلادية عن مجموعة من القرارات أهمها ما يلي:

١- "قرار بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث.

٢- تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان

٣- تكفير آريوس وحرمانه وطرده.

٤- إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح، وتحريم قراءتها، ومن هذه أناجيل فرق التوحيد التي تقرر بشرية المسيح، وأنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا.

وينص بيان مجمع نيقية إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تَحْرِمُ كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب، وكل من يؤمن أنه خُلِقَ، أو من يقول إنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران".[3]

---

١ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣: ٢٠ - ٢٤ مختصرا.

٢ محاضرات في النصرانية - الشيخ أبو زهرة ١٣٢

٣ ذكره صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية، نقلا عن النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ٣٣

رابعا: طبيعة الأقانيم الثلاثة

استمر اختلاف النصارى حول طبيعة الأقانيم الثلاثة وما زال مستمرا، وكلما تصاعدت حدة الصراع لجأوا إلى اجتماع عام يتمخض عن قرارات توجه العقيدة وتغير فيها، ومن الجدير بالذكر أن عدد هذه المجامع التي عقدت منذ قرون المسيحية الأولى وحتى سنة ١٨٦٩ زادت على عشرين مجمعا، ويزداد الاختلاف تعقيدا عندما يشرع فلاسفة المسيحية في الحديث عن الأقانيم ويختلفون اختلافا شديدا في شرح فكرة الأقانيم الثلاثة فتراهم يقولون:

١- الأقانيم الثلاثة في وحدة الجوهر

يقول القس صموئيل مشرقي: "إن عدم فهم معنى التثليث هو الذي يجعل غير الفاهم يعتبره مناقضا للتوحيد، والحقيقة غير ذلك، لأن التوحيد هو الأساس الجوهري التي ترجع إليه عقيدة التثليث، والمسيحيون لا يؤمنون بثلاثة آلهة، وكذلك فهموا معنى التثليث بأنه ليس ثلاثة وحدات أو ثلاثة آحاد!

فالعقيدة الجوهرية العظمى التي تعلمناها عن الله في الكتاب المقدس من السفر الأول حتى السفر الأخير هي أنه تعالى واحد، وليس ذلك فحسب بل أنه الإله الوحيد، ولكن كنه هذا الإله الواحد لا يقدر أحد أن يدركه أو أن يفهمه بأكمله لأنه كائن في ثلاثة أقانيم موحدون لأننا نوحد الجوهر الإلهي.

وليس التثليث بمستحيل ولا هو مضاد للعقل، لأننا لا نقول أن الله ثلاثة جواهر بل ثلاثة أقانيم في جوهر واحد هو سر وحدة الأقانيم، ومن ثم فإننا ونحن نثلث الأقانيم موحدون لأننا نوحد الجوهر الإلهي!!

نعم إن هذه الحقيقة تفوق الإدراك ولكن أي احترام وتقدير نقدمه لإله بلغ من البساطة بحيث يستطيع العقل البشري أن يفهمه ويستوعبه تماما؟ لذلك ليس في إمكاننا أن نفهم الوحدانية والثالوث بل أن نعبد الله في وحدانية ثالوثه، وثالوث وحدانيته!!".[١]

---

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٠٣ - لاحظ كيف يقر القس أن الأناجيل كلها تدل على التوحيد، وأن عقيدته فوق مستوى العقل وإدراكه، وأيضا كيف أن بساطة التوحيد تجعل الإله لا يلقى أي احترام أو تقدير، وأن تعقيد العقيدة وتناقضها الواضح واصطدامها مع الفطرة والعقل والنصوص الإلهية هو السبيل إلى التثليث

حيث أن الجوهر واحد لكل أقنوم، صح أن يقال بأن كل أقنوم هو الله، مع صحة عدم وجود ثلاثة آلهة، وأيضا أنهم معا هم الله، لأنهم في اتحاد تام، وأيضا لا يمكن أن يوجد أقنوم منهم بمفرده مستقلا عن الأقنومين الآخريين.

ويقرر اثناسيوس حامي الإيمان القويم: "إن للآب أقنوما متميزا، وللابن أقنوما متميزا، وللروح أقنوما متميزا كذلك، ولكن الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساو، وجلال أبدي معا:

الآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق، ولكنهم ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولكنهم واحد غير مخلوق.

الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود، ولكنهم ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولكنهم واحد غير محدود. الآب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد، ولكنهم ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد.

الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهه، وإنما إله واحد. الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب، ولكنهم رب واحد.

ويقول اكليمنصنس: "ليس كل أقنوم هو عين الآخر، ومع ذلك فإن الأقانيم ليسوا ثلاث ذوات، بل هم ذات واحدة لأن جوهرهم واحد".

ويقول غرغوريوس: "الآب والابن والروح القدس جوهر واحد، ولكن ليس كل أقنوم منهم هو عين الآخر، وليس الله شيئا رابعا بل هو ذاته الآب والابن والروح القدس، فكل من الأقانيم الثلاثة أزلي أبدي واجب الوجود، وغير قابل للانقسام أو التجزئة أو الإنفصال عن الآخر، وذلك بدون مزج أو تركيب أو تجريد.[1]

* "إن كل أقنوم في تميزه عن غيره من الأقانيم، لا ينفرد بقول أو عمل لوحدانية الجوهر في العمل".

* "لا يمكن لأي أقنوم منهم أن يكون منفصلا في ذلك الجوهر الفريد، لأن كل منهم إنما يوجد متحدا ومرتبطا وكائنا بالآخر".

* إن التميز بين الأقانيم لا يدل على تفرد أو استقلال إذ لا انفصال بين أقنوم وآخر بأي حال من الأحوال، ولذلك فإنهم متوحدون في الإرادة والقوة والفعل بلا فرقة بينهم في شيء من ذلك على الإطلاق".

---

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٣٩

* "إن أعمالهم الإلهية مشتركة فما يقوم به أقنوم منها من عمل لا يكون بغير الأقنوميين الآخريين، فإذا أراد أقنوم قول ما فليس معنى ذلك إخراج الأقنومين الآخرين، إذ لا انفكاك للأب عن الابن والروح القدس".

وترى الكنيسة الكاثوليكية التابعة إلى الفاتيكان في روما أن الروح القدس نشأ عن الآب والابن معا، وتعتقد المساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الابن، وتقول أيضا أن المسيح طبيعتين ومشيئتين. بينما تعتقد الكنيسة المصرية الأورثوذكسية "أن أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحدا: وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة".

٢- الأقانيم الثلاثة لأشخاص ثلاثة

يدافع القس مشرقي عن عقيدته أمام فكرة استقلال كل أقنوم من الثلاثة، بقوله: "وتصور بعضهم الأقانيم الثلاثة في حالة استقلال كوجود ثلاثة أشخاص مع بعضهم في مكان واحد، لاجئين للفظة "مع" واضعين إياها موضع لفظة "عند" محاولين بذلك الفرار من وجه الصدورات، ولهم في هذا التصوير أقوال تدل عليه - ثم يورد الأقوال التالية:

* "إن الثلاثة أقانيم مستقلة، كل منها قائم بذاته لكونه أقنوما مستقلا".[١]

* "إن كل أقنوم منفرد عن الآخر".[٢]

* "إن كل أقنوم كائن قائم بذاته مستقل، وأن الأقانيم متساوية في الاستقلال، وواجبة الوجود والاستقلال الذاتي".[٣]

* "المسيح مستقل في كيانه مع الله، وذو شخصية مستقلة، وإن له أقنوما مستقلا عن الله من غير انفصال".[٤]

* جاء في بشارة يوحنا دليل على أن للمسيح ذات منفصلة ومتباعدة: "مجدني عند ذاتك"، وقد ورد في شرح بشارة يوحنا على لسان الابن: "لأنني بأخذي ذاتي منه في ميلادي

---

١ كتاب براهين صدق الديانة المسيحية

٢ كتاب شمس البر

٣ كتاب تثليث الأقانيم الإلهية

٤ كتاب شرح بشارة يوحنا

الأزلي قد أخذت كمال القداسة" وهذا قول صريح بالتجزئة.

ويؤكد القس مشرقي على فساد هذا الإعتقاد بقوله: "وهذه كلها تعبيرات غير صحيحة فمن المؤكد أن عبارة "التمييز الأقنومي" أصح من لفظة "الإستقلال"، حتى لو قيل معها أنه من غير انفصال، لأن التناقض في ذلك واضح، إذ لا يوجد استقلال بدون انفصال!! ، بيد أن هذه اللفظة "عند" قد وردت بمعنى الوجود المرتبط وليس المنفصل.[1]

٣- الأقانيم مظاهر لإله واحد

يرى مسيحيو الشرق الأرثوذكس: "أن الله كآب خلق جميع الأشياء، وهو بعينه يقال له الابن حين تجسده من العذراء، وهو بعينه الروح القدس باعتبار تقديسه الخليقة الناطقة وتحريكه إياها إلى الحياة، وهذه أقوال علمائهم:

* "الثلاثة أقانيم هي ثلاثة مظاهر".[2]
* "إن الله رأى إظهار ذاته بثلاثة أشكال".[3]
* "الأقانيم مظاهر متنوعة لله".[4]

فالإله هو الآب قبل التجسد، والابن بعد التجسد، والروح القدس هو الاسم الذي كان له قبل إنشاء العالم، ولذلك يصر الأرثوذكس على أن الروح القدس نشأ عن الإله الآب فقط، كما رأت أفضلية الإله الآب عن الإله الابن، وتصر أيضا على أن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. ويحاول كثير من علماء المسيحية الاعتذار عن تعقيد مفاهيم الأقانيم بقولهم:

* "أن الله ذو جوهر واحد، جل عن الوصف فليس كمثله في وحدانيته المثلثة الأقانيم،... وأن أدق معاني التوحيد عند المسيحية، تتركز في السر العظيم، الذي تحتويه الوحدانية، ولا يحيط به إدراك الخلائق قاطبة، إذ من المحتم وجود هذا السر فيها، بل هو سر الأسرار الذي انفردت به المسيحية، وهو وحدانية الأقانيم في الجوهر،...وبالطبع ليس بغريب أن تكون وحدانيته تعالى سر من الأسرار الفائقة، ومعلوم أن الإلهيات كلها أسرار بل

---

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٥٤

٢ كتاب شمس البر الأرثوذكسي

٣ كتاب الله في المسيحية

٤ كتاب رب المجد الانجيلي

أن الأسرار التى حولنا لا حصر لها".[1]

* "فإن قال المعترض كيف يكون الله جمعا وواحدا في آن واحد، قلنا بأن هذا أمر لا يفحص كشيء واقع تحت قياس الحس، لأن الله روح والفحص لا يكون إلا على ما هو مادي، وهو أيضا غير محدود وغير مدرك، فلا يمكن البحث فيه بالعقل المحدود، فهذا أمر يسمو عن العقول والتصورات".[2]

* ويقول هارتزلر من قادة الفكر المسيحي حديثا: "إننا قد لا نستطيع أن نوضح كيف يكون الثلاثة في واحد، وكيف يحوز كل من الثلاثة الكمال المطلق مع أنه متميز عن الاثنين الآخرين، ولكن هذا الذي نحاول الإحاطة به وتوضيحه هو سر اللاهوت الفائق المعرفة".[3]

ويحاول مكس ميشيل تبسيط عقيدة النصارى في كتابه لماذا ولد المسيح؟ فيقول: "لينير كل إنسان، المسيح جاء إلى عالمنا بهدف محدد، وهو أن ينير كل واحد فينا، بنوره العظيم، فهو نور أشرق من النور ليفيض بالنور على جميع الجالسين في الظلمة وظلال الموت، المسيح هو تجسد هذا النور، فيه حل النور، ونحن من ملئه جميعا أخذنا".[4]

---

١ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٧٥

٢ الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ٧٧

٣ نقلا عن الإلهيات للقس صموئيل مشرقي ١٤٥

٤ لماذا ولد المسيح؟ مكس ميشيل ٣٧

الفصل الثاني: الرمز في المسيحية

ومن يتتبع تطور علم الباطن في المسيحية يجد له جذورا يهودية، فظهور مدرسة التأويل في المسيحية كان على يد أوريجانوس النصراني تلميذ فيلون اليهودي، ويشير إلى ذلك الدكتور الخطيب بقوله: "وعمل على طريقته (أي فيلون) تلميذه أوريجانوس النصراني الذي كان أول من عمل على تفسير الإنجيل تفسيرا رمزيا سيرا على طريقة فيلون والفلسفة الأفلاطونية الحديثة".[1]

ويرى علماء المسيحية أن إنجيل يوحنا يمثل قمة الوحي الإنجيلي، فيقول أحدهم: "لقد وصف علماء المسيحية قديما الإنجيل بحسب يوحنا أنه الإنجيل الروحي بالنسبة إلى الأناجيل المؤتلفة: الإنجيل الجسدي"،[2] ويستطرد في بحثه قائلا: فالإنجيل بحسب يوحنا هو إنجيل سر المسيح، حيث يتألف سره في سيرته: سر المسيح يكشف سيرته، وسيرته تكشف سره، ثم يستشهد على ذلك بقوله: "قديما قال العلامة أوريجين في مطلع تفسيره نعلن بجرأة أن زهرة الكتب المقدسة كلها هي الأناجيل، وأن زهرة الأناجيل هو إنجيل بحسب يوحنا، فلم يفقه معناه إلا الذي اتكأ على صدر يسوع، الذي ورث من يسوع نفسه مريم أما له، فهو أسمى كتاب في آداب الدين والدنيا، إنه ذروة الوحي في الإنجيل، وقمة كل وحي وتنزيل".[3] ويشير علماء المسيحية ورهبانها إلى أن الإنجيل له ظاهر للعامة، وله بواطن وأسرار لا يصل إليها إلا الكامل من الرجال، وهذا ما يقرره الأستاذ حداد قائلا: "والحقيقة المسيحية سامية قد تقصر عنها عقول البشر"،[4] ويرى أوريجانوس أن للإنجيل ثلاث مستويات:

١- الرجل البسيط: يكفيه جسد الكتاب المقدس.

٢- الرجل المتقدم في الفهم: يدرك روح هذا الكتاب.

٣- الكامل من الرجال: هو الذي يفهم بالناموس النفساني الذي يطلع على الغيب."[5]

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام د. محمد أحمد الخطيب ٢٢ ، ٢٣

٢ دراسات انجيليه صوفية المسيحية في الانجيل بحسب يوحنا - يوسف دره حداد ٥

٣ صوفية الميسحية يوسف دره حداد ٤٩

٤ صوفية المسيحية يوسف حداد ١:١١٤

٥ الحركات الباطنية في الإسلام د. الخطيب ٤٠

ولا شك أن فهم علم الباطن في المسيحية يبدأ بفهم الرموز الواردة في الأناجيل عامة وفي إنجيل يوحنا خاصة، ويمكن تقسيم الرموز إلى نوعين: الرموز الحسية، والرموز المعنوية فيقول: "الرموز الحسية منها حمل الله، والهيكل الجديد، والميلاد الجديد، والماء الحي، والخبز الحي، والباب، والراعي الصالح، والكرمة الحقيقية، تلك ثمانية رموز حسية"،[1] ثم يشرع في بيان هذه الرموز ومدلولاتها، ويستكمل دراسته للرموز المعنوية التي منها: "الساعة، والعبادة بالروح، والحق، والنور، والرفع، ويضيف إلى كل ذلك بعض الألقاب الرمزية المجازية للمسيح منها: "العريس، مخلص العالم، ملء النعمة والحقيقة، ملك يوم الدين، خبز الحياة، نور العالمين، القيامة والحياة، حبة الحنطة، الصراط، الحقيقة".

ولعل أكل الخبز وشرب النبيذ (أو ما يسمى بالمناولة) يمثل أهم الرموز الباطنية في حياة المسيحي وطقوس عبادته وتشرح الدراسات الإنجيلية معنى المناولة كما يلي:

"ويتم تأليه الإنسان الجديد بالقربان المسيحي الذي فيه يأكل جسد المسيح ويشرب دمه، فيمتد تجسد المسيح إلى المسيحي، فيصير معه كيانا واحدا وحياة واحدة، "فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقِيمُهُ في اليوم الآخر، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه، كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي، هذا هو الخبز الذي نزل من السماء".[2] فحياة الله تنزل إلى الإنسان الجديد بالمسيح، فهو صلة وحدة الحياة بين الله والإنسان"[3].

ومن الجدير بالذكر أن السلوك الصوفي المسيحي يمر بمراحل سبعة يشرحها يوسف حداد بقوله: "ويتم الإتصال الكياني والحياتي بين الخالق والمخلوق، بين الله والانسان يتم بواسطة الأسرار الرمزية السبعة: العماد، والميرون، والتوبة، والقربان، والزواج المسيحي، والكهنوت، والمسحة، فهذا النظام المسيحي يحمل الانسان المسيحي ويرفعه إلى الله من المهد إلى اللحد، ومن الأرض إلى السماء".[4]

---

١ صوفية المسيحية يوسف حداد ٣٨٥

٢ انجيل يوحنا ٦:٥٣ - ٥٨

٣ صوفية المسيحية ١:٢٨٤

٤ صوفية المسيحية ٢٨٢

الفصل الثالث: الشريعة والحقيقة عند النصارى

يرى المسيحيون أن الشريعة هي ما تكلم به موسى وإبراهيم، أو هو الوحي المنزل على الأنبياء، وأن الحقيقة هي المسيح نفسه، يقول علمائهم: "وفي مقابلة رائعة ترُد كلمات إنجيل يوحنا على اليهود الذين يرون الحقيقة في الشريعة الموسوية، حين يقول إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة، ومع تجسد كلمة الله تجسدت الحقيقة المطلقة فيه، فلم يعد وحي الله كتابا منزلا، بل صار شخصا مرسلا".[1]

حتى إبراهيم عليه السلام نزل في اعتقاد النصارى بالشريعة فقط، ويقولون على لسان المسيح: "لقد كلمتكم بالحقيقة التي سمعتها من الله، وهذا ما لم يفعله قط إبراهيم نفسه".[2]

فالتوراة هي الشريعة والحقيقة هي سر المسيح نفسه وحقيقته، وكما يقررون: "والحقيقة المسيحية سامية قد تقصر عنها عقول البشر، ويشرحونها بقولهم في الكتاب (التوراة) وغيره، كان إلهام الله للإنسان وحيا وتنزيلا، فصار في المسيح يسوع كشفا عن سر الله والإنسان والكون، بالكشف عن سر المسيح صلة الوصل الكيانية والكونية بين الله والانسان والكون.. فالسيد المسيح قد أظهر شخصه سر الله".[3]

وفي اصطلاح يوحنا، أن الكشف الرِيائي (من الرؤية) هو "الظهور" : "أن الله لم يره أحد قط، إلا إله، الوليد الوحيد، إنه في حضن الآب، هو خَبَّر "،[4] "به لم يبق الوحي والتنزيل كتابا منزلا، بل صار شخصا منزلا".[5]

---

١ صوفية المسيحية ١:٤٠٨

٢ إنجيل يوحنا ٨:٤٠

٣ صوفية المسيحية ١:٢٨٢

٤ انجيل يوحنا الإصحاح الأول ١٨ ، ومن الغريب أن النص في الإنجيل هو : "الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَبَّرَ"، بينما ينقل يوسف حداد النص محرفا تماما فيقول: " إن الله لم يره أحد قط، إلا إله، الوليد الوحيد، إنه في حضن الآب، وهو نفسه قد أظهره" ويشير إلى نفس الموضع ١٨:١ وليس غيره.

٥ صوفية المسيحية بحسب انجيل يوحنا يوسف دره حداد ٢٨٢

الفصل الرابع: "كلمة الله" عند المسيحيين

يشرح خدام الإنجيل المعنى اللغوي للكلمة فيقولون: "إن الكلمة لسان حال صاحبها وهي في نظر رجال الفلسفة، المعنى الموجود في العقل، والمعبر عنه أو المتجسد إما في صوت أو كتابة أو رسم، فهي تحتوي على ما في عقل المتكلم من معنى بالشكل الذي يفهمه المتكلم إليه،.. وفي الإصطلاح يعرف عند فلاسفة اليونان بأنه العقل الإلهي المنفذ لمشيئة الله أو بالحري هو المعبر عن الله".[1]

كما يعتقد المسيحيون وغيرهم من الباطنيين أن الحديث عن الحقائق يحتاج إلى استخدام الرموز والإشارات والتعبيرات الباطنية المتداولة في وقتهم، وهم يرون أن إنجيل يوحنا يكثر من استخدام الأسلوب المناسب للحقائق، وهذا ما يدافع به أحد علماء المسيحية بقوله: "وقد وجد بعضهم بعض المطابقات في بعض التعابير، مثل النور والخلاص بين يوحنا وكتب الأديان السرية، لكنها موافقات بيئية لا اقتباسات مقصودة، ويضرب المثال التالي: وقد وطن المتكلم اليهودي فيلون تعبير "الكلمة" في الكلام الإسرائيلي للأميين، كناية عن الحكمة الإلهية، لكن وإن اتفق يوحنا مع فيلون في مصدر التعبير كناية عن الحكمة الإلهية، فهو يختلف عنه ويستقل عنه في ذات "كلمة الله": فعند فيلون "كلمة الله" هي حكمته من حيث هي صفة ذاتية في الله، أما عند يوحنا "فالكلمة" هي ذات في ذات الله".[2]

والكلمة عند "فيلون" تحولت في المسيحية إلى المسيح نفسه، وهم بذلك يفسرون صدر الإصحاح الأول لإنجيل يوحنا الذي استفتحه بقوله :" في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله"،[3] فالمسيح الكلمة كان في البدء عند الله وفي نفس الوقت هو الله، ويفسر فلاسفة المسيحية هذا النص على أنه يحدد أدوار المسيح قبل تجسده في ثلاثة أدوار ذكرها يوحنا في صدر إنجيله وهي:

* التكوين: "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان".[4]

---

١ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٤٦

٢ صوفية المسيحية يوسف حداد ١٣٤

٣ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول : ١

٤ انجيل يوحنا ٣:١

* الإحياء: "فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس".[1]

* التنوير: "والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه".[2]

كما ورد في دراسة أخرى ما يلي:

"بالوحي الكتابي أنزل الله إلينا كلامه، أما في الوحي الإنجيلي فقد نزل هو نفسه إلينا ... بالوحي الكتابي عرفنا التوحيد الصحيح، وبقي غيب الله محجوبا عن العالمين، أما في الوحي الإنجيلي فقد كشف الله لنا عن سر كيانه ووجوده، بالتثليث المسيحي... ونقدر أن نوجز المسيحية وسموها وإعجازها بهذه التعابير الثلاثة:

* بالتجسد: ينزل الخالق إلى المخلوق.

* بالفداء: على الصليب يرتفع المخلوق إلى الخالق.

* بالقربان المسيحي: يلتقي الخالق والمخلوق! في وحدة وجود، ووحدة كيان، ووحدة حياة- بدون حلولية، ولا تأليه، ولا تجسيد، ولا شرك!!

---

١ انجيل يوحنا ١:٤

٢ انجيل يوحنا ١:٥

الفصل الخامس

حقيقة المسيح

عند النصارى

١- القول بقِدَم نور المسيح

٢- المسيح أصل الموجودات

٣- وحدة الوجود تحققت في المسيح

٤- المسيح له الأسماء الحسنى

٥- المسيح له الاسم الأعظم

٦- المسيح يدين الأحياء والأموات

الفصل الخامس: حقيقة المسيح عند النصارى

تقوم عقيدة ألوهية المسيح على عدة دعائم هي:

١- القول بقِدَم نور المسيح.

٢- أن المسيح أصل الموجودات ومن نوره خلقت الأشياء.

٣- أن وحدة الوجود قد تحققت في المسيح.

٤- إتصاف حقيقة المسيح بالأسماء الحسنى وبالاسم الأعظم.

٥- المسيح يدين الأحياء والأموات وأن يوم الدينونة هو العرض على المسيح الابن.

ونفصل هذه العناصر فيما يلي:

أولا: القول بقِدَم نور المسيح

يقول أحد دعاة المسيحية: "البداية لم تكن من الأرض، بمولد إنسان، ولكن المبادرة خرجت من السماء من قبل الله، حينما خرجت من عنده حياة من ذاته وجوهره، وتجسدت من جسد إنساني، فكان بحق نور العالم، كما قال هو في نفسه: "أنا جئت نورا للعالم حتى كل من يتبعني لا يمشي في الظلمة".[١] ويستدل فيه بما أورده يوحنا في إنجيله: "كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم، كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم".[٢]

وليس النور المذكور هنا نورا معنويا كما يتبادر إلى الذهن، ولكن القس يقول: "الله نور، والمسيح منه، نور من نور، نور خرج من النور، لينير كل إنسان، المسيح جاء إلى عالمنا بهدف محدد، وهو أن ينير كل واحد فينا بنوره العظيم، فهو نور أشرق من النور، وفيه حل كل ملء النور، ونحن من ملئه جميعا أخذنا".[٣]

ويقول صاحب كتاب صوفية المسيحية: "تعبير النور وتعبير الحقيقة مترادفان متلازمان، والسيد المسيح يعلن "أنا النور"[٤]، كما يعلن "أنا الحقيقة"،[٥]

---

١ لماذا ولد المسيح؟ للقس مكس ميشيل ٩٧

٢ إنجيل يوحنا ١:١٠

٣ لماذا ولد المسيح مكس ميشيل ٣٧

٤ إنجيل يوحنا ٨:١٢ ، ١٢:٤٦

٥ إنجيل يوحنا ١٤:١٦ ، صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ليوسف دره حداد ٤٠٨

وحتى لا يظن البعض أن تعبير النور هنا تعبير مجازي، فذلك ما ينفيه علماء المسيحية ويقررون أن المسيح الابن قد أعلن أنه القديم مثل الله الآب: "يقول المسيح للأفراد مثل نيقوديم: إنه لم يصعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن البشر الكائن في السماء، ومن يكون في السماء وعلى الأرض في آن واحد إلا الله؟ ويعلنه للجماهير أيضا كما فعل في عيد الخيام "الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن، وما بين المسيح وإبراهيم نحو ألفي سنة - ومن هو الكائن قبل إبراهيم إلا الله نفسه؟[1]

ثم يفرق بين الخالق والمخلوق بقوله: "يمتاز الخالق عن المخلوق بأنه "الكائن" على الدوام، "القديم" من قبل الكون، والمخلوق محدث، مهما تقادم عهده، والسيد المسيح يعلن لصحابته أمام الجماهير: "لو رأيتم ابن البشر يصعد إلى حيث كان أولا، فالسيد المسيح هو الأزلي، السرمدي، الأبدي مثل الله، كما يصلي: فالآن، أيها الآب مجّدني أنت فيك، بالمجد الذي كان لي فيك، من قبل العالمين"، "لإنك أحببتني قبل إنشاء العالمين"، فالمسيح الابن هو القديم مثل الله الآب، وبذلك لا نقول بقديمين، فالسيد المسيح يعلن "أنا والآب واحد" واحد في الجوهر والكيان.[2] ويقدم نخبة من خُدام الإنجيل فهمهم عن معنى المسيح ابن الله فيقولون: "إن الأزلية والأبدية والوجود الذاتي، عدم التغير، القدرة على كل شيء، العلم بالخفيات وبكل شيء، الحضور في كل مكان، القداسة المطلقة، لا يتصف بها سوى الله، كما أن الإيمان والسجود له، وتقديم العبادة إليه هي من الإمتيازات التي يتمتع بها الله وحده دون سواه، ولكن مع ذلك نجد أن جميع هذه الصفات والإمتيازات يتصف بها المسيح، مما يقطع الشك باليقين بأن المسيح هو الله".[3]

ثانيا: المسيح أصل الموجودات.

يعتقد المسيحيون أن المسيح هو صورة الله غير المنظور، ويقول يوسف حداد أن المسيح: "هو مبدأ خلق الله" أي الخالق مع الخالق سبحانه ويقول شعراء المسيحية

به كل شيء كُوّن   وبدونه لا شيء مما كون

---

١ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ٣١٨ - ٣٢٠

٢ إنجيل يوحنا ٨:٥٦-٥٨، ٥:١٧-٢٤، ١٠:٣٠ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا يوسف دره حداد ٣١٨

٣ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٢٥

ويقول أيضا خدام الإنجيل: "يعلن الكتاب المقدس أن المسيح هو الخالق بسلطانه الذاتي المطلق كالله بقوله: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان".. "الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء، وفيه (بمقتضاه) يقوم الكل". هذه العبارة تعلن عن علاقة المسيح بالخليقة، فهو مصدر الخليقة، وليس منها "الكل به وله قد خلق"، وهو أصل كل الوجود، والخليقة صادرة منه، وبما أنه أصل ومصدر الخليقة فهي بالتبعية تتجه إليه لتجد فيه حفظها وصيانتها".[١] ويقول الشاعر المسيحي:

كان آتيا إلى الكون وقد كان في الكون
والكون به كُوِّن والكون لم يدركه[٢]

ثالثا: وحدة الوجود تحققت في المسيح

تشير عقائد المسيحية الحالية إلى الإيمان الكامل بنظرية وحدة الوجود، وأن حقيقة المسيح هي التي أعطت الوجود لكل شيء، وبالتالي تحققت وحدة الوجود في ذات المسيح، ويستدلون على هذه العقيدة بقول المسيح لأتباعه بعد أن صلى بعد العشاء الأخير ليس من أجل الحواريين فقط، وإنما من أجل جموع المسيحيين، حيث يقول المسيح: "لأجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم، لكي يكونوا بأجمعهم واحدا: أيها الآب كما أنك فيّ، وأنا فيك، فليكونوا هم أيضا فينا،.. لقد آتيتهم المجد الذي آتيتني، لكي يكونوا واحدا، كما نحن فيه، أنا فيهم وأنت فيّ، لكي تتم فيهم الوحدة الكاملة".[٣]

ويقول كذلك: "فالسيد المسيح هو الصلة الذاتية والكونية، والحياتية بين الخالق والمخلوق، فهو محور وحدة الوجود، في كامل التجريد والتنزيه".[٤]

ويستكمل الأستاذ يوسف حداد محاولاته لإثبات عقيدته فيفرد لكل نقطة من النقاط التاليه فصلا يشرح فيه نصوص من إنجيل يوحنا:[٥]

* ما بين المسيح الابن والله وحدة في العمل

---

١ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٤٠

٢ صوفية المسيحية يوسف دره حداد ٣٧١

٣ إنجيل يوحنا ٧:٢٠ ، ٢٣ نقلا عن كتاب صوفية المسيحية ٣٧١

٤ صوفية المسيحية يوسف دره حداد ٣٢٦

٥ من أراد المزيد فليرجع إلى تفصيل هذه العناوين من المصادر التي ذكرناها وغيرها من كتب القوم

* ما بين المسيح الابن والله وحدة في الحياة
* ما بين المسيح الابن والله وحدة في الوجود الإلهي
* المسيح الابن هو المظهر الانساني والكوني لله الآب
* ما بين المسيح الابن والله وحدة في الذات الإلهية.[1]

والمطلع على ما في هذه الأبواب يرى بوضوح اعتقاد المسيحين في وحدة الوجود التي تحققت في شخصية المسيح الذي هو في حقيقته قبضة النور الأصلية عن الآب، وهو المسمى بالابن في وحدة كاملة مع الإله الآب.

رابعا: المسيح له الأسماء الحسنى

يثبت المسيحيون ألوهية المسيح بأنه ليس فقط موصوفا بجميع أسماء الله (الآب) الحسنى بل والاسم الأعظم أيضا، بل ويقولون صراحة أن المسيح هو الخالق،[2] ويستدلون على ذلك بنصوص عديدة لا يسعنا المقام لذكرها أو أمثلة منها لكثرتها، ولأن ما سبق عرضه يوضح المقصود لبحثنا هذا، لذا سأثبت فقط أسماء عناوين ورؤوس الموضوعات، ومن شاء فليرجع إلى المصادر التي نقلنا عنها:

* المسيح هو مؤسس ملكوت الله[3]
* المسيح الابن يعلن أنه "القدير" مثل الإله الآب.
* المسيح الابن يعلن أنه "العليم" مثل الإله الآب.
* المسيح الابن يتمتع بمجد الله الآب في نفسه.[4]
* السيد المسيح هو الملك في ملكوت الله
* أسماء المسيح الحسنى في سفر الرؤيا
  * أنا الأول والآخر، والمبدأ والمعاد مثل الله
  * أنا الحي القيوم
  * هو رب العالمين، الذي يعبده أهل السماء بصفة "الوجود الواجب الوجود".

---

١ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ليوسف دره حداد ٣٢٢ - ٣٢٤

٢ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٤٠

٣ صوفية المسيحية بحسب سفر الرؤيا يوسف دره حداد ١٤٨

٤ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ٣١٨ - ٣٢٠

* هو الجبار، والظافر، والمخلص، والفادي
* ملك الملوك ورب الأرباب، وهو القاضي، العدل
* إنه القدوس الحق، سيد الدنيا والآخرة، والشاهد الأمين
* المسيح يقيم الموتى روحيا وجسديا.[1]

خامسا: المسيح له الاسم الأعظم

فالمسيح "كلمة الله" هو الاسم الأعظم، في أسماء المسيح الحسنى، وقد انفرد به يوحنا في سفر الرؤيا، وفي الرسالة وفي الإنجيل، وهذا دليل وحدة المصدر فيها جميعا.[2]

سادسا: المسيح يدين الأحياء والأموات

يقول خدام الإنجيل: "مكتوب: وتخبر السموات بعدله لأن الله هو الديان، ونحن حين نتصفح الكتاب المقدس نجد أن عمل الدينونة هو للمسيح، ونصل إلى نتيجة حتمية هي أن المسيح هو الله لأنه هو الديان".[3]

ويقول الأستاذ يوسف دره حداد في كتابه صوفية المسيحيةأن: "الديّان، ملك يوم الدين هو الله تعالى نفسه،.. ثم يستطرد قائلا ولكن يظهر أنه يمارس دينونة الخلق (أي حسابهم) بواسطة مسيحه، فبعد وصف يوم الدين، حيث الجالس على العرش هو الديان يقول السيد المسيح: "ها أنا ذا آت عن قريب، وجزائي معي، لأجازي كل واحد بحسب أعماله".[4] ويستطرد الأستاذ حداد قائلا: ويتخذ يسوع لنفسه صفات الله عينها، في تصريحه تعالى يوم الدين فيقول: "أنا الألف والياء، الأول والآخر، المبدأ والمعاد".[5]

---

١ ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٤٢

٢ صوفية المسيحية بحسب إنجيل يوحنا ٣١٨ - ٣٢٠، وبحسب سفر الرؤيا البحث العاشر ١٥٨ - ٢٠٥

٣ مزامير ٥٠:٦ نقلا عن كتاب: ما معنى المسيح ابن الله لنخبة من خدام الإنجيل ٤٤

٤ سفر الرؤيا ٢٢:١٢

٥ سفر الرؤيا ٢١:٥، ٢٢:١٣، صوفية المسيحية بحث ٣٨، صفحة ٢٥٤

ملخص الباب الثاني

١- تعتمد عقيدة المسيحيون على إشارات واردة في إنجيل واحد فقط من أناجيلهم وهو إنجيل يوحنا، ويعترف القساوسة أن التوحيد ثابت في الكتاب المقدس من السفر الأول إلى السفر الأخير. ولا يبقى إلا بعض الإشارات في إنجيل يوحنا.

٢- يشك كثير من علماء المسيحية في نسبة إنجيل يوحنا إلى القديس يوحنا، ويرون أن الإنجيل المتداول بين الناس الآن هو كتاب مزور.

٣- تأثر ثالوث النصارى بكثير من الديانات القديمة التي اعتنقت فكرة الثالوث.

٤- تطورت فكرة الأقانيم عند المسيحية من خلال العديد من المجامع الكنسية التى انعقدت خلال قرون المسيحية الأولى، وأن عقيدة المسيحية لا تدركها العقول بل هي فوق مستوى الإدراك، وأن بساطة التوحيد ينقص من احترام الإله. تعالى الله عما يقوله الظالمون.

٥- أهمية العلم الباطن والرمز في الفكر المسيحي، ومع هذا اختلفوا اختلافا شديدا في حقيقة الأقانيم الثلاثة: وهل هي مظاهر لإله واحد؟ أم أجزاء من إله واحد؟ أم ثلاثة آلهة في اتحاد واحد؟

٦- القول بِقِدَم نور المسيح، فهو - بزعمهم - نور من نور، قبس وقبضة من نور الآب.

٧- أن المنشئ الأزلي للكون أوكل كثيرا من اختصاصاته للوسيط.

٨- أطلق المسيحيون على المسيح جميع الأسماء الحسنى، بل والاسم الأعظم أيضا، وأن قول المسيح: "أنا هو"،[١] هو أعظم تصريح عن حقيقته التي قد لا تدركها عقول العامة.

٩- من الأسماء التي أطلقوها على المسيح "الباب".

١٠- القول بعلم الدورة وأن الخلق يمر بدورات متكررة.

١١- أن المسيح أصل الموجودات، وإليه حساب الناس يوم القيامة، وأنه يغفر وبه حياة الأرواح والأجساد، وبه تحققت وحدة الوجود.

١٢- أن اليهود ساروا على درب الفلاسفة وقالوا بنفس أفكارهم، ثم تبعتهم النصارى حتى وصل التوحيد عندهم إلى التثليث. وبالتالي أصبحت النظرة الفلسفية لازمة لفهم العقيدة المسيحية، التي لا يستطيع العقل البسيط أن يستوعبها.

---

١ صوفية المسيحية يوسف حداد ١:٤٢٩

الباب الثالث

"كلمة الله"

في الإسلام

١- "الكلمة" في اللغة

٢- كلمة الله في القرآن

٣- تأملات حول ميلاد عيسى ويحيى

الباب الثالث: "كلمة الله" في الإسلام

الفصل الأول: الكلمة في اللغة

الكلمة: اللفظة، والجمع: كَلِم، ويقول ابن سيده: الكلام: القول، وقيل الكلام ما كان مكتفيا بنفسه، وهو الجملة، والقول: ما لم يكن مكتفيا بنفسه، وهو الجزء من الجملة.

والكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة. والقرآن كلام الله، وكَلِم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يُحدُّ ولا يُعَدُّ، وهو غير مخلوق، وفي الحديث الشريف: "أعوذ بكلمات الله التامات"، قيل هي القرآن، وإنما وُصف كلامه بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب، كما يكون في كلام الناس". والمسيح كلمة الله قال تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.[1] سمى الله ابتداء أمره كلمة، لأنه ألقى إليها الكلمة، فجاءت البشرى بميلاد المسيح عليه السلام، وهو كلمة الله، لأنه لما أُنتفع به في الدين وبكلامه سمي به، أو لأنه كان بكلمة (كن) من غير أب، أو لاهتداء الناس به، كأن يقال: خالد سيف الله، وحمزة أسد الله.[2]

الفصل الثاني: "كلمة الله" في القرآن

ورد تعبير "كلمة الله" ومرادفاتها في ما يزيد على خمسين موضعا في القرآن الكريم، لا يستطيع أي باطني أن يجد فيها أي تأويل باطني، فهي واضحة الدلالة على أن "كلمة الله" تعني: "أمر الله"، وكلمات الله لا نهاية لعددها، وكلامه سبحانه صفة من صفاته، يقول الله ﷻ: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾.[3] وقال عز من قائل: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾.[4]

---

١ سورة آل عمران آية ٤٥

٢ لسان العرب لابن منظور ٣٩٢١:٥، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ٣٧٧:٤

٣ سورة الكهف آية ١٠٩

٤ سورة لقمان آية ٣١

ولبيان الدلالة القرآنية للكلمة نختار الآيات التالية:

١- الكلمة بمعنى الوحي قال تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ .[١] كلمه سبحانه وأوحي إليه التوراة. أو صور الوحي المختلفة قال سبحانه: ﴿ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ .[٢] تحصر هذه الآية صور كلام الله تعالى لأنبياءه.

٢- ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾ .[٣] والكلمة مشيئة الله وما سبق من حكمه سبحانه ولا مبدل لكلماته.

٣- ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ .[٤] أي القرآن ورسالاته وذلك قوله: ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما سمعوه﴾ .[٥] يبدلون المعاني المقصودة ويغيرونها على هواهم.

٤- ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا﴾ .[٦] إشارة إلى تمام الشريعة الإسلامية.

٥- ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ .[٧] أي بحججه التي جعلها لكم عليهم سلطانا مبينا

أما فيما يخص المسيح عليه السلام فيقرر القرآن بجلاء تام أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم، يقول تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ .[٨] أي أن الكلمة الملقاة أمر بالوجود، وكيفية هذا الأمر وردت واضحة في قوله تعالى: ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ .[٩] أجابها الوحي بأن قضاء الله وأمره ينفذ بين الكاف والنون فما العجب في ذلك!.

---

١ سورة النساء آية ١٦٤

٢ سورة الشورى آية ٥١

٣ سورة فصلت آية ٥٤

٤ سورة التوبة آية ٦

٥ سورة البقرة آية ٧٥

٦ سورة هود آية ١١٩

٧ سورة الشورى آية ٢٤

٨ سورة النساء آية ١٧١

٩ سورة آل عمران آية ٤٧

الفصل الثالث: تأملات حول ميلاد عيسى ويحيى

تأثرت عقيدة المسيحيين كثيرا بالأسلوب الذي ولد به عيسى عليه السلام من غير أب، وهكذا شاءت إرادة الله ﷻ أن يمتحن إيمان-وتصديق بني إسرائيل، فهم يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق الكون كله وأوجده من عدم، وخلق آدم من تراب من غير أب ولا أم، ثم خلق حواء من آدم ومن غير أم، كما خلق الكون كله وأوجده من عدم، أليس ذلك بقادر على أن يخلق المسيح عيسى من غير أب، وقد أقام الله الحجة الظاهرة الناطقة على اليهود الذين عاصروا ميلاد المسيح عليه السلام:

ها هو النبي الكريم زكريا عليه السلام وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا، وامرأته بلغت سن اليأس من الولد وانقطع حيضها كما أنها أصلا عاقر لا تلد، وشاءت إرادة الله أن يستجيب لدعائه، وها هي الملائكة تأتيه بالبشرى قال تعالى: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا، قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا، قال كذلك قال ربك هو علي هين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا، قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا، فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾.[1]

ينبهنا القرآن الكريم إلى إقامة الحجة كاملة على اليهود حيث يلفت نظرهم إلى هذه المعجزة وذلك بتوقف زكريا عن الكلام ثلاثة أيام وقومه يخاطبونه فلا يجيبهم إلا رمزا.

لعل - والله تعالى أعلم - أن الحكمة من انقطاع زكريا عليه السلام عن الحديث ثلاثة أيام هي إتاحة الفرصة للناس كي يعرفوا ويتناقلوا الخبر فيما بينهم ويسارعوا إلى لقاء زكريا عليه السلام والتأكد بأنفسهم من صمت النبي، حتى إذا انتهت الفترة المعلومة حدثهم وأعلمهم بالمعجزة والآية التى يتأكدون من صحتها فور ميلاد الوليد الذي لم يعرف له سمي من قبل: يحيى عليه السلام.

شاءت إرادة الله ﷻ أن يسبق يحيى عيسى في مولده ببضعة شهور، كما أنهما من أسرة واحدة ويعيشان معا حتى لا تغيب حقيقة معجزة ميلاد يحيى عن الأذهان، فمولده مع انقطاع أسباب الإنجاب عند أبيه الشيخ الهرم وأمه العاقر، أعظم من خلق عيسى عليه السلام الذي ولد من أم شابة تنجب من في عمرها مع انقطاع سبب الأب فقط.

---

١ سورة مريم الآيات ٧ - ١١

ثم تلحق الآية الثانية من جنس الأولى وتعقبها ببضع شهور، فمريم التي عكفت على طاعة الله في المحراب، تخاطبها الملائكة قائلة: ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾.[1] وكذا قوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾.[2]

ولما حان وقت المخاض وضعت مريم البتول وليدها بعيدا عن الناس، ثم عادت به إلى قومها صامتة، ومن اللافت للنظر أن تصمت البتول نفس المدة التي توقفها النبي الكريم زكريا عليهما السلام، أليس وراء هذا الأمر حكمة وتماثل يستحق الإنتباه قبل الخوض في الظنون، ثم ها هو المسيح يخاطب اليهود في المهد، قال تعالى: ﴿فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا، فأتت به قومها تحمله، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا، فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾.[3]

ومن يسلم لقدرة الله ﷻ على إيجاد يحيى عليه السلام مع إنكاره خلق عيسى من غير أب، يقع في تباين كبير، وإذا تأمل هذه الدلالات، ما أصابته الحيرة وناله التناقض:

١- آدم خلق من تراب، بدون أب ولا أم.

٢- حواء لم تنزل من رحم امرأة أي بدون أم.

٣- زكريا الشيخ الفاني وزوجه العاقر التي فات صواحباتها الحيض، تضع بقدرة الله.

٤- يلفت زكريا انتباه قومه إلى المعجزة في ميلاد يحيى بالصمت ثلاثة أيام.

٥- مريم البتول المشهود لها بالصلاح والمعتكفة في المسجد ليل نهار، والتي لم يجرب عليها صغائر الذنوب، كيف تتهم بالفاحشة!، وتستخدم نفس أسلوب زكريا عليه السلام بالصمت ثلاثة أيام إلا رمزا.

٦- المسيح "كلمة الله" يخاطب قومه في المهد ليرد عن أمه ويحدد عبوديته لله ﷻ

---

١ سورة آل عمران آية ٤٢ – ٤٣

٢ سورة آل عمران آية ٤٥ – ٤٦

٣ سورة مريم آية ٢٦ – ٣١

ويعلن رسالته، وتكليف الله له بالصلاة والزكاة ما دام حيا.

ومع هذا فإن الناس انقسموا إلى ثلاث فرق في تفسير "كلمة الله" عيسى عليه السلام:-

١- قوم رأوا أن المرأة لا تلد بدون رجل يعاشرها إما زوجها أو غيره، فقالوا: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾.[1] فهؤلاء أنكروا قدرة الله ولم يتدبروا المقدمات التي وردت في ميلاد يحيى وعيسى عليهما السلام، كما كذبوا خطاب الوليد في المهد ورسالته إلى قومه حين قال لهم: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾،[2] وزاد من جرمهم أن قذفوا المحصنات بالسوء، فهؤلاء هم اليهود الذين غضب الله عليهم لتفريطهم وجحودهم قال تعالى: ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا مبينا﴾.[3]

٢- قوم صدّقوا وآمنوا أن مريم ولدت من غير بشر، إلا أنهم سمحوا للباطنيين والفلاسفة أن يفسروا هذه المعجزة بحسب أهوائهم، فلما قال الأحبار للنصارى: ما ولدت مريم إلا إله ابن إله هو في حقيقته مظهر متجسد لله، أراده الآب ليخلص البشر من خطاياهم، سمعوا لهم وأطاعوهم، فهؤلاء وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.[4] هم النصارى الذين أفرطوا وغالوا فضلوا عن سواء السبيل.

٣- قوم هداهم الله ﷻ وأرسل لهم رسوله بالهدى ودين الحق، وخاطبهم بقوله: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.[5] ودلهم القرآن

---

١ سورة مريم آية ٢٨

٢ سورة مريم آيه ٣٠ - ٣١

٣ سورة النساء آيه

٤ سورة التوبة الآيات ٣٠ - ٣٣

٥ سورة آل عمران آية ٥٩

الكريم إلى الحقائق التاريخية والإيمانية التالية:

* أن زعم اليهود أن عزير ابن الله، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله، ليس قولا جديدا وإنما هم يضاهئون (أي يقلدون ويتبعون) الفلاسفة والباطنيين الذين كفروا من قبلهم.

* أن الأحبار والرهبان هم سبب ضلالهم وأصل فتنتهم.

* أن شريعة الله تأمر بالتوحيد المنزه عن الشرك وعن جهل الفلاسفة وكفرهم.

* أن محمد ﷺ قد جاء بالهدى والفهم الصحيح، وأن الله ناصره ومظهر أمره برغم محاولات اليهود والنصارى وسائر الكفار والمشركين.

* اشتمال قول الله ﷻ على معجزة تاريخية كبرى حين تقرر أن اليهود والنصارى استقوا ضلالهم من أفكار الكافرين الذين جاءوا من قبلهم وذلك قوله تعالى: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾.

فهؤلاء هم المسلمون الذين وجدوا الجواب الشافي فيما أنزل الله، وآمنوا بالرسول الكريم عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله صلوات ربى وسلامه عليه "كلمة الله" وروح منه التي ألقاها إلى مريم رضوان الله عليها، الذي اصطفاه ربه بالكتاب وجعله نبيا.

ملخص الباب الثالث

١- "كلمة الله" في الإسلام لها معنى واضح لا لبس فيه ولا غموض، فالله تبارك وتعالى يقول للشيء كن فيكون، وكلمات الله تعالى تُوجد الأشياء من العدم وفق مراد الله تعالى.

٢- أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، بل إن خلق آدم في عرف الناس أصعب وأشق من خلق عيسى، فآدم أوجده الله تعالى من التراب بلا أب أو أم، بينما عيسى خلقه الله تعالى من مريم وهي أحد النساء الآئي خلقن ويقبلن الولد كغيرها من بنات جنسها.

٣- أن لطف الله تعالى في خلق عيسى قد أظهر الحجة على البشر عامة، وعلى بني إسرائيل خاصة، فقد صاحب مولده، خلق ابن خالته يحيى وفي ظروف أصعب من ميلاد عيسى، فأم يحيى عجوز عاقر، انقطعت أسباب الولد عندها، وتجاوزت سن اليأس، وأبوه شيخ كبير، اشتعل الرأس منه شيبا، ووهن عظمه، فأسباب مولد يحيى منقطعة من جهة أبيه وأمه، فأنَّى يأتيهم الولد، بينما ولد المسيح عليه السلام ولم ينقطع من أسباب ولادته إلا انعدام سبب الأب بينما أمه صالحة للولادة.

٤- تزامن ميلاد عيسى ويحيى وفي عائلة واحدة، لا يخفى حسبها وعلو شأنها وشرف أفرادها، فزكريا عليه السلام نبي كريم، عاش في قومه معززا مكرما، ومريم العذراء البتول وهبتها أمها للعبادة قبل ولادتها، ووفت نذرها، وصدقت مريم مع ربها، وذاع في الناس صيتها وصلاح أمرها، حتى رأى الناس رزقها يأتيها من عند ربها.

٥- مخاطبة عيسى لقومه وإجابته عليهم يوم مولده كان بيانا شافيا، فقد حدد للناس أنه عبد الله ورسوله، ولو كان ابن إله، فما الذي منعه أن يقرر هذا المفهوم من اليوم الأول.

٦- أن القرآن بموقفه من قضية خلق عيسى عليه السلام قد دافع بأقوى وأصدق حجة عن ابني الخالة ومريم التي اصطفاها الله تعالى ابتداء، ثم طهرها لتلقي كلمة الله، ثم اصطفاها بمولد عيسى عليه السلام.

الباب الرابع

تاريخ الباطنية

١- الفتنة الكبرى

٢- أطوار الشيعة

٣- الحركات الباطنية

٤- نشأة دولة الباطن

٥- حركة الترجمة

الفصل الأول

الفتنة الكبرى

١- التخطيط

٢- التنفيذ

٣- مواقف الصحابة

٤- انقسام حزب علي

الفصل الأول: الفتنة الكبرى

بلغ الإسلام على يد أصحاب النبي رضوان الله عليهم مشارق الأرض ومغاربها، ولم يكن هذا ليسعد أعداء الإسلام الذين لم يستطيعوا أن يواجهوه في وضح النهار، فاندسوا كسابق عهدهم مع جميع الرسالات السماوية في صفوف المسلمين يظهرون لهم الإسلام حتى يأمن الناس جانبهم ثم يدسوا على الإسلام وعقيدة أتباعه مالم يكن من هدي نبيهم ﷺ ولما وجدوا في الفاروق عمر رضي الله عنه الدرع الواقي للعقيدة، والراعي الصالح لشئون الإسلام والمسلمين، والقائد اليقظ الذي يقتل كل فتنة في مهدها، لم يجدوا مفرا من قتله فتآمروا عليه ونفذ المؤامرة أبو لؤلؤة المجوسي وراح ينهال على أمير المؤمنين بالخنجر المسموم وهو يصلي بالناس في مسجد رسول الله ﷺ وقد يذهب بعض الكُتَّاب والمؤرخين أن هذه الجريمة فردية قام بها أبو لؤلؤة من نفسه، ولكنا نرى أن وراء هذه الجريمة أيدي أعداء الإسلام ودعاة هدمه من داخله، فوجدوا أن لا سبيل إلى هدفهم إلا بالخلاص أولا من الفاروق رضوان الله عليه، وترى الباطنيون يحتفلون إلى اليوم بذكرى مقتل الفاروق ويسمونه بالعيد الأكبر ويكنون ذلك العبد المجوسي بأبي شجاع الدين، فها هو شيخ الشيعة ووافدهم أحمد بن إسحاق القس يقول "إن يوم قتل عمر هو العيد الأكبر، ويوم الزكاة العظمى ويوم البركة، ويوم التسلية"، ولا شك أن هذا القول وأمثاله مما سنورد عند حديثنا عن الفرق الباطنية ليدل دلالة قاطعة على مدى الحنق والكراهية الذين امتلأ بهما قلوب هؤلاء المجوس على من أطاح بعروشهم وأَفَلَت على يديه دولتهم.

إن الفاروق رضي الله عنه صاحب الفراسة الثاقبة لم يكن ليغفل عما يدبره أعداء الإسلام من مؤامرات ولكن فهمه الحقيقي للإسلام جعله يقول يوما ما: "إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وأن الوحي انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنه"، وهكذا كان عمر رضي الله عنه قدوة للأمة ومثلا يحتذى به، ويمثل قتله ولقاؤه ربه شهيدا كسر الباب الذي كان يحول بين الأمة والفتنة، فبدأت الفتن تتوالى عليها كقطع الليل المظلم، فتنا تجعل الحليم حيران، وسنحاول بإذن الله وتوفيقه أن نلقي بعض الضوء على الأحداث التي توضح لنا كيف تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام، وما وراء ذلك من أيد حاقدة لها بصمة واحدة.

أولا: التخطيط

بعد أن قتلت يد الغدر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بويع الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وسار على درب صاحبيه أبي بكر وعمر. وأرسل طلائع الهداية والنور إلى مشارق الأرض ومغاربها، فاتسعت الأمصار ودانت رقاب الشرك تحت راية التوحيد، ولم يجد أعداء الإسلام طريقا يسلكونه إلا إحداث الفرقة بين المسلمين، ومن ثم ظهر على الساحة عبدالله بن سبأ،[1] وهو رجل يهودي " من أهل صنعاء أمه سوداء أسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول إضلالهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لَعَجَبُ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله ﷻ: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾.[2] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقُبِلَ ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان عليٌّ وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ. ووثب عليا وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة، ثم قال بعد ذلك: أن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤا بالطعن على

---

١ يرجع إليه تسمية فرقة السبئية، وقد ذكره علماء الفرق من السنة والشيعة وأجمعوا على أنه أول من قال بألوهية علي بن أبي طالب، راجع من كتب السنة: الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي الإسفرائيني ٢٣٣-٢٣٥، الملل والنحل للشهرستاني ١١:٢، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٣٠:٧، مقالات الإسلاميين للأشعري ٥٠:١، تاريخ الطبري ٩٨:٥-٩٩، البداية والنهاية ١٦٧:٧، تاريخ ابن خلدون ١٣٩:٢ تحت عنوان الانقضاض على عثمان، ولسان الميزان للذهبي ٢٨٩:٣ ، التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفرائيني ١٠٩،... ومن كتب الشيعة: المقالات والفرق لسعد بن عبدالله الأشعري القمي المتوفي سنة ٣٠١هـ ص ٢١، فرق الشيعة للنوبختي ٤١-٤٢، ورجال الكشي ١٠٠-١٠١، وكتب الرجال للحلي ٤٦٩ ، تاريخ شيعي: روضة الصفا باللغة الفارسية ٢٩٢:٢، منهج المقال ٢٠٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٩:٢، رجال الطوسي ٥١، قاموس الرجال للتستري ٤٦٣:٥، تحفة الأحباب لعباس القمي ١٨٤، روضات الجنان الخوانساري، ...

٢ سورة القصص آية ٨٥

أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس".[1] إذن فها هي أصابع اليهود تظهر ثانية، ويرتدى ابن سبأ - أو ابن السوداء - ثوب المسلمين ويندس وسط جموعهم، ويجد في أهل مصر من يستمع إليه وهم حديثوا عهد بالإسلام، وكانوا من قبل يؤمنون برجعة عيسى، فما يمنع من رجعة رسول الله ﷺ.

برغم أن بعض المؤرخين ينفي وجود هذه الشخصية أصلا، إلا أن الأحداث التي وقعت تشير إلى وجود أصابع خفية - لا يمكن إنكارها - تُدَبر في الخفاء ثورة على ذي النورين تؤلب الناس في عدة بلدان، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الثالث بعث رجالا إلى الأمصار يتأكدوا من صحة ما وصل إليه من أخبار، كما دعا إلى اجتماع في موسم الحج حضره عمال الأمصار منهم معاوية بن أبي سفيان، وعبدالله بن أبي سرح وسعيد وعمرو بن العاص وعبدالله بن عامر، وطلب مشورتهم فكان مما قاله سعيد بن العاص: "هذا أمر مصنوع يُصنع في السر، فَيُلْقِى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيُتَحَدَّث به في مجالسهم".[2]

فلما عاد عثمان إلى المدينة رد الأمراء إلى بلادهم، وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودعه وخرج: "يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قِبَل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا،

فقال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي،

قال: فأبعث إليك جندا منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة لنائبة إن نابت المدينة أو إياك؟

قال: أنا أُقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند مُساكِنِهم[3]، وأُضَيِّق على أهل دار الهجرة والنصرة،

قال معاوية رضي الله عنه: والله يا أمير المؤمنين لتُغْتَالن أو لتغزين،

قال عثمان رضي الله عنه: حسبي الله ونعم الوكيل.[4]

---

١ تاريخ الطبري ٤٨١:٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٧٧:٣ ، البداية والنهاية لابن كثير ٧٥:٧، تاريخ الإسلام لمحمود شاكر ٢٤٢:٣

٢ تاريخ الطبري ٤٨١:٤

٣ يخشى عثمان رضي الله عنه أن يستقدم جيشا يدافع عنه، فيضيق على أهل المدينة جيران النبي ﷺ كما يخشى أن يشتعل القتال بين طائفتين من المسلمين فيلقى عثمان ربه وفي رقبته دم مسلم واحد أريق في سبيله.

٤ تاريخ الطبري ٤٨٣:٤

فلما ودَّع معاوية عثمان خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلدا سيفه متنكبا قوسه، فإذا هو بنفر من المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم، فقام عليهم فتوكأ على قوسه بعدما سلَّم عليهم ثم قال: "إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذا الناس يتغالبون إلى رجال فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته من يرأسه ويستبد عليه، ويقطع الأمر دونه ولا يُشْهِده ولا يؤامره، حتى بعث الله ﷻ نبيه ﷺ وأكرم به من اتبعه، فكانوا يُرَئِّسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم، يتفاضلون بالسابقة والقُدْمة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك، وقاموا عليه كان الأمر أمرهم، والناس تَبَعٌ لهم، وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالُب سُلُبوا ذلك، ورده الله إلى من كان يَرْأسهم، وإلا فليحذروا الغِيَر فإن الله على البَدْل قادرٌ وله المشيئة في ملكه وأمره، إني قد خلَّفت فيكم شيخا، فاستوصوا به خيرا، وكانِفوه، تكونوا أسعد منه بذلك، ثم ودعهم ومضى، فقال علي: ما كنت أرى أن في هذا خيرا!، فقال الزبير: لا والله ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه الغداة".[1]

١ تاريخ الطبري ٤٨٢:٤

ثانيا : التنفيذ

وفي شوال سنة ٣٥ من الهجرة خرجت ثلاثة جيوش من مصر ومعهم ابن السوداء وكذا من الكوفة والبصرة كأنها تريد الحج، واجتمعت قبل دخول المدينة بمسيرة ثلاث أيام،[1] وانتهى بهم الأمر بمحاصرة بيت الخليفة، وتأليب الناس عليه، ويدافع الخليفة عن نفسه ويُشهد أكابر الصحابة على صحة مواقفه، حتى ظهرت براءته ونقاء ساحته، فجعلوا يتتبعون أمير المؤمنين في الجدال وهو غالب وظاهر عليهم، حتى قال لهم في النهاية ماذا تريدون؟، فأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه خمسة شروط أو ستة وهي: "أن المنفي يقلب (أي يعود)، والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة"، فكتبوا ذلك في كتاب.[2] وأخذ ذو النورين عليهم العهود أن لا يشقوا عصا الطاعة، ولا يفرقوا جماعة، فاستجاب الثائرون واتفقوا مع الصحابة على الرجوع من حيث جاءوا، فلما وجد زعماء الفتنة أن نارها بدأت تخبوا تخلف في المدينة كل من حكيم بن جبلة - أمير إحدى فرق جيش البصرة - والأشتر وهو أمير إحدى فرق جيش الكوفة وذلك للتخطيط وإشعال نار الفتنة.

وبينما جيش العراق سائرا في طريقه نحو الشمال الشرقي، والمصريون في طريقهم نحو

---

١ خرجت الجيوش منظمة تنظيما واحدا يضم كل منها أربع فرق، كأنها تريد الحج ويرأس فرق جيش مصر عبدالرحمن بن عدس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة السكوني، وقائدهم الأعلى الغافقي بن حرب العكي، وكان معهم عبدالله بن سبأ، ويرأس جيش الكوفة زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم عمرو بن الأصم، أما جيش البصرة فأميرهم حرقوص بن زهير السعدي، ويتكون أيضا من أربع فرق يرأسها حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن القيسي، وابن المحرش بن عبد عمرو الحنفي وعددهم أيضا كعدد جيش مصر، ودخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

٢ كان الزاحفون على المدينة فريقين: رؤساء خادعين، وأتباع مخدوعين، بثت فيهم الدعايات التي حركتهم، وظنوا أن هنالك منفيين مظلومين، ومحرومين سلبوا حقهم... ويشهد أعلام التابعين كالحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي على وفرة الأعطيات والأرزاق، والخير الذي عم الجميع حتى الإماء والعبيد. راجع العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي ١٣٣

الغرب إلى ساحل البحر الأحمر ثم إلى الشمال إذ تعرض للمصريين راكب يحمل رسالة مزورة على لسان عثمان إلى عامل مصر يأمره بقطع أيديهم وأرجلهم إذا قدموا مصر، كما تعرض لجيش العراق راكب آخر إلى جيش العراق، والعجيب أن تعود الجيوش الثلاثة في وقت واحد إلى بيت الخليفة رضي الله عنه، ثم أتوا عليا رضي الله عنه، فأجابهم قائلا: "كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ هذا والله أمر أبرم في المدينة،[1] وفي رواية أخرى: "إنما هذا أمر اتفقتم عليه".[2]

عندئذ اتضح للجميع معالم المؤامرة، ويرد الثوار بوقاحة وجرأة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقولهم: "ضعوه كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا ونحن نعتزله"، يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا.

ولقد دخل - أثناء الحصار - الصحابي الجليل عبدالله بن عمر على عثمان رضي الله عنهما، "فقال له عثمان: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون اخلع نفسك أو نقتلك، قال له ابن عمر: أمخلد أنت في الدنيا؟ قال: لا، قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا، قال: فلا تخلع قميص الله عنك، فتكون سنة، وكلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه".

أما عثمان فإنه مطمئن بالله ﷻ لا يفارقه حديث رسول الله ﷺ له الذي يقول فيه: ﴿ يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله فلا تخلعه، فلا تخلعه، فلا تخلعه ﴾.[3]

لذلك نرى عثمان رضي الله عنه يأمر الذين عنده من المهاجرين والأنصار قائلا: "أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله"، وقال لمواليه: "من غمد سيفه فهو حر"، وعثمان رضي الله عنه متبع في هذا لهدي المصطفي ﷺ حيث يقول في الفتنة: "كسروا فيها قسيكم، وقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم"،[4]

---

١ تاريخ الطبري ١٠٥:٥

٢ البداية والنهاية لابن كثير ١٨٢:٧

٣ رواه الترمذي في سننه وابن ماجة أيضا من حديث النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنهما، وحسنه الترمذي وقال: حسن غريب، ورواه الإمام أحمد في مسنده: إن الله لعله يقمصك قميصا فإن أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه، "ثلاثا".

٤ أخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعري حديث ٢٢٠٤، وقال حديث حسن غريب صحيح.

وعثمان رضي الله عنه يخشى أن يكون أول من أعمل السيف في الإسلام، ويعلم أن السيف لن يرفع إلى قيام الساعة، وبهذا أخبر المعصوم ﷺ: ﴿إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة﴾.[1] ولا شك أن من يتصرف بهذه الطريقة - لا ينسى بطبيعة الحال - يوم وقف مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر على جبل أحد واهتز الجبل، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان﴾.[2]

وضع عثمان رضي الله عنه كل هذه المعاني نصب عينيه طوال مدة الحصار، حتى أصبح يوما: "فأعتق عشرين مملوكا، ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه"،[3] فلقي ربه صابرا طاهرا صائما تاليا كتابه، لم يسكته إلا خنجر الخائنين لله ورسوله، فوقع دمه على قوله تعالى: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾.[4]

---

١ أخرجه الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه، حديث ٢٢٠٢، وقال حديث حسن صحيح.

٢ أخرجه البخاري في مناقب عثمان حديث رقم ٣٤١٠، وأبو داود كتاب السنة ٤٦٥١، والترمذي في المناقب حديث ٣٦٩٧، وفي رواية أحمد: اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ١١٢:٣

٣ رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٧٣:١ رقم ٥٣٦ ، والفتح الرباني ١١٣:٢٣ عن نائلة امرأة عثمان رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم عن ابن عمر وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه الهيثمي وأبو يعلى في الكبير ورجالهما ثقات، وإسناده صحيح

٤ سورة البقرة آية ١٣٧

ثالثا: مواقف الصحابة

وإذا أردنا أن نعرف موقف علي رضي الله عنه من هذه الأحداث، فلنقرأ إجابته على سعيد الخزاعي إذ يقول: "لقيت عليا بعد الجمل فقلت له: أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره؟ قال: إن عثمان كان إماما، وإنه نهى عن القتال، وقال: من سل سيفه فليس مني!! فلو قاتلنا دونه عصيناه، قال: فأي منزلة وسعت عثمان إذ استسلم؟ قال: المنزلة التي وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين﴾ .[1]

كما تمسك كثير من الصحابة بنصيحة النبي ﷺ لهم أن ينصروا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانوا يدركون أنه على الحق ومن معه، ولولا موقف عثمان من رفض القتال لنصرته ما تأخر عن نصرته من الصحابة أحد، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن مرَّة البهزي قال: ﴿ بينما نحن مع نبي الله ﷺ في طريق من طرق المدينة، .فقال: كيف تثور فتنة في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟ قالوا ماذا نصنع يا نبي الله؟ قال عليكم هذا وأصحابه، أو اتبعوا هذا وأصحابه، قال: فأسرعت حتى عطفت على الرجل. فقلت: هذا يا نبي الله؟ قال: هذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾.[2]

ولم تهدأ الفتنة بقتل الخليفة بل استعرت نارها، وذلك أن المدينة بقيت خمسة أيام أميرها الغافقي بن حرب، وكان إتفاق الثوار على قتل عثمان رضي الله عنه، إلا أنهم لم يتفقوا حول من يخلفه، فالمصريون يريدون عليا، والبصريون هواهم مع طلحة بن عبيدالله، والكوفيون يرغبون في الزبير بن العوام، وكلما طلب الناس من يريدونه للإمامة أبى واختبأ منهم، حتى قال بعضهم: إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر، لا نأمن اختلاف المسلمين وفساد الأمة، فعادوا إلى علي فأخذ الأشتر بيده وكان أول من بايعه، وانقسم الناس إلى مذاهب شتى:

١- قَبِلَ علي رضي الله عنه الخلافة لجمع شمل الأمة ورأى أن يبدأ بإعادة الأمن

---

١ سورة المائدة ٢٨، العقد الفريد لابن عبد ربه، نقلا عن العواصم من القواصم للقاضي أبو بكر بن العربي صفحة ١٤٠

٢ أخرجه أحمد في مسنده من حديث هرمي بن الحارث، وأسامة بن خزيم، ومرة البهزي، وزائدة أو مزيدة بن حوالة رضي الله عنهم في أحاديث ١٩٨٣٩٣، ١٩٨٤٠ ، ١٩٨٤٢، الجزء الخامس صفحة ٣٣

للمدينة، وهذا لا يكون إلا بعودة الثوار إلى بلادهم، ثم باختيار ولاته على الأمصار، ثم بعد استقرار الدولة ينظر في إقامة الحد على قتلة عثمان بعد محاكمتهم والتحقيق معهم، وهو لا يستطيع أن يبدأ بالقصاص وهو غير قادر عليه والمدينة بين أيدي الثوار.

٢- يرى معاوية رضي الله عنه أن جزءا من المسئولية يقع على علي وطلحة والزبير، حيث لم يقوموا بحماية الخليفة ودرء السبئية[١] عنه، وأن وجود قتلة عثمان في معسكر علي أمر خطير، وأنه ينبغي القصاص منهم، ولو استعان علي بمعاوية في ذلك الأمر، ما تأخر، ولتمكن بجيشه نن تأديب الخارجين على الدولة الإسلامية واستعادة هيبتها، لذلك لما بعث علي رسله إلى معاوية رضي الله عنهما يدعوه إلى البيعة جمع رؤوس أهل الشام، ومعهم عمرو بن العاص "فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان"، ثم اجتمع معاوية ورسل علي الذين دعوه إلى الجماعة والطاعة، قال: "أما بعد فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فمعنا هي، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه، ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلة عثمان، فليدفعهم إلينا حتى نقتلهم به، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة"، وقال لرسولين آخرين: "قولا لعلي فليقدنا من قتلة عثمان، ثم أنا أول من يبايع من أهل الشام". ومن المعلوم أن معاوية لم يحرك جيشا إلا عندما علم بتحرك جيش علي من الكوفة إلى الشام، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء، بل كان من أشد الناس حرصا على أن لا يكون قتال"[٢].

٣- جمهور الصحابة اعتزلوا الفتنة وهم يومئذ يزيدون على مئة ألف، عملا بحديث رسول الله ﷺ عن الفتنة الذي يقول فيه: ﴿ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به ﴾.[٣]

ولما استطار الشر بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، طالب طلحة والزبير بالقصاص من قتلة عثمان، كما سعيا في نفس الوقت للقيام بدور في الإصلاح بين علي

---

١ السبئية: هم أتباع ابن سبأ

٢ منهاج السنة لابن تيمية ٢:٢١٩

٣ متفق عليه، أخرجه البخاري في المناقب من حديث أبي هريرة رقم ٣٣٣٤، ومسلم في كتاب الفتن حديث ٢٨٨٦، وأحمد في مسنده ٢:٢٨٢، ٥:٤٢٩

ومعاوية رضي الله عنهما، فحثوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تخرج، فقد يراعي الناس حرمة أمهم زوج النبي ﷺ. فيكفوا أيديهم عن الاختلاف، فكان ما عرف بعد ذلك بواقعة الجمل. وقد ورد ما يؤيد هذا في الحديث الشريف: ﴿أن عائشة لما بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمين فيصلح الله ﷻ ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب﴾.[1]

---

١ أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٧٣٣

رابعا: انقسام حزب علي

نجح الثوار في إقناع علي بالخروج إلى العراق ليكون على مقربة من الشام، وهم يضمرون إخراج علي إلى ديارهم ليكونوا في مأمن من القبض عليهم ومحاكمتهم، وبرغم نصيحة كثير من الصحابة لعلي بعدم الخروج ومنهم ابنه الحسن سبط رسول الله ﷺ إلا أنه حاول أن يدعوا بعض الصحابة للخروج معه منهم أهبان بن صيفي الغفاري رضي الله عنه فقال له: ﴿إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن اتخذ سيفا من خشب، فقد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك﴾.[1]

ولا يفوتنا ونحن نتتبع نشأة الشيعة ومراحل تطورها، أن ننوه على أن قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه كانوا في صفوف علي رضي الله عنه، وهم يعلمون أن إطفاء نار هذه الفتنة، سيوفر متنفسا من الوقت لمحاكمتهم والقصاص منهم على جريمتهم التى أيقظت الفتنة في الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة. بل إنهم هددوا عليا أن يقتلوه كما قتلوا عثمان من قبل عندما حذرهم من خدعة التحكيم وقالوا له: "يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم، أو نفعل ما فعلنا بابن عفان، إنه أبى علينا أن نعمل بما في كتاب الله فقتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك".[2] لذا فعندما أوشكت وساطة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التيمي بين أصحاب الجمل وبين علي أن تؤتي ثمارها ويحل السلام بين الفريقين، تدخلت أيدي السبئية لإفساد كل شيء، يقول ابن كثير: "فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين... وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، وقد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على نشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس،[3] وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا انسلالا"،[4] وألقوا سهامهم على أصحاب الجمل، وهكذا أنشبوا الحرب بين علي وأخويه طلحة والزبير، فظن أصحاب الجمل أن عليا

---

١ أخرجه الترمذي حديث ٢٢٠٣

٢ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ١٢١:٥

٣ الغلس : ظلام آخر الليل وهو أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق، والغدو الخروج أول النهار

٤ تاريخ الطبري ٢٠٢:٥، ٢٠٣، البداية والنهاية لابن كثير، منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٨٥:٢، ٢٢٥:٣، ٢٤١، والعواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق العلامة محب الدين الخطيب ١٥٩ .

غدر بهم، وظن أصحاب علي أن إخوانه غدروا به. وقد استخدم الخونة أعداء الإسلام نفس الأسلوب عندما أوشك علي ومعاوية على الوصول إلى طريقة تعصم المسلمين من استمرار إراقة الدماء، وعندما قبل الطرفان مبدأ التحكيم، خرج الخوارج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه،[1] والخوارج: وهم الذين وافقوا أولا على التحكيم ثم رفضوه، وحنقوا على أميرهم بعد أن قبل التحكيم، وراحوا يرفعون شعار "إن الحكم إلا لله"، ولما سمعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال قولته المشهورة: "كلمة حق أريد بها باطل"، وهم قوم أنبأ رسول الله ﷺ عنهم وبلغنا بأوصافهم في الأحاديث المتواترة، منها ما يرويه أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ﴿بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قال: عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه، قال: دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،... آيتهم رجل إحدى يديه (أو قال ثدييه) مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر،[2] يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: أشهد سمعت النبي ﷺ وأشهد أن عليا قتلهم، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ ﴾.[3] وفي حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه: ﴿قلت لسهل بن

---

[1] وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول لعلي رضي الله عنه: يا علي إن فيك من عيسى عليه الصلاة والسلام مثلا: أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها، قال وقال علي: ألا وإنه يهلك في محب مطرئ يفرطني بما ليس في، ومبغض مفتر، يحمله شنآني على أن يبهتني". رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ١٢٣:٣، وقال: صحيح الإسناد، وعلق عليه الذهبي بقوله: وهاه يحيى بن معين، وفي إسناده الحكم بن عبدالملك وهو ضعيف. ، ورواه البزار مختصرا، وفي إسناده محمد بن كثير القرشي وهو ضعيف، ورواه أبي يعلى أتم منه، ومن طريق الحكم بن عبدالملك وهو ضعيف، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٣٣:٥

[2] تدردر أي تضطرب وتهتز وتتحرك

[3] أحاديث ذم الخوارج متواترة عن الصحابة رضي الله عنهم منهم: عبدالله بن عمر وابن عباس وعلي وأبوسعيد الخدري وسهل بن حنيف وجابر بن عبدالله وأبو ذر وأنس بن مالك، وأخرج هذه الأحاديث البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وأحمد وابن حبان وابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط والصغير.

حنيف هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئا قال: سمعته يقول وأهوى بيده قِبَلَ العراق، يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية ﴾.[1] ويتمسك الخوارج بنصوص لا يدرون معناها ولا المراد منها، وظهر على أيديهم مبدأ تكفير من لا يوافقهم في الرأي، ولذلك تراهم وهم يخرجون في أول الأمر لنصرة علي، ينقلبون عليه بعد قبوله التحكيم، بل ويعلنون تكفيره وحزبه، وكذا معاوية وحزبه، وأيضا من اعتزل الفتنة من الصحابة، فصار الجميع في نظرهم كفارا مارقين من الدين، وفي النهاية تآمروا على الأمة بأسرها وأرسلوا من يقتل عليا ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، وقد انقسم الخوارج إلى أحزاب عديدة أهمها: "الأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة، والثعالبة، والصفرية".

ويبقى في معسكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة غالت في شأنه، ومن نسل هؤلاء ظهرت فرق الشيعة: وهي أول الفرق الباطنية وأكبرها خطرا على الإسلام، وقد انقسمت إلى العديد من الفرق، أشهرها:

* الشيعة الإمامية الإثنا عشرية والتي تسمى أيضا الشيعة الجعفرية.

* الباطنية أو غلاة الشيعة، وتلك فرق ظهرت فيما بعد انشقت عن الشيعة وغالت عنها، وهم: الإسماعيلية، والدروز، والنصيرية (أو العلويون).

وسنحرص في الفصل التالي على تتبع نشأة هذه الفرق من الناحية التاريخية، ثم نفرد بتوفيق الله تعالى بابا مستقلا لبيان عقائد كل منها، وكيف تسربت أفكار اليهود والنصارى وأصبحت دين مختلف تمام الإختلاف عن الإسلام الحنيف، وسيظهر هذا البحث جوانب من إعجاز حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ﴿أن النبي ﷺ قال: لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا (سلكوا) جحر ضب تبعتموهم (لسلكتموه)، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن!!﴾.[2]

---

1 أخرجه البخاري من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه حديث رقم ٦٤٢٢

2 متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٩٧، وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ٦٧٧٥، ومسلم في كتاب العلم ٢٦٦٩، وأحمد في مسنده ٣:٨٩،٩٤

الفصل الثاني

أطوار التشيع

١- بداية الشيعة

٢- الشيعة وأبناء علي

٣- جعفر الصادق

الفصل الثاني: أطوار التشيع

أولا: بداية الشيعة

بدأت الشيعة بأفراد يرون عليا رضي الله عنه أولى بالخلافة من عثمان، وأنه أحق الناس بالخلافة بعده، وربما كانوا يطمعون في خلافة علي للنبي ﷺ إلا أن مكانة الشيخين وحكمتهما في إدارة شئون الدين والدنيا، أخرست صوت هؤلاء، وبالتالي لم يجرؤ أحد في هذه الآونة أن يفضل عليا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يكن ابن سبأ ليقدر وحده على إشعال الفتنة وتحريك جيوشها إلا إذا وضع لهم هدفا دينيا يسعون لتنفيذه، فكان أن غالى في شأن النبي ﷺ حين نادى بالرجعة، ثم جعل عليا وصيا على الدين، كما كان يؤمن اليهود في وصاية يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام، وقد تنبه علي رضي الله عنه إلى خطورة ابن السوداء وأراد قتله، ويشهد على ذلك علماء الشيعة أنفسهم، ومنهم النوبختي وهو أول من كتب في فرق الشيعة في القرن الثالث الهجري، كتب يقول: "السبئية: أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وقال: إن عليا عليه السلام أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم آل البيت، وإلى ولايتك، والبراءة من أعدائك؟ ... فصيره - أي نفاه - إلى المدائن.[1]

ولا شك أن هذا النفي بعيدا عن أعين أمير المؤمنين، قد أتاح لهذا اليهودي الحاقد فرصة أوسع للخوض في الفتنة وتوسيع شقة الخلاف، لذلك نراه ينتقل إلى مرحلة ثانية من مراحل غلوه بعد مقتل علي رضي الله عنه، فنراه حينما بلغه نعي علي بالمدائن يقول للذي نعاه: "كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض"،[2] وبذلك يضيف إلى أفكاره وأفكار الباطنية من بعده: غيبة الإمام، ثم رجوعه آخر الزمان.

وتتفق مصادر السنة والشيعة على أن عليا رضي الله عنه شاهد غلو شيعته بنفسه، فقد حدث "أن مر علي بن أبي طالب بقوم وهم يأكلون في رمضان نهارا فقال: أسفر أم

---

١ فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ٤١-٤٢ ، وهو من أعيان الشيعة في القرن الثالث، والكتاب مطبوع في المطبعة الحيدرية النجف ط ١٩٥٩ م

٢ فرق الشيعة للنوبختي ٤١-٤٢

مرضى؟ قالوا: لا ولا واحدة منهما، قال: فمن أهل الكتاب أنتم، فتعصمكم الذِّمة والجزية؟، قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في نهار رمضان، فقاموا إليه فقالوا: "أنت أنت".[1] فنزل عن فرسه، وألصق خده في بالأرض، وقال: ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم مرارا، فأقاموا على كفرهم، فحفر لهم حفرا دخّن عليهم طمعا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم".[2]

وقد أشار البخاري في صحيحه إلى هذه الواقعة في باب النهي عن التعذيب أو القتل بالنار، وذلك في الحديث الشريف عن عكرمة: "أن عليا حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال: ﴿لا تعذبوا بعذاب الله﴾ ولتقتلنهم كما قال النبي ﷺ ﴿من بدل دينه فاقتلوه﴾.[3] ولا ندافع هنا عن هذا الفعل وإنما نقول لعل عليا أدرك أنهم أبناء المجوس عبدة النار فأحرقهم بما كانوا يعبدون.

---

١ يومئون إلى ربوبيته أي أنت ياعلي الله

٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٩:٢

وتعليقنا على هذه القصة: إن هذا لشيء عجيب، أن يسقط الباطنيون التكاليف ويجهرون بالإفطار نهارا في رمضان، ويعتمدون على ظنهم اعتقادهم في علي الذي عبروا عنه بقولهم: "أنت أنت"، وهي نفس مقولة اليهود في عزير، والنصارى في عيسى عليه السلام.

٣ أخرجه البخاري في الجهاد والسير حديث ٢٧٩٤، وأحمد ٢١٧:١، ٣٢٢،٢٨٢، وأبو داود في الحدود ٤٣٥١، والترمذي في الحدود ١٤٥٨، والنسائي في تحريم الدم ٤٠٦٠، ٤٠٦١، وابن ماجة في الحدود ٢٥٣٥، وأخرج البخاري حديث ٢٧٩٣ والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "وإن النار لا يعذب بها إلا الله" وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود في الجهاد ٢٦٧٤ وأحمد ٣٠٧:٢، ٣٣٨، ٤٥٣، والدارمي في السير ٢٤٦١

ثانيا: الشيعة وأبناء علي

راحت الشيعة بعد مقتل أمير المؤمنين علي تحت ابنه الحسن رضـي الله عنهما ليمد يده فيبايعه الناس خليفة للمسلمين، وكان أول من بايعه قيس بن سعد، وبقي الحسن في الخلافة ستة أشهر، رأي خلالها انقسام الأمة ووقوفها على حافة الإختلاف، وقد تشتعل الفتنة ثانية في أي لحظة، فآثر وحدة الأمة على قلب رجل واحد، على أن ينال الخلافة، لذا دعا معاوية إلى الصلح فوافق رضي الله عنه، وبعد وفاة رسول الله ﷺ بثلاثين عاما وبالتحديد في ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ هـ بالتمام والكمال، تنازل الحسن عن الخلافة إلى معاوية وصالحه على ذلك، حقنا لدماء المسلمين وتحققت بذلك نبوءة رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين﴾.[1] فاجتمع بذلك شمل الأمة لأول مرة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، حتى أطلق الناس على هذا العام عام الجماعة.

غضبت الشيعة على الحسن (الإمام الثاني عندهم) غضبا شديدا وأطلقوا عليه لقب مسود وجوه المؤمنين، وما زالوا إلى اليوم يفضلون الحسين على الحسن رضي الله عنهما، ويظهرون هذا التفضيل بقولهم: "كان الحسن والحسين كفرسي رهان، مع ما خُص به الحسين عوض الشهادة، وبأن جُعِل الشفاء في تربته (أي عند قبره)، والدعاء مستجاب تحت قبته، والأئمة من ذريته، ولا تعد أيام زائرة جائيا وراجعا من عمره".[2]

أرأيت ما يتميز به الحسين على أخيه الحسن رضي الله عنهما عند الشيعة:

١- الحسن لم ينل الشهادة، مع أن أحاديث رسول الله ﷺ لم تفاضل بينهما بل تقرر أن: "ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما".[3]

٢- أن تربة قبر الحسين فيها الشفاء، والدعاء مستجاب عند قبته، وأن أيام زيارة قبره لا

---

١ أخرجه البخاري في كتاب الصلح وفي كتاب المناقب من حديث أبي بكرة رقم ٣٣٥٧، والنسائي في سننه كتاب الجمعة حديث ١٤١٠، ورواه عبدالرزاق في مصنفه ١١:٤٥٢، ولفظه ابني هذا سيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين

٢ الأنوار النعمانية للشيعي نعمة الله الجزائري هلك سنة ١١١٢ هـ

٣ رواه ابن عساكر عن علي وابن عمر، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم ٤٧ - ١٨، ورواه الطبراني بعدة طرق وبعض رجالها ثقات، وأورده ابن الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩:١٨٢، ١٨٣، وورد في بعض طرقه زيادة إلا ابني الخالة يحي وعيسى.

تعد من عمر الزائر، بمعنى أنه يزاد في عمره بمقدار الزيارة.

٣- حصر أئمتهم في ذرية الحسين فقط، ومن العجيب أن تكون أئمتهم الإثنا عشرة ليس فيهم واحد من نسل الحسن رضي الله عنه. فكأنهم رفضوه ونسله من بعده حين صالح معاوية وحقن دماء المسلمين.

لما مات الحسن بايعت الشيعة الحسين رضي الله عنهما، وألحوا عليه في الخروج ثم خذلوه كما خذلوا والده رضي الله عنهما، حتى قتل، ثم بايعوا ابنه من بعده علي زين العابدين رضي الله عنه - وهو الإمام الرابع عندهم - وقد تحقق لهم في شخصة عصبية أخرى بالإضافة إلى تشيعهم لآل البيت، وهي أن أمه هي الأميرة شهربانو ابنة يزدجرد إمبراطور فارس التي وقعت أسيرة لجيوش الفتح الإسلامي، وتزوجها الحسين رضي الله عنه، وبالتالي أصبح الفرس أخوال علي زين العابدين، ثم انحصرت في نسله.

كما تشيعت فرقة تقول بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المشهور بمحمد ابن الحنفية نسبة إلى أمه التى كانت من بني حنيفة، وسميت هذه الفرقة بالكيسانية.

ثالثا: مرحلة جعفر الصادق

قبل أن نتناول حركة الشيعة المعاصرة لجعفر الصادق، نشير إلى مرحلتين هما:

١- مرحلة الإمام الرابع علي زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ: حيث دارت أفكار أغلب الشيعة ما عدا السبئية، حتى وفاة علي زين العابدين رضي الله عنه حول موالاة آل البيت، ويروي أقدم كتاب شيعي في الرجال رأيا لعلي زين العابدين في ابن سبأ يقول فيه: "لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمرا عظيما ما له، لعنه الله، كان علي والله عبدا لله صالحا آخا رسول الله، وما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله.[١]

٢- مرحلة الإمام الخامس محمد الباقر المتوفي سنة ١١٤ هـ، وأخيه زيد بن علي زين العابدين المتوفى سنة ١٢٢ هـ:[٢] حيث افترقت الشيعة إلى غلاة تشيعوا لمحمد الباقر، وزيدية تشيعوا لزيد، وسبب ذلك أن زيدا سئل ذات يوم عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟ فترحم عليهما، فأنكروا عليه فقال لهم زيد: رفضتموني، فسموا الرافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم ينكر عليه من الشيعة زيديا، فلما خرج زيد على هشام بن عبدالملك وقاتله حتى قتل، فر ابنه يحيى من الكوفة إلى بلخ سنة ١٢٥ هـ، ودعا الناس أن يبايعوه سرا حتى قتل.[٣]

ينسب أكثر دعاة الباطنية ظهور فرقهم إلى الإمام السادس: جعفر الصادق بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ، فيقول أحد دعاتهم المعاصرين: "وما أن وصلت إمامة

---

١ رواه أبو عمرو بن عبدالعزيز الكشي بإسناده إلى علي بن الحسين.

٢ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد عام ٧٦ هـ، وأقام في الكوفة، ثم ذهب إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبدالملك وسجنه خمسة أشهر، ثم عاد إلى العراق ومنها إلى المدينة، فلحق به بعض الكوفيين يحرضونه على الثورة حتى رجع معهم إلى الكوفة عام ١٢٠ هـ، فبايعه بعض أهلها، وقاتله والي العراق يوسف بن عمر الثقفي، ودارت بينهم المعارك التي انتهت بقتل زيد عام ١٢٢ هـ، بعد أن خذله أهل الكوفة سيرا على سيرة أسلافهم مع آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين

٣ يحي بن زيد بن علي زين العابدين، ولد سنة ٩٨ هـ، وكان من الأبطال الأشداء، انتقل إلى بلخ بعد مصرع أبيه، فطلبه يوسف الثقفي أمير العراق، وقبض عليه والي خراسان نصر بن سيار، ثم أطلق سراحه بأمر من الوليد وسيره إلى الشام، فاعتصم في بعض الطريق، وقاتل أنصار الأمويين حتى قتل.

الشيعة بموجب النص الشرعي إلى جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حتى التف حوله عدد كبير من الشيعة، واعتبروه المؤسس الحقيقي للمدرسة الشيعية الدينية الفكرية، وواضع أصول المعتقدات الشيعية،... ومفجر الثقافات الفكرية الإسلامية، وعميد المدارس الفلسفية الباطنية في الإسلام،... وقد تخرج من تلك المدارس فرق عديدة، أهمها المعتزلة والصوفية والجعفرية الاثنا عشرية والحركات الباطنية".[1]

ولذلك فقد امتلأت كتب الباطنية بكم هائل من الروايات المنسوبة زورا وبهتانا إلى جعفر الصادق، بينما تشهد كتب السنة ببراءته: فيروي زهير بن معاوية أن أباه قال لجعفر الصادق: "إن لي جارا يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر، فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر"، وكثيرا ما كان جعفر الصادق يقول: "ولدني أبو بكر مرتين".[2] ولما سئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أجاب قائلا: "إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة".[3]

كما أوردت كتب الشيعة عن جعفر الصادق قوله: "إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس"، ويقول أيضا: "لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا".[4]

وتختلف الشيعة والباطنية في أئمتهم بعد جعفر الصادق، وتتفق على من قبله، ويرجع بدء اختلافهم إلى مذهبهم الذي وضعوه لأنفسهم: بأن الابن الأكبر للإمام يخلف أباه في إمامة الشيعة، إلى أن كان إسماعيل أكبر أبناء جعفر الصادق، وتوقعت الشيعة أن يتولى اسماعيل الإمامة بعد أبيه، إلا أنه توفي في حياته، تاركا طفلا صغيرا اسمه محمدا، فانقسمت الشيعة بالتالي إلى فرقتين رئيستين هما:

١- الإثنا عشرية: قالوا طالما توفي إسماعيل في حياة أبيه، فقد انتقلت الإمامة إلى أخيه الذي يليه وهو موسى الكاظم، فانحازوا إلى موسى الكاظم واعتُبر الإمام السابع بعد جعفر

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام للدكتور مصطفى غالب صفحة ٥٠

٢ وبيان ذلك أن جدة جعفر الصادق لأمه هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، وأن أمه هي أم مزوة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٥٨:٦

٣ سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٥٩:٦

٤ رجال الكشي ٢٥٩ نقلا عن كتاب الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ٢١٦ ، والشيعة والتشيع فرق وتاريخ ٥٥

الصادق، وقرروا إمامته ثم ذريته من بعده.

٢- الإسماعيلية: وهم القائلون بإمامة إسماعيل، وأنه لم يمت بل غاب عن الأنظار، وينتظرون رجعته، وأن الإمام من بعده ولده محمد، ولم يُغْنِ حذر جعفر الصادق عن افتراق أتباعه من بعده، ويروى الشهرستاني: "ولشدة حرص جعفر الصادق من غلو شيعته. فقد كتب محضرا بوفاة ابنه إسماعيل وأشهد عليه شهودا عديدين منهم والي المدينة آنذاك".[١]

١الفصل في الملل والأهواء والنحل للشهرستاني ٢:٥

الفصل الثالث

الحركات الباطنية

١- سِرِّيَّة الحركة

٢- دور ميمون القداح

٣- البنوة الروحية

الفصل الثالث: الحركات الباطنية

الباطنية فرقة من فرق الشيعة، وهم والشيعة أبناء عمومة، ويطلق على الباطنية عدة ألقاب بلغت خمسة عشر لقبا: أشهرها الباطنية والقرامطة والقرمطية والإسماعيلية...، وسبب تسميتهم بالباطنية أنهم يقولون: "أن لكل ظاهر باطنا، والظاهر بمنزلة القشور، والباطن بمنزلة اللب المطلوب، وغاية مذهبهم في ذلك الانسلاخ عن الدين، لأنه إذا وجب أن لكل ظاهر باطن ويكون بمنزلة اللب على الحقيقة، كان المرء بعد وقوفه عليه مستغنيا عن الظاهر، وغير معول عليه، كما لا يعول على القشور بعد الوقوف على اللب".

أولا: سِرِّيَّة الحركة

عندما فشلت جميع محاولات الثورة المسلحة والخروج على الحكام كوسيلة للوصول إلى الحكم، اتخذ الشيعة من السرية أسلوبا ومن التقية والنفاق تعمية، وبدأوا في التعاون مع بني العباس على إسقاط الأمويين، ولما قامت الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ، لم يستأثر بها بنو العباس فقط، بل راحوا يكيلون إلى حلفائهم من الشيعة، ألوانا من البطش أكثر مما ذاقوا على أيدي الأمويين، "وإزاء هذه المطاردة المستمرة لم ير الشيعة بدا من أن يلجأوا إلى التقية، فكُونت منهم جماعات سرية، ونُظمت دعايات خفية، واستعانوا بالدرس والبحث، واتصلوا بالثقافات المختلفة، فأخذوا عنها ما أخذوا، وأدخلوا على الدين ما أدخلوا،[1] واستطاعوا خلال هذه الفترة من بلورة أفكارهم ومعتقداتهم، ثم أوجدوا لها أسانيد من اختراعهم، ودون علم آل البيت أنفسهم، كما سبق الإشارة إلى أقوال جعفر الصادق عن وجود كذابين من أشياعهم، يفترون عليهم وأن كذبهم يضيع صدق آل البيت، ولا يبقى عند الناس إلا مفتريات الباطنية. ومما زاد من غموض تاريخ الباطنية وتتبع حركتها في مرحلة الستر، أن أعضاء الخلايا السرية كانوا يطلقون على زعمائهم عددا من الأسماء والألقاب والكنى حتى أن اسم الشخص الواحد يزيد أحيانا عن خمسة أسماء وذلك إمعانا في التعمية عليهم، ولذا استحال حتى على أنصار الباطنية أنفسهم كشف هذا الغموض.

كما نلاحظ أن أكثر المفاهيم التي يبثونها في كتبهم تأتي بأثر رجعي -حسب الإصطلاح المعاصر- ولنضرب لذلك مثالا يدور حول تحديد الشيعة لموضع قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فمن الثابت تاريخيا أن عليا دُفِن في مكان مجهول لا يعلمه أحد، وقد دفنه

---

١ في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق د. إبراهيم مدكور ٦١:٢

جماعة من آل البيت، بعد أن حفروا أكثر من عشرة قبور في أماكن متفرقة، ثم دفنوه في إحداها حتى لا يصل إلى قبره أحد فينبشه ويمثل بجسده، وظل الأمر كذلك حتى عام ١٤٤ هـ (أي بعد أكثر من قرن من الزمان) حتى بُنِيَت قرية النجف، فزعمت الشيعة أن هذه القرية التي لم يكن لها وجود، تضم قبر علي رضي الله عنه، بل زاد الكذب حتى قالوا: "إنه من الثابت بإجماع المصادر الشيعية أن أمير المؤمنين، هو الذي بنى مشهده الشريف بيده الطاهرة مع الخلص من شيعته كميثم التمار وغيرهم، وكان ذلك المشهد المقدس عبارة عن سرداب تحت الأرض، اتخذ قسما منه مسجدا للصلاة، وتدريس الخواص من تلاميذه العلوم التي لا يتحملها عامة الناس في مسجد الكوفة".[1]

لا نعرف كيف يصدق الناس هذا الهراء، فأي مسجد يبنيه علي رضي الله عنه تحت الأرض، ومتى بناه، وكيف عرف أنه سيموت ويدفن في هذا المكان، إذن فهو يعرف من غيب الله قوله تعالى "وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت"، ثم لاحظ الإشارة إلى وجود مجلس درس سري للخواص، يتعلمون فيه ما لا يتحمله عامة الناس في درسهم العام في مسجد الكوفة.

١ كتاب لمحة تاريخية عن مشهد الإمام علي في النجف بقلم كاظم الحلفي صفحة ٢١

ثانيا: ميمون القداح

تجمع غالبية كتب التاريخ والسير أن لفظة "الباطنية" لم تُعرف إلا بعد ظهور ميمون بن ديصان الأهوازي الفارسي، وهو يهودي متعصب كاره للإسلام، سار على درب بولس في تخريب المسيحية، وابن السوداء في فتنة عثمان، وقد بدأ هذا اللعين بالتقرب إلى جعفر الصادق، وأعلن إسلامه على يديه، وأظهر نشاطا في العبادات، وإخلاصا في خدمة البيت العلوي، مما جعل جعفر الصادق يختاره وصيا على حفيده محمد بن إسماعيل،[1] فلما مات الصادق سنة ١٤٨ هـ، اكتسب ميمون مكانة مرموقة، فهو الوصي والمتحدث أمام الناس باسم محمد بن إسماعيل، وقد سمي ميمون هذا بالقداح لأنه كان كحالا يقدح العيون، وقيل لأنه كان يقدح العلم عن خاطره.

وكان لميمون ولد سماه عبدالله، فجمع بينه وبين محمد حفيد الصادق وجعلهما متلازمين لا يفترقان، إلى أن جاءته الفرصة لتنفيذ خطته، تقول الروايات: "أن جعفر أرسل حفيده في صحبة ميمون إلى طبرستان"،[2] وفي رواية أخرى: "اضطر محمد بن إسماعيل إلى ترك مسقط رأسه في المدينة المنورة، وهاجر إلى خوزستان، ثم تركها إلى بلاد الديلم، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك"،[3] ولا شك أن إختفاء حفيد الصادق بهذه الطريقة عن مسرح الأحداث يمثل الخطوة الأولى من مؤامرة كبرى، كما تفتح المجال أمام التأويلات المتباينة.

وتؤكد مصادر الباطنية أن محمد بن إسماعيل، كان له ولد اسمه عبدالله، وأن ميمون القداح سمى ولده عبدالله أيضا، ولم يكن ذلك مصادفة، بل إن هذا التشابه كان مقصودا، كما يقرر الأستاذ محمود شاكر أن ميمون القداح قصد هذا التعقيد وأراده: "وذلك حين سمى ابنه عبدالله على اسم عبدالله بن محمد بن إسماعيل، وأوصاه أن يسمي أحفاده بأسماء أحفاد محمد بن إسماعيل كي يختلط الأمر، وقد كان، فولد لعبدالله: أحمد، ثم لأحمد: الحسين، ثم للحسين: عبيدالله، وهو نفسه المهدي الذي ظهر في المغرب، وهي نفس أسماء أحفاد محمد

---

١ هكذا ورد في كتب التاريخ، إلا أننا نشك في صحة هذا الخبر، فليس من المعقول أن لا يجد جعفر الصادق إلا هذا الغريب حتى يجعله وصيا على حفيده، والباحث عن سيرة محمد بن إسماعيل لا يجد إلا قدرا يسيرا من المعلومات لا تكشف الظلال الكثيفة التي تكتنف هذه الشخصية.

٢ رشيد الدين المؤرخ الفارسي، نقلا عن أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس ٨٩،٨٦

٣ طائفة الإسماعيلية د. محمد كامل حسين ١٤، تقع طبرستان جنوب بحر قزوين.

بن إسماعيل، وبنفس الترتيب".[1]

ينقسم رأي الإسماعيلية حول دور ميمون القداح إلى فريقين هما:

١- تعترف الأولى بوجوده وبروز دوره في الحركة، وتنسب في نفس الوقت الخلفاء الفاطميين إلى آل البيت ممثلة في محمد بن إسماعيل، "وتعتبر لأسرة القداح الفضل في قيادة الحركة الإسماعيلية، في دورها الأول، وهو دور الستر، فقد قدمت لها خدمات لا يزال التاريخ الإسماعيلي يذكرها بالفخر والإعجاب، فميمون القداح -عند هذه المصادر- كان باب الأبواب، ومن الطبيعي أن يبقى مرافقا للإمام في حله وترحاله".[2]

٢- وتنفي الثانية أي وجود حقيقي للقداح وتقرر: "أن محمد بن إسماعيل اتخذ اسما مستعارا، هو ميمون القداح لتضليل العباسيين، وكان يدعو إلى إمام مستور اسمه محمد بن إسماعيل، أي نفسه، وقد خفي هذا الأمر على أقرب المقربين إليه، حتى دعاته المخلصين لم يكونوا يعلمون شيئا عن هذه القصة".[3]

ويقول أحد دعاة الإسماعيلية المعاصرين: "إذا عدنا إلى قبل نصف قرن من ظهور القرامطة في البحرين نرى أن الإمام الإسماعيلي المستور محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، هو صاحب اللبنة الأولى في بناء صرح الحركة الإسماعيلية السرية عامة، والحركة القرمطية بصورة خاصة"،[4] ونعقب على هذا الرأي أن بدء القرامطة في البحرين كان سنة ٢٧٦ هـ، فيكون تاريخ بداية بناء الحركة حوالي سنة ٢٢٠ هـ، على يد محمد بن إسماعيل، وإذا علمنا أن إسماعيل توفي سنة ١٤٣ هـ، فإن عمر ابنه محمد عند بدء الحركة يمكن تقديره بطرح ١٤٣ من ٢٢٠ أي أنه لا يقل عن ثمانين عاما!، ثم ما الداعي لاختفائه إذا كان أبناء عمومته أئمة الشيعة الجعفرية من نسل موسى الكاظم، لم يختفوا مثله، لذا فقد أطلقت الشيعة على محمد بن إسماعيل هذا اسم محمد المكتوم.

---

١ تاريخ الإسلام محمود شاكر، الدولة العباسية ٣:٧٧

٢ الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي د.محمد أحمد الخطيب، نقلا عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية د. مصطفى غالب ١٤٧

٣ الحركات الإسلامية نقلا عن القرامطة عارف تامر ٤٧-٤٨

٤ الحركات الباطنية في الإسلام د.مصطفى غالب، والبحرين اسم يطلق قديما على منطقة شمال شرق السعودية التي تضم الإحساء والقطيف والهفوف وقطر والكويت وجزء من دولة الإمارات حاليا.

أما مصادر أهل السنة فهي قاطعة الدلالة في هذه القضية، يقول الحافظ ابن عساكر: "إن المهدي لما ادّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل، قَبِل الأغبياء منه ذلك، مع علم أصحاب الأنساب بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق مات ولم يعقب"[1]

وهذا الدليل يوضح براءة آل البيت الأطهار من انتساب القرامطة والفاطميين إليهم، ويلفت النظر إلى خيوط مؤامرة القداح التى بدأها بهجرة محمد واختفائه عن العيون، ثم ادعائه أن محمدا رزق بولد سماه عبدالله، وقد سمى ولده بنفس هذا الإسم، ألا تدعونا هذه التصرفات إلى التأمل الدقيق في هذه الأحداث التي سنحاول من خلالها كشف الغموض عن مؤامرة خفية مضى عليها أكثر من أحد عشر قرنا من الزمان، والتي مازال بعض المسلمين يكتوون بنارها إلى اليوم.

---

١ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٥:٤

ثالثا: البنوة الروحية

ابتدع ميمون القداح مبدأ البنوة الروحية أو النكاح الروحي، الذي أصبح فيما بعد مبدءا أصيلا لكل الفرق الباطنية، ويشرحه بقوله: "إن الأبوة الجسمانية تكون بولادة الطفل المادية ليس غير، بينما تكون الأبوة الروحانية من ملازمة شخص آخر معين، فنقول إن فلانا بن فلان لأنه تخرج عليه، أفلا يكون الذي يتلقى العلم والمعرفة اللتين هما جوهر الحياة الروحية من رجل آخر هو ابنه الحقيقي، فأنا مثلا أنجبني جعفر الصادق روحيا، ثم أصبحت بما كشف لي من أسرار العلم أهلا لأن انتسب إليه، وأن اعتبر نفسي ابنه".[1]

لا يخفى دوافع الرجل من نظريته التي تحقق له بنوة إمام الشيعة، وتعطي نسبا روحيا لولده، وبذلك يُسَمّى ابنه باعتبار الصلب عبدالله بن ميمون بن ديصان، وباعتبار نسبه الروحي عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ولما لاقت الفكرة رواجا، لم يبق أمام القداح إلا أن يزيح من طريقه محمد بن إسماعيل، وقد كان فكما ورد في مصادر السنة أن محمد مات ولم يعقب، ولا نستبعد أن يكون موته بيد القداح أو بإيعاز منه، ولما كانوا في أرض هجرة في طبرستان، فمن السهل أن ينتحل أحفاد القداح أسماء مزعومة لأبناء محمد المكتوم، الذي مات دون أن ينجب.

وبهذا التفسير نقول أن آراء الإسماعيلية خاطئة خطأ فاحشا، فمن يحاول إثبات وجود القداح ونسل محمد المكتوم معا، كمن يحرث في البحر، فالمكتوم مات ولم يعقب، ومن ينفي وجود القداح، ينسب أفعال وعقائد الباطنية إلى آل البيت وسيأتي تفصيل الحق في ذلك، بينما الحقيقة أن أئمة الباطنية جميعا من نسل القداح اليهودي الحاقد على الإسلام، والذي مهد تماما للقضاء على عقيدة التوحيد، فيكفي تأهيله لولده عبدالله، يصف لنا المقريزي عبدالله بقوله: "كان عبدالله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وأنه رتب سبع دعوات يتدرج الإنسان فيها، حتى ينحلّ عن الأديان كلها، ويصير معطلا إباحيا، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ويرى أنه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة، وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا، وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد بن إسماعيل، وأنه كان من الأهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة، وقُصِد بالمكروه، ففر إلى البصرة فاشتهر أمره، وسار منها إلى سليمة من أرض الشام، فولد له ابن بها اسمه

---

[1] أصول الإسماعيلية برنارد لويس ٨٦، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. الخطيب ٦٣

أحمد"،[1] ولقد اتخذ سليمة مقرا لقيادة الدعوة الإسماعيلية.

ويلقي الأستاذ/ محمود شاكر الضوء على دور القداح بقوله: "وكان عبدالله بن ميمون رأس الدعوة الإسماعيلية الظل، وكان يريد أن يعمي عن نفسه، فوزع دعاته في الأمصار، وخاصة أبناءه حتى لا تتجه الأنظار إلى مكان إقامته، فأرسل ابنه أحمد ليقيم في الطالقان من بلاد خراسان، وطلب من دعاته أن يراسلوه هناك، كما أعلن أحمد عن موت ابنه الحسين، ولم يمضي وقت طويل حتى خرج من الأهواز حسين هذا، وعرف بحسين الأهوازي".[2]

---

١ الخطط للمقريزي ١:٣٤٨

٢ تاريخ الدولة العباسية محمود شاكر ٦:٧٩

الفصل الرابع

نشأة دولة الباطن

١- قرامطة اليمن
٢- الموحدون في المغرب
٣- قرامطة الكوفة
٤- قرامطة البحرين
٥- الباطنية في الشام
٦- الفاطميون في مصر

الفصل الرابع: نشأة دولة الباطن

برغم محاولات الشيعة للوصول إلى الحكم، وخروجهم المستمر على الحكام، إلا أنهم لم ينجحوا في إقامة دولة لشيعتهم، بينما نجحت الباطنية بعد مرحلة الستر التي استمرت جيلا بعد جيل في استقطاع دويلات من أطراف الدولة العباسية، بعد سلسلة من الإضطرابات والقلاقل، أراقوا فيها دماء المسلمين بلا هوادة ولا شفقة، وقد هيأ المأمون بتوجهاته نحو الفلسفات وحث الناس عليها - كما سنوضح في الفصل الخامس من هذا الباب - المناخ المناسب لتخرج دعوة الباطنية من العمل السري ومرحلة الستر إلى الظهور، ثم الإنتشار في زمان المعتصم، ومن الملاحظ أن ظهور جميع دعاة الباطنية يكون فجأة سواء في اليمن أو المغرب أو العراق أو في أي مكان يظهرون فيه، ولا يعرف أحد من هم ولا نسبهم، والباحث عنهم لا يجد أي توثيق في كتب التاريخ عن نسبهم، وإنما هم يزعمون أنهم يحبون آل البيت رضوان الله عليهم، ويرجون بركتهم، وفي نفس الوقت يدعون إلى اتباع إمام أو شيخ أو ولي من آل البيت، وسبيلهم إظهار الطاعات ومسوح الصوفية، والميل إلى التقشف والزهد، حتى يميل الناس إليهم، ويستمعون إلى أفكارهم الباطنية.

أولا: قرامطة اليمن

قامت أول حركة إسماعيلية ناجحة في اليمن، بتخطيط من الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون المعروف باسم حسين الأهوازي، الذي كان يتحين الفرصة لنشر دعوته، وكان يرى أن اليمن والمغرب هما خير البلاد التي يمكن أن يستجيب أهلها وتنتشر فيها دعوته، وأيضا لبعدهما عن أنظار الخلفاء العباسيين، فأرسل سنة ٢٦٧ هـ رجلين من كبار شيعته يدعى أحدهما الحسين بن فرج بن الحوشب، والآخر علي بن الفضل، وزودهما ببعض التوصيات، منها التبشير بالمهدي، ولزوم الصلاة والصوم والتقشف، وشرح لهم أسلوب الدعوة الباطنية بقوله: "إيهام الناس بأن لكل ظاهر باطنا، وأن للباطن أناسا يعلمونه، إلا أن الوقت لم يحن بعد لإعلانه، ومما قاله أيضا: إن لقيت من هو ألحن بالحجة منك، فانغمس له في الباطن، قال: وكيف ذلك؟ قال: تقطع الكلام، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره".[١]

وقد لاقت دعوة الحسن بن فرج قبولا بين القبائل، كما نجح علي بن الفضل أيضا في

---

١ افتتاح الدعوة للقاضي النعمان صفحة ١٢، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن لأحمد شرف الدين ٨٢، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٦٥

استقطاب عددا من الرعاع من أهل يافع، وافتتاح عدد من الحصون، والتوسع في المدن المجاورة، ولما قويت شوكة الدعوة، وصلب عودها، أظهر الأفكار الباطنية، وكشف عن مكنون إعتقاده، وأعلن الكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وأخيرا ادعى النبوة.

ثانيا: الموحدون في المغرب

أرسل ابن حوشب الداعيين المشهورين: "الحلواني وأبا سفيان" إلى المغرب بعد أن تعلما في مدرسته أصول الدعوة والتفسير الباطني للقرآن، ثم ودعهما قائلا: "قولا لكل شيء ظاهر وباطن، واذهبا، فالمغرب أرض بور فاحرثوها، واكرياها[1] حتى يأتي صاحب البذر، وصاحب البذر هو أبو عبدالله الشيعي الداعي الأكبر، ولما توجه أبو عبدالله إلى المغرب وجد الطريق ممهدة لسير دعوته"،[2] ولم تتوقف طموحاتهم الشيطانية عند المغرب بل كان هدفهم دائما الوصول إلى مصر.

ثالثا: قرامطة الكوفة

تلقى الدعوة حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط عن الحسين الأهوازي، وكان ظهوره سنة ٢٧٨ هـ، حيث استطاع أن يخلف معلمه في صدارة الدعوة، فتجمع حوله عدد من المريدين، زعم لهم أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في اليوم والليلة، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا، وقال لهم: أنتم كحواري عيسى ابن مريم، وأمر أتباعه بشراء السلاح، وأنشأ أول دار للهجرة في سواد الكوفة سنة ٢٧٧، وقد سبق الرجل لينين وماركس في اختراع الشيوعية، فهو أول من أمر بتأميم أموال أتباعه والإستيلاء عليها، ويتغنى أحد دعاة الإسماعيلية المعاصرين بمآثر قرمط - في عهد الشيوعية الزائل - هذا بقوله: "وأن حمدان سن نظاما ماليا متقنا، ونادى بالإشتراكية، وأخذ بالألفة وأمر أن تجمع الأموال في موضع واحد، وأن يكون الجميع في أسرة واحدة، واختار من كل قرية رجل يجمع عنده أموال

---

١ المقصود بالكراء هنا الرعاية وليس الإيجار كما تحمل اللفظة من معان

٢ نشأة الفكر الفلسفي للدكتور النشار ٢:٤٠٤ - ٤٠٦، ومشكاة الأنوار للإمام يحيي بن حمزة العلوي ٣٩

قريته".[1]

كان من أتباع حمدان وأكبر مساعديه صهر له يدعى عبدان، وقد تلقى الدعوة عن عبدان هذا رجل دارت حوله أحداث الحركة لعقدين من الزمان، ويدعى هذا الرجل: زكرويه بن مهرويه، ومن أسمائه كرويه بن مهرويه، وأيضا الفرج بن عثمان القاشاني، وكان هذا الرجل ظاهر الخطورة، وكان أول من ذاق كأس خطورته أستاذه ومعلمه، حيث قتله وداعيه حمدان، فخلت له الساحة، فادعى أنه المهدي المنتظر وأنه عبدالله بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويرى عبدالقاهر البغدادي: "أن زكرويه بن مهرويه ليس إلا عبدالله بن ميمون بن ديصان نفسه".[2]

١ الحركات الباطنية في الإسلام د. مصطفى غالب ١٣٥، ويقول مصطفى غالب في كتابه: "ولا أخفي القارئ الكريم مدى إيماني، وتأثري بالعقائد الباطنية وأصولها وأحكامها ص ٢٦٨، ولما كان يخاطب الناس أيام الإشتراكية وقبل إنهيار الشيوعية، نراه يقول: "ولما كانت المدارس الباطنية، وبخاصة الإسماعيلية، والقرمطية منها تدعوا إلى مبادئ إشتراكية متطرفة، ترمي إلى إحداث ثورات شعبية وعمالية وزراعية وصناعية، ضد الحكام والملاك والإقطاعيين والأثرياء، فقد أصبحت ملجأ لكل ناقم وحاقد على الأوضاع، ومكانا أمينا يأوى إليه العلماء وطلاب المعرفة" نفس المصدر ٥٤ ، وأعتقد أنه لو أعاد طبع كتبه ثانية في زمان النظام العالمي الجديد، لأعاد صياغة معتقداته، ولنتقل إعجابه إلى يظهر محاسن الديمقراطية ومناقب الرأسمالية فيها التي تشير إليها تعاليم الإسماعيلية.

٢ ولا يخفى مقدار تضارب المؤرخين والباحثين في أخبارهم عن الباطنية وذلك لشدة السرية التي أحاطوا بها أنفسهم.

رابعا: قرامطة البحرين

اتخذ زكرويه - إمعانا في السرية - مقرا لا يعلمه إلا أولاده، وراح يحرك منه القلاقل والفتن في المجتمع الإسلامي، وهو عباره عن جب تحت الأرض وجعل له بابا من حديد.

كان لزكرويه ولدان هما يحيى والحسين استغلهما في الدعوة له، وأرسلهما في رحلات تبشيرية، وقد رأى أن بلاد الشام يعمها الفوضى بسبب ضعف الدولة الطولونية، لذلك تحرك في إتجاهين، فدفع بالحسين إلى دمشق، وأرسل يحيى إلى القطيف بالبحرين.

لاقت دعوة يحيى نجاحا في البحرين، وانضم إليها جماعة من بني الأصبع وسموا الفاطميين، وبرز من الأتباع الحسن بن بهرام الجنابي، الذي تولى القيادة سنة ٢٨٦ هـ، ثم بنوه من بعده، سعيد سنة ٣٠٥ هـ، ثم سليمان الفاجر اللعين، الذي فعل ما لم يفعله أبرهة في الجاهلية، حيث استحل حرمة بيت الله الحرام، ودخل مكة غازيا يوم التروية، وقتل من الحجاج الكثير، ويصف لنا ابن كثير وغيره من المؤرخين[١] ما فعله هذا المارق بقوله: "فانتهب أموال المسلمين، واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا، وجلس لعنه الله على باب الكعبة، والرجال تصرع من حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام، في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول: أنا الله وبالله، أنا أخلق، والخلق أفنيهم أنا، فكان الناس يفرون منهم ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، ثم دفن القتلى في بئر زمزم، وهدم عليهم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فهلك وبئس مصير الظالمين، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقل يده، وقال: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل، ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه إلى بلادهم، فمكث عندهم اثنين وعشرين سنة حتى ردوه".

---

١ البداية والنهاية لابن كثير ١٠٨:١١، والطبري والكامل لابن الأثير

خامسا: الباطنية في الشام

بعد أن عاث يحيى بن زكرويه في القطيف فسادا، أسند الدعوة للجنابي، وخرج هو في جيش من أتباعه قاصدا دمشق، فأرسلت مصر مددا لأهل دمشق يقاتلون معهم أعداء الإسلام، حتى هزموهم ومني القرامطة بشر هزيمة، وأعاد أخوه الحسين بن زكرويه - المعروف بصاحب الشامة - الكر علي دمشق، فامتنعت عنه، فانصرف إلى حمص فدخلها ثم حماة ومعرة النعمان، إلى أن أرسل الخليفة المكتفي جيشا نصره الله على الباطنيين، وقضوا على الحسين ومن معهم سنة ٢٩١، ولم يجد زكرويه بدا من الخروج من مقره السري، وبدأوا بالهجوم على قوافل الحجاج، يعملون فيها السلب والنهب، إلى أن قضى الله هلاكهم على يد جيش الخليفة، فأراح الله الناس من شرهم في سنة ٢٩٤ هـ.

إلا أن جميع الفرق الباطنية عادت إلى الظهور في الشام والعراق: منها الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والبهائية... وغيرها.

سادسا: الفاطميون في مصر

نجح الباطنيون - بعد عدة محاولات فاشلة - في تحقيق أملهم بالاستيلاء على مصر وتأسيس دعوة العبيديين أو دولة الموحدين - بزعمهم كما يحلوا لهم أن يسموا أنفسهم - وقد كان لهم ذلك على يد جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي، واسمه معد بن إسماعيل بن نزار بن عبيد الله المهدي، يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ .

وبدأ الفاطميون في تنفيذ خططهم لتحويل عقيدة المصريين من السنة إلى الشيعة الإسماعيلية، لذلك بادروا بإقامة عدد من معاهد الدعاة إلى الإسماعيلية، على أنها مذهب فقهي كالمذاهب الأربعة، ومن أبرز هذه المعاهد الجامع الأزهر الذي أنشئ أساسا لتعليم الإسماعيلية ونشرها، وحتى يضمنوا إقبال الناس عليهم، كان الأزهر يدرس أربعة مذاهب فقهية هي: المالكي، والشافعي، والشيعة الإمامية، والشيعة الإسماعيلية، ولا يخفى أن مؤذن الباطنية ظل يلعن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من على مآذن الجامع الأزهر في جميع الصلوات ما يزيد على قرنين من الزمان.

الفصل الخامس

حركة الترجمة

١- أول ترجمة في الإسلام

٢- عصر الترجمة الذهبي



الفصل الخامس: حركة الترجمة

أولا: أول ترجمة في الإسلام

كانت الكوفة الموطن الأول للشيعة وأفكارهم، والمحور الأساسي الذي تدور حوله أحداث التشيع، ومنها ظهرت الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ في مناقب آل البيت وذم الأمويين، ويجدر الإشارة إلى رافد آخر كان له أكبر الأثر في تغذية الأفكار الباطنية في هذا الوقت وهو بداية عصر الترجمة وكان ذلك على يد خالد بن يزيد بن معاوية،[1]

يقول الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله "وكان خالد بن يزيد أول من فكر في الترجمة إلى العربية، وكان يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلا في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة.[2] فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان، ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح العربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل في الإسلام".[3]

يقول ابن العماد عن خالد بن يزيد أنه: "كان له معرفة بالطب والكيمياء وفنون من العلم، وله رسائل حسنة أخذ الصنعة عن راهب رومي".[4] ويقول عنه ابن أبي حاتم: "كان من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، وقيل عنه قد علم علم العرب والعجم، وكان يقول كنت معنيا بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجهال، وكان إذا لم يجد أحدا يحدثه حدث جواريه، ثم يقول إني لأعلم أنكن لستن له بأهل، يريد بذلك الحفظ".[5]

يبدو أن خالد بن يزيد كان حسن النية فيما فعل، ولا شك أن الانفتاح على الثقافات الأخرى شيء غير مذموم لذاته، بل ينبغي على المسلمين فهم ما دار وما يدور حولهم، على أن يتصدى علماؤهم لبيان ضحالة هذه الأفكار وتلك الفلسفات عند قياسها بمنظور وحي الله ،

---

١ توفي خالد بن يزيد بن معاوية سنة أربع أو خمس وثمانون وقيل تسعون من الهجرة، سير أعلام النبلاء وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٢٠:٥

٢ كلمة الصنعة معناها الكيمياء القديمة، وهي تعني بتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة.

٣ التفكير الفلسفي في الإسلام د. عبدالحليم محمود ٢٠١، وابن النديم في الفهرست ٣٣٨ ، التصوف الإسلامي د. مصطفى حلمي ٤١

٤ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٩٦:١

٥ تاريخ ابن عساكر ١٢٠:٥

أما أن يتحول الأمر إلى حد الإنبهار ونقلها للناس بدون بيان أوجه القصور فيها، فهذا خطر غير مأمون العواقب.

ثانيا: عصر الترجمة الذهبي

لم تجتمع آثار الترجمة عن الفلسفات الأجنبية مع الإعتزال والتشيع إلا في بداية القرن الثالث الهجري، وبالتحديد في خلافة المأمون، حيث أجمعت مصادر التاريخ المتعددة على خطورة الدور الذي قام به المأمون، وهذا يفسره لنا الأقوال الآتية:

١- "نشطت حركة الترجمة في القرن الثاني للهجرة على يد العباسيين، وبخاصة كبار خلفائهم المنصور (١٥٨هـ)، وهارون الرشيد (١٩٣هـ)، والمأمون (٢١٨ هـ)، عمرت ثلاثة قرون".[١]

٢- ومن العجيب أن يزكي د. عبدالحليم محمود دور المأمون بقوله أنه: "أقبل على طلب العلم من مواضعه، واستخرجه من معادنه، بفضل همته الشريفة، وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم، وأتحفهم بالهدايا الخطيرة، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم: من كتب أفلاطون وارسطاليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة، فاستجاد لها مهرة الترجمة، وكلفهم بأحكام ترجمتها، فترجمت له غاية ما أمكن، ثم حض الناس على قراءتها، ورغبهم في تعلمها، فقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولوا النباهة في العلوم طلبا للحظوة عنده".[٢]

لاشك أن إطلاع المسلمين على معارف الحضارات السابقة والمعاصرة شيء محمود، طالما تمسك المسلمون بدينهم، وحقائق الكتاب والسنة، بل إن على علمائهم أن يبصروا الناس بما تحتويه هذه المعارف وتلك المفاهيم من مفاسد وفلسفات تخالف علوم الدين المنقول عن وحي الله لأنبيائه، أما أن يسارع حكام المسلمين إلى تبني هذه الحضارات الزائفة، والنهل من تلك العلوم بلا روية ويحثون الناس على قراءتها، ويشغلون العامة والخاصة بتعلمها، فذلك شر مستطير يؤدي إلى خلع المسلمين عن أصول دينهم، وإصابتهم بالشك في كل شيء حتى الوحي، لذلك يعتبر علماء الأمة أن ما فعله المأمون بلوى كبرى، وفتنة عظمى، يقول الإمام

---

١ الفلسفة الإسلامية د. إبراهيم مذكور ٢:٧٧

٢ التفكير الفلسفي في الإسلام د. عبدالحليم محمود ٢٠٢، ولا نعرف كيف تقوم دولة الحكمة على علوم الفلاسفة، والله تبارك وتعالى يعلمنا أن الحكمة هي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة" سورة الأحزاب ٣٤

الذهبي: "فلا حول ولا قوة إلا بالله من البلاء، أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، ويُقَدِّم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويماري في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار"[1]

٣- يبين المقريزي خطورة ما أحدثته حركة التعريب بقوله: "فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحن في الدين."[2]

رب سائل يقول هذه أفعال المأمون فما علاقتها بالشيعة؟ يجيب على ذلك علماء الأمة الذين يؤكدون وثوق العلاقة بين المأمون والشيعة بقولهم:

١- يصف ابن الأثير المأمون بقوله: "إنه كان شديد الميل إلى العلويين والإحسان إليهم."[3]

٢- يشرح البغدادي هذا الميل بقوله: "لما بويع المأمون بالخلافة سنة ١٩٨ هـ، بادر باختيار علي بن موسى بن جعفر الصادق وليا لعهده، وسماه عليا الرضا، وطلب من جنده خلع شعار الدولة العباسية وهو لبس السواد، ولبس الخضرة شعار آل البيت، مما أغضب آل العباس عليه، حتى إذا مات الرضا فجأة، حاول المأمون أن يستعيد محبة أهل بغداد بعد نقمتهم عليه ولا سيما بعد زوال السبب بوفاة علي الرضا، إلا أن قرب علي الرضا وشيعته إلى جوار المأمون، كان له أكبر الأثر على كثير من معتقداته، حتى أنه أظهر القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة، وبهذا أوجد المأمون المناخ المناسب لحدوث قلاقل وحركات، لم تشهد الدولة العباسية مثلها قط."[4]

٣- ويقول ابن كثير: "إن المأمون لما ابتدع التشيع والاعتزال فرح بذلك شيخه بشر المريسي، وكان من شيوخ الاعتزال."[5]

٤- ويقول أيضا: "وقد كان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة، فدخل عليه بسبب ذلك الدخل، وراج عنده الباطل، ودعا إليه وحمل الناس عليه قهرا" ثم يستطرد قائلا: "وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي ازدرى فيها المهاجرين والانصار، البدعة الأخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما كان فيه من الإنهماك في تعاطي المسكر وغير ذلك

---

١ تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ٣٠١:١

٢ الخطط للمقريزي ٣٥٦:٢

٣ الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٧٩:٦

٤ الفرق بين الفرق لعبدالله البغدادي الاسفرائيني ٢٨١ ، وشذرات الذهب ٢:٢

٥ البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٩:١٠

من الموبقات"، انتهى بتصرف،[1] ثم يقول: "وقد بلغ من اعتقاد المأمون بهذا الباطل أن كتب وصيته وهو على فراش الموت، وفي حضور جمع من القضاة والأمراء والوزراء وفيها القول بخلق القرآن، ولم يتب من ذلك بل مات عليه، وانقطع عمله وهو على ذلك، لم يرجع عنه ولم يتب منه.

٥- ويضيف د. إبراهيم مدكور: "واتجهت حركة الترجمة الاسلامية نحو الحكمة والفلسفة، وبالتالي اتصلت بالثقافات الهندية والفارسية، ونقلت عن البرهمانية والسمنية، وعن الزرادشتية والمزدكية والمانوية، وعنيت خاصة بالفلسفة اليونانية".[2]

لقد كانت المرة الأولى التي اتصل فيها الشيعة برأس الحكم أيام المأمون، مما أدى إلى توالي الفتن، وهاهي فتنة خلق القرآن تحل بعقيدة المسلمين، وقد تولى المأمون كِبَرَ هذه الفتنة، وقتل العلماء وعذبهم ليوافقوه على القول بأن القرآن مخلوق، شأنه شأن جميع المخلوقات، ولولا تثبيت الله تبارك وتعالى لعلماء الدين وأبرزهم أحمد بن حنبل رحمه الله، لعصفت الفتنة بالناس جميعا، ولا شك أن ضعف الدولة العباسية قد مكن الباطنيين من الانتقال من العمل السري إلى الاستيلاء على المغرب والبحرين والكوفة وأجزاء من الشام والمغرب، ثم يعلنون قيام دولة الفاطميين في مصر، وما أدراك ما أحدثته هذه الدولة الباطنية في دين الله، وسنفرد لها الفصل التالي بتوفيق الله ﷻ.

---

١ البداية والنهاية لابن كثير ١٠:٢٩٠

٢ الفلسفة الإسلامية د. إبراهيم مدكور ٢:٧٧

ملخص الباب الرابع

١- يتتبع هذا الباب تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام من الناحية التاريخية، وكيف كانت البداية، ودور اليهود في ذلك؟ سواء عبدالله بن سبأ في الفتنة الكبرى ونشأة الفكر الشيعي، أو ميمون القداح في تأسيس دولة الباطنية والدعوة للأئمة. مع تتبع لهجمات الباطنية على أجزاء من الأمة، وإحداثها قدرا هائلا من القلاقل والفتن في الأمة الإسلامية، ساهمت بشكل فعال في إضعاف الأمة وإدخالها في نوبات متتالية من نزيف للدم والثروات، وإشغالها عن هدفها السامي في نشر دعوة الإسلام.

٢- عجز أعداء الإسلام عن التصدي له في ساحات القتال، أو ميدان الفكر، ورقي القيم والمبادئ التي يقدمها الإسلام للفرد وللأسرة وللمجتمع الإنساني كله، فراح الباطنيون يشعلون نار الفتنة الداخلية في المجتمع الإسلامي، ونجحوا في تفريق الأمة إلى شيعا وأحزاب.

٣- لن يتكرر في التاريخ موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو الحاكم الذي كان قادرا على أن يسير الدنيا أنهارا من الدماء للإبقاء على كرسيه، والمحافظة على مملكته، ولكنه آثر الآجلة على العاجلة، وحقن أشرف الدماء، دماء أصحاب رسول الله ﷺ أن تراق في سبيل ملك زائل، وعرض عارض.

٤- ظهور فكرة الوصاية على الدين، وأن الأمة تحتاج إلى إمام من آل البيت له السمع والطاعة، وأن الصحابة غصبوا الإمارة ممن عينهم رسول الله ﷺ لتولي هذه المهمة.

٥- أن دخول الفتنة على الأمة مر بمراحل، فهناك الخوارج والشيعة، ثم تطورت الشيعة من خلال عدة مراحل، وتحاول كل فرقة من فرق الشيعة أن تجد لها أعوان، وتحدد لنفسها منهجا تسير عليه في تعيين الإمام، ثم يستمر تطبيق هذا المنهج حقبة من الزمان حتى يظهر للناس ما يخالف المبدأ الذي وضعوه لأنفسهم، فيحدث انقسام لنفس الجماعة إلى فريقين، يتبع كل فريق منهم أحد الأئمة، ويسمون أنفسهم باسم متبوعهم، ومن ذلك كثرت المسميات، وتعددت الفرق والأفكار.

٦- مما زاد الطين بلة وصول هذه الفرق إلى مقاليد الحكم في أجزاء هامة من الأمة الإسلامية، ومحاولة هؤلاء القادة فرض معتقداتهم بالقوة، بل قاموا بتهيئة الأجواء لنشر أفكارهم، ثم قاموا بترجمة الفلسفات الأجنبية إلى العربية، وبدل أن يوضحوا فسادها وعوارهاوضحالة مضمونها، راحوا يروجون لها، ويحثون العامة والخاصة على قراءتها حتى

عم الفساد، واتسعت رقعته.

الباب الخامس

عقيدة الشيعة

١- الغلو في شأن الأئمة

٢- قِدَمُ نور الإمام

٣- الشيعة والقرآن

٤- الشيعة والصحابة

٥- قيام دولة الشيعة

٦- مقارنات ومناظرات

الفصل الأول

الغلو في شأن الأئمة

١- وصاية الإمام على الدين
٢- حديث غدير خم
٣- الإمام أفضل من النبي

الفصل الأول: الغلو في شأن الأئمة

أولا: وصاية الإمام على الدين

يعتقد الشيعة أن الله ﷻ يُرسل رسله صلوات الله عليهم لإبلاغ الناس رسالاته، ثم يُعَيِّنُ الأئمة أوصياء على الأمم لحفظ دين الله، وأن نبينا محمدا ﷺ أبلغ جميع الصحابة وأخذ عليهم العهد والميثاق على وصاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنه الوصي والإمام من بعده، ويرى الشيعة أن الإسلام يقوم على أصول خمسة هي:-

* توحيد الله.
* نبوة خاتم الأنبياء.
* المعاد في يوم الجزاء.
* عدل الله.
* إمامة الأئمة من أهل البيت.

ثم يشرح علماء الشيعة منزلة الإمامة في عقيدتهم شرحا مبسطا ووافيا بقولهم إن علي بن أبي طالب هو الإيمان كله، ويدلل على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.[1] وهو يفيد بقرينة قول النبي ﷺ: "إن من يكفر بولاية علي وإمامته فقد أسقط الإيمان من حسابه، وأحبط بذلك عمله".[2]

وهم يُعَرِّفون الإمامة بقولهم: "هي الزعامة في أمور الدين والدنيا، وهي نيابة عن الرسول ﷺ في حفظ شريعته من الزيادة والنقيصة، وإقامة الحدود، ودرء الفساد، وهي واجبة بعد النبي ﷺ لئلا يضيع أمر الدين".[3] ويحدد علماء الشيعة مفهوم الإمامة بقوله: "الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه".[4]

---

١ سورة المائدة آية ٥

٢ الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ٢٣-٢٤

٣ الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ٤٢

٤ أصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ٥٨، الحكومة الإسلامية للخميني ٣٩

ويستدلون على ذلك بما رواه الكليني في كتابه الكافي،[1] بتفسير جعفر الصادق لقول الله ﷻ: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.[2] قال: يهدي إلى الإمام،[3] وتفسر الشيعة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾.[4] أن المنذر هو محمد ﷺ والهادي هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما ينسبون إلى أئمتهم من آل البيت أقوالا تؤكد هذه المفاهيم، فيروون عن أبي جعفر أنه فسر قوله ﷻ: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾ فقال: يعنى لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، والأوصياء من ولده".[5]

ويتوعد الشيعة من يخالفهم في عقيدة الإمامة بأقصى العقوبات: يقول المجلسي: "اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر مستحق للخلود في النار". ويكفي عند الشيعة أن يذكر الكليني في الكافي: "أن معصية عليٍّ كفر، وأن اعتقاد أولوية غيره بالإمامة شرك".[6] ولا مانع عندهم أن يتهموا

---

١ يعد كتاب "الأصول من الكافي" لثقة الإسلام كما يصفونه أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفي سنة ٣٢٨ هـ - أشهر وأوثق مصادر الشيعة - الذي يصفه علماء الشيعة بما يلي:

* يرى أغا برزك الطهراني مصنف الذريعة إلى تصانيف الشيعة أن كتاب الكافي "هو أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمدة عليها، لم يكتب مثله في النقول من آل الرسول، لثقة الإسلام محمد ابن يعقوب بن إسحاق الكليني".

* ويرى العباس القمي مصنف الكني والألقاب أنه: "أجل الكتب الإسلامية، وأعظم المصنفات الإمامية، والذي لم يعمل للإمامية مثله".

* وقال المولى محمد أمين الاسترآبادي في محكى فوائده: "سمعنا مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه، ويعتقد بعض علماء الشيعة أن هذا الكتاب قُرِئ على الإمام الغائب فاستحسنه وقال: كاف لشيعتنا، فسمي الكافي".

٢ سورة الإسراء آية ٩

٣ أورده الكليني في كتاب الأصول من الكافي ٢١٦:١

٤ سورة الرعد آية ٧

٥ الأصول من الكافي للكليني ٢٢٠:١

٦ الكافي للكليني ٥٢:١، ٥٤، وبحار الأنوار ٣٩٠:٢٣

الصحابة بتحريف القرآن لإخفاء شرعية الإمامة - كما سنبين ذلك في نفس هذا الباب - فيقول صاحب تفسير نور الثقلين: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.[1] وأنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: "لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي".[2]

ثانيا: حديث غدير خم

ويعتقد الشيعة ومن تبعهم من الباطنية أن الإمامة هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع أركان الدين، وأن رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع نزل بغدير يبعد ثلاثة أميال من الجحفة، وحوله شجر كثير وهي الغيطة التي تسمى خما، ثم آخى بين أصحابه، ولم يبق إلا علي بن أبي طالب، الذي انتابه حزن وانكسار فضمه النبي إليه وقال: ﴿أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي﴾.[3] ثم التفت إلى أصحابه وقال: ﴿من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه﴾.[4]

وبعد أن قررت الشيعة فكرة الإمامة راحوا يصفون الأئمة بخصائص تتميز بالغلو الشديد بدأت بالعصمة وانتهت بالألوهية، كما سنبين للقارئ الكريم في الفصول التالية.

---

١ سورة المائدة آية ٦٧

٢ تفسير نور الثقلين ١:٦٥٤

٣ أما قول رسول الله ﷺ: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، فقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم حين خلف عليا رضي الله عنه على المدينة حين خرج إلى تبوك، ومناسبة الحديث أن موسى استخلف هارون عليهما السلام على قومه حين دعي لميقات ربه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليا على أهله، ولم يكن هذا شيء خاص بعلي فقط، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد خلف عبدالله ابن أم مكتوم وغيره رضي الله عنهم في غزوات أخرى، ولم يفهم أحد من ذلك أن ابن أم مكتوم أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

٤ ذكر المحققون من العلماء أن عبارة من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، بفرض ثبوت صحة نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، لا تقتضي وصاية علي على الدين، أو أنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، وليس فيها ما يدل على إمامة ذرية علي من بعده.

ثالثا: الإمام أفضل من النبي

اختلفت الشيعة فيما بينها على مقام الأئمة، وهل هم أفضل من أولي العزم من الرسل، أم من الأنبياء فقط، أم يساوونهم في المقام، يزعم أحد دعاة الشيعة في كتابه الأنوار النعمانية إلى أنه: "ذهب جماعة إلى أنهم أفضل من الأنبياء ما خلا أولي العزم، وذهب بعضهم إلى المساواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة على أولي العزم وغيرهم ... وهو الصواب" !!،[1] ويستدلون على باطلهم بتأويل آيات القرآن الكريم على هواهم: " وأما تفضيل الشيعة لأئمتهم على الأنبياء عليهم السلام، إلا رسول الله ﷺ فدليله ما جاء التنصيص عليه في كتاب الله، وذلك عندما سأل خليل الله إبراهيم عليه السلام من الله الإمامة لذريته، قال تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾. فإن إبراهيم ﷺ لم ينل مرتبة الإمامة العامة فوق مرتبة النبوة، ثم يستطرد قائلا: والإمامة لها مراتب وأتمها ما ثبت لرسول الله ﷺ ولذا كان أفضل الأنبياء وخاتمهم، فإمامة النبي ﷺ هي الأصل، وإمامة أهل البيت هي الفرع في مرتبة إمامة الأصل، وإلا لم يصح أن يتحملوا أتم مراتب الإمامة، لذلك وجب أن يكونوا (أي الأئمة من آل البيت) أفضل منهم (أي الأنبياء)".[2]

ويروي الكليني في الأصول من الكافي: "إن الله ﷻ جمع لمحمد ﷺ سنن النبيين من آدم وهلم جرا إلى محمد ﷺ قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله ﷺ صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟، فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول؟، إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله أمير المؤمنين عليه السلام. وهو يسألني أهو أعلم من بعض النبيين؟!.[3]

وفي رواية أخرى عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: "إن سليمان ورث داود، وإن محمدا ورث سليمان، وإنا (أي الأئمة من آل البيت) ورثنا محمدا، وإن عندنا علم التوراة والانجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح (أي ألواح موسى) قال قلت: إن هذا لهو العلم قال:

---

١ الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري هلك سنة ١١١٢ هـ

٢ الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ٣٦٧

٣ الأصول من الكافي للكليني كتاب الحجة ٢٢٣

ليس هذا هو العلم، إن العلم الذي يحدث يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة"، وفي رواية "إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار، يوما بيوم وساعة بساعة".[1]

ويفرد الداعية الشيعي فصلا سماه: "علي ملتقى الفضائل المتفرقة في أولي العزم من الرسل" يروي فيه حديثا مفترى على رسول الله ﷺ جاء فيه: "من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحا في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب".[2]

ويعقد الشيعة مقارنة بين خصائص علي رضي الله عنه، وما فضل به الأنبياء عليهم السلام، يقول الجزائري: "قال تعالى في حق آدم: ﴿فعصى آدم ربه فغوى﴾. وقال في حق علي: ﴿وكان سعيهم مشكورا﴾. وأما تفضيله على نوح ولوط عليهما السلام - فيزعمون - قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾. وعلي بن أبي طالب كان ملكه تحت سدرة المنتهى، زوجته بنت محمد ﷺ وأما تفضيله على أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، فقوله تعالى: ﴿قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي﴾. وأمير المؤمنين قال قولا لم يختلف فيه أحد من المسلمين "لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا"، وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد". ومن أراد المزيد من هذه الروايات فليرجع إلى مصادر الشيعة الأساسية، فسيجد روايات لا نهاية لها، عن امتلاك الأئمة لعصا موسى وألواح التوراة، وخاتم سليمان، وقميص آدم الذي خرج به من الجنة.[3]

إن القارئ ليتعجب من شطط القوم وغلوهم في شأن علي رضي الله عنه، وجرأتهم المتناهية على مقام الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، وليعلم القارئ أن ما أنقله عن القوم إن هو إلا قطرة من بحر، ولكنها كافية بتوفيق الله تعالى على بيان عقيدة الشيعة.

---

١ الأصول من الكافي للكليني ٢٢٥

٢ الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٧٤

٣ الكافي للكليني أبواب: الأئمة ورثوا علوم الأنبياء، والأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل، ويعرفون اختلاف الألسنة، وعندهم اسم الله الأعظم، وعندهم آيات الأنبياء

الفصل الثاني

قِدَمُ نور الإمام

١- الوجود الباطني للأئمة

٢- النبي والإمام من نور الله

٣- علي عندهم أفضل من النبي

٤- النبي يقاتل تحت راية علي

٥- رجعة الأئمة

٦- الإمام الغائب

٧- علي يحاسب الناس يوم القيامة

الفصل الثاني: قِدَمُ نور الإمام

أولا: الوجود الباطني للأئمة

ياليت الأمر توقف فقط عند القول بعلوم ظاهرة وأخرى باطنة، بل إنهم جعلوا لوجود علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجودا ظاهريا، ووجودا آخر باطنيا، ويروي ذلك الغلو الجزائري عن صاحب القدسيات، والذي يصفه بأنه من أعظم محققي الشيعة: أن النبي ﷺ قال لعلي: "يا علي إن الله قال لي يا محمد بعثت عليا مع الأنبياء باطنا، ومعك ظاهرا، ثم يعقب على هذا العجب، بقوله: إن هذا القول يشير إلى سر إلهي في الغاية القصوى من التحقيق، ثم يعلن هذا السر، ويزيح الستار عن حقيقة الحقائق على لسان علي رضي الله عنه حيث يزعمون أنه قال: "والله لقد كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها بردا وسلاما، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الإنجيل، وكنت مع يوسف في الجب فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط، وسخرت له الريح".[1]

تزعم مثل هذه المفتريات أن للأئمة وجود قديم، وأنهم يحملون سرا إلهيا، يمثل حقيقة الحقائق، ولا تحدد هذه الرواية كيف كان علي مع الأنبياء، وهل كان معهم بوصفه إله أم روح، أم أنه هو نفسه كان نوح ثم إبراهيم، إلى أن أصبح الإمام، ولعل الأمر يتضح إذا تتبعنا غلو القوم، وعقائدهم المنحرفة.

ثانيا: النبي والأئمة من نور الله

إذا رجعنا إلى ما سبق بيانه عن الفكر الباطني منذ الفلسفات القديمة وحتى المسيحية، نجد أن القاسم المشترك بين هذه النحل هو القول بقدم نور واسطة بين الله والخلق، هذه الواسطة واحدة وإن تعددت أسماؤها: فهي عند الفلاسفة: الإصدار الأول أو العقل أو الإنسان

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ٣٠-٣١، نقلا عن كتاب صاحب القدسيات.

ومن العجيب أن هذا القول المنسوب زورا وبهتانا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ينسبه الصوفية في كتبهم وينسبونه لأكثر من قطب من أقطابهم، والفرق هو أن الصوفية وضعته على هيئة شعر ركيك، راجع إن شئت كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ٥٩، وكتاب فتوح الغيب ٢١٤، والطبقات الكبري للشعراني ١٥٨:١

الأول، وعند اليهود: آدم قدمون أو آدم السماوي، وعند النصارى: المسيح أو الابن، وتنضم الشيعة إلى هذه القافلة الممتدة عبر الزمان، وسنرى في هذا الفصل الهام أن أقوال الشيعة في أئمتهم، مطابق تماما لقول النصارى في عيسى عليه السلام شبرا بشبر، وذراعا بذراع، والفارق أن الشيعة لا تستطيع أن تغالي في الأئمة دون أن تصف رسول الله ﷺ بنفس الصفات، وهذا القول غالبا ما يكون تكتيكيا كما يقولون في الإصطلاح العسكري، والهدف عندهم في النهاية الغلو في الأئمة، لذلك يضيفون لعلي وللأئمة فوق ما يثبتونه للنبي ﷺ.

يقول الدكتور إبراهيم مدكور: "فمنذ عهد مبكر قال الشيعة بالنور المحمدي الصادر عن الله رأسا، وقد استمدت منه جميع الموجودات"،[1] فإذا أردت أن تتبع هذه المقولة في كتب الشيعة وجدت عشرات النصوص التي تطفح بما يضاهئون به قول الذين كفروا من قبلهم.

ولنبدأ بأوثق كتبهم وهو الكافي، فنجد فيه أبوابا منها:

* باب الأئمة نور الله ﷻ.
* باب الأئمة شهداء الله ﷻ على خلقه.
* باب الأئمة ولاة أمر الله ﷻ وخزنة علمه.
* باب الأئمة خلفاء الله ﷻ في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى.
* باب الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء.
* باب الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم.
* باب الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء.
* باب الأئمة يعرفون جميع الكتب على اختلاف ألسنتها.

ونختار حديثا واحدا من باب الأئمة نور الله ﷻ. يقول أبو عبدالله (ع) في قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾ "فاطمة عليها السلام"، ﴿فيها مصباح﴾ "الحسن"، ﴿المصباح في زجاجة﴾ "الحسين"، ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ "فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا" ﴿توقد من شجرة مباركة﴾ "إبراهيم عليه السلام، ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ "لا يهودية ولا نصرانية"، ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ يكاد العلم

---

١ الفلسفة الإسلامية د. إبراهيم مدكور

ينفجر بها، ﴿ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ [1] "إمام منها بعد إمام".

كما أخرج الحمويني حديثا شيعيا جاء فيه أن النبي ﷺ قال لعلي: "أنا وأنت من نور الله ﷻ. وعن جعفر الصادق عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال: حدثنا عمي الحسن قال: سمعت جدي ﷺ يقول: "خلقت من نور الله ﷻ وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبيهم من نورهم، وسائر الناس في النار". [2]

ويقول الجزائري: "أما الأخبار الواردة بأولية النور، ونوري، وروحي، فهي عبارة عن نوره عليه السلام (أي علي بن أبي طالب)، وهو أول مخلوق على الأولية الحقيقية، ليس فيها للإضافة مدخل بوجه من الوجوه، لأنه قد استفاض في الأخبار أن نوره عليه الصلاة والسلام، أفرزه الله سبحانه من نوره، وأفرز من ذلك النور أنوار الأئمة الطاهرين، وأفرز من ذلك النور الثاني: أنوار المؤمنين (أي الشيعة)، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن". [3]

وينسبون لابن عباس أنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب، فقال له النبي ﷺ : مرحبا بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة، قال: فقلنا يا رسول الله أكان الابن قبل الأب؟ قال: نعم، إن الله خلقني وعليا من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة، ثم قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي، ثم جعلنا على يمين العرش، فسبحنا، فسبحت الملائكة، وهللنا فهللت، وكبرنا فكبرت، فكل من سبح لله وكبر فإن ذلك من تعليمي وتعليم علي". [4]

ويروي صاحب بستان الكرامة أن النبي ﷺ كان جالسا وعنده جبريل عليه السلام، فدخل علي، فقام له جبريل عليه السلام، فقال النبي ﷺ : أتقوم لهذا الفتى؟ فقال له: نعم، إن له علي حق التعليم (أي أن جبريل تتلمذ على يد علي)، فقال النبي ﷺ : كيف ذلك التعليم

---

1 سورة النور آية ٣٥

2 ينابيع المودة للقندوزي ١٠، وهذا المعنى ردده شيخ الطريقة البرهانية في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة صفحة ٩ ، ويروي حديثا مزعوما أن النبي صلى الله عليه سلم قال: "أنا من نور الله، والمؤمنون من رشحات نوري".

3 الأنوار النعمانية للجزائري ١٤

4 الحافظ الشيعي رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ٤٠

يا جبريل؟ فقال: لما خلقني الله ﷻ سألني من أنت؟ وما اسمك، ومن أنا وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتا، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلمني الجواب، فقال: قل أنت ربي الجليل، واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل، واسمي جبريل، ولهذا قمت له وعظمته، فقال النبي ﷺ : كم عمرك ياجبريل؟ فقال: يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين ألف سنة مرة، وقد شاهدته طالعا ثلاثين ألف مرة"، ثم يعلق الشيعي الكبير على هذه الرواية بقوله: وإلى هذا الحديث نظر محيي الدين بن عربي حيث قال في أول خطبة فتوحاته المكية: الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل معلم الملك، وأدار بانقساره (أي بقهره) طبقات الفلك".[1]

ولبيان حقيقة النور الذي يظهر من العرش كل ثلاثين ألف سنة يقول الجزائري: "ورد في الخبر أن جبريل عليه السلام، قد أتى يوما إلى منزل فاطمة عليها السلام فتكلمت معه، وكان فيما خاطبته أن قالت له يا عم! فلما دخل النبي ﷺ قال له جبريل: إن فاطمة قالت لي يا عم فكيف هذا؟ ونحن معاشر الملائكة قد خلقنا من النور، وانتم معاشر البشر قد خلقتم من الطين، فقال له النبي ﷺ : صدقت فاطمة، ثم قال: يا جبرائيل نحن أيضا مخلوقون من النور، أتعرف النور إذا رأيته (أي الذي كان يطلع من العرش)، قال: نعم، فقال عليه الصلاة والسلام: ادعوا لي عليا فلما دخل قال: يا علي ادن مني فدنى منه، فوضع جبهته على جبهته وحكها فيها، فظهر نور لا تكاد الأبصار تطيق النظر إليه، فقال النبي ﷺ: تعرف هذا النور؟ فقال: نعم هذا النور الذي كنا نراه في قوائم العرش، فقال: يا جبرائيل من هذا قالت لك فاطمة يا عم"، ثم يعلق راوي الخبر بقوله وفي هذا الحديث أسرار إلهية، وحكم ربانية لا تبلغ العقول أكثرها.[2]

ومن الغريب أن تجد ابن عربي الذي يسميه الصوفية الشيخ الأكبر، يردد مفاهيم الفلاسفة عن العقل الأول ويمزج ذلك بعقيدة الباطنية فيقول في الفتوحات المكية وغيرها من كتبه: "إن أول موجود هو حقيقة محمد ﷺ: المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية،

---

١ نقلا عن الأنوار النعمانية للجزائري الشيعي صفحة ١٥

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ١٦:١

وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين".[1]

ويردد الشيعة نفس الأفكار القديمة عن الإنسان الأول، حين يشرعون في تفصيل فكرة خلق الكون كله من نور النبي والأئمة فيقول أحد دعاتهم فيما يفتريه عن النبي ﷺ أنه قال: "أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيما، ففتق منه نور علي، فكان نوري محيطا بالعظمة، ونور علي محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس والقمر، والنجوم وضوء النهار وضوء الأبصار، والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره، فنحن الأولون ونحن الآخرون، ونحن السابقون، ونحن الشافعون، ونحن كلمة الله، ونحن خاصة الله، ونحن أحباء الله، ونحن وجه الله، ونحن أمناء الله، ونحن خزنة وحي الله، وسدنة غيب الله، ونحن معدن التنزيل، وعندنا معنى التأويل، وفي آياتنا هبط جبريل"،[2] ويقول في موضع آخر من كتابه صفحة ٦٦ : "محمد وعلي نور واحد قديم، وإنما انقسما تسمية ليمتاز النبي عن الولي، كما امتاز الواحد عن الأحد، فكل واحد أحد، ولا ينعكس، وكذا كل نبي ولي ولا ينعكس، فلهذا لا توزن الأعمال يوم القيامة إلا بحب علي، لأن الولاية هي الميزان كما تقدم".

وتضيف رواية أخرى لثقة الشيعة الأكبر الكليني، بيانا عن الطينة التي خلق منها الأئمة فيقول عن أبي عبدالله (ع): "إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور منه فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا".[3]

لا نجد ما نعلق به على هذه المفاهيم التي تخالف مبادئ الأسلام وعقيدته السمحة، إلا أن القوم فارقوا الدين وتاهوا في متاهات لا يحدها عقل ولا نقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده

---

١ الفتوحات المكية لابن عربي ١١٩:١

٢ مشارق أنوار اليقين في أسرار لأمير المؤمنين للحافظ الشيعي رجب البرسي ٣٩-٤٠

٣ الأصول من الكافي للكليني ٣٨٩:١

شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، وفي رواية أخرى يقول رسول الله ﷺ إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي ﴾.[1]

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الفتن من حديث سهل بن سعد حديث رقم ٦٥٢٨، وحديث ٦٠٩٧، ومسلم في الفضائل ٢٢٩٠، ٢٢٩١، وأحمد في مسنده ٣٣٣:٥، ٣٣٩

ثالثا: عليٌ عندهم أفضل من النبي

تؤمن الشيعة بثالوث المعرفة بين الله ومحمد وعلي، بقولهم إن رسول الله ﷺ قال لعلي: "ما عرفك إلا الله وأنا، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرف الله إلا أنا وأنت" ثم يعقب المؤلف بقوله: "كيف لا والله أوجدهم من نور عظمته"[1]

ما زالت النصوص الشيعية السابقة تقرر مساواة علي للنبي ﷺ من حيث أن نور كل منهما من نور الله، ولكن النصوص التالية جنحت نحو تفضيل علي على النبي ﷺ وهذا ما تشير إليه رواية عن عبدالله بن مسعود يقول فيها: "دخلت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرني الحق لأصل إليه، قال: يا عبدالله ألج المخدع، فولجت المخدع، وعلي بن أبي طالب يصلي ويقول في ركوعه وسجوده: اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخطائين من شيعتي، فخرجت حتى أخبر رسول الله ﷺ فسمعته يقول: اللهم بحق علي بن أبي طالب عبدك إلا ما غفرت للخطائين من أمتي،[2] قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبي في صلاته وقال: يا ابن مسعود أكفر بعد الإيمان؟ فقلت حاشا وكلا يا رسول الله، ولكن رأيت عليا يسأل الله بك ورأيتك تسأل الله به، ولا أعلم أيكما أفضل عند الله تعالى؟ فقال: اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه، فقال: اعلم أن الله خلقني وعليا من نور عظمته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح، ولا تقديس، ولا تهليل، ففتق نوري فخلق منه السموات والأرض، وأنا والله أجلُّ من السموات والأرض، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي والله أجلُّ من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجلُّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أجلُّ من الجنان الحور العين، ثم أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق منها روحا، ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نورا، فأضاف النور إلى تلك الروح، وأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة الزهراء، فلذلك سميت الزهراء، يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله لي ولعلي: ادخلا الجنة من

---

[1] مشارق أنوار اليقين ١١٢ - ١١٣

[2] غريب أن يزعم هؤلاء أن عليا يدعو لشيعته والنبي يدعو على الخطائين من أمته، ولعلها المرة الأولى التي يزعم فيها أحد أن رسوله دعا على الخطائين من أمته، ولكن للغلو والضلال أحكام!

شئتما، وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾، فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من جحد ولاية علي".[1]

ولا يخفى ما في هذه الرواية من الإشارة إلى تفضيل علي على النبي ﷺ فلا شك أن من نور علي خلق العرش والكرسي وهما أعظم وأشرف من السموات والأرض، المخلوقين من نور النبي ﷺ بزعمهم.

ولا تكتفي المصادر الشيعية بمجرد الإشارة إلى الغلو في تفضيل علي حتى ولو كان ذلك على حساب مقام سيد ولد آدم ﷺ بل ورد التصريح في مصادر شتى ونصوص متعددة نختار منها: أن النبي ﷺ قال: "أعطيت ثلاثا وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي ثلاثة ولم أشاركه فيها، فقيل يا رسول الله: وما الثلاث التي شاركك فيها علي؟ قال: لواء الحمد وعلي حامله، والكوثر لي وعلي ساقيه، والجنة والنار لي وعلي قسيمها، وأما الثلاث التي أعطي علي ولم أشاركه فيها: فإنه أعطي شجاعة ولم أعط مثله، وأعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما".[2]

رابعا: النبي يقاتل تحت راية علي

تروي كتب الشيعة عن محمد الباقر أنه قال: "إن عليا رضي الله عنه خطب خطبة ذات يوم فحمد الله فيها، ثم قال: وقد أخذ الله الميثاق مني ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبة، فأما أنا فقد نصرت النبي ﷺ بالجهاد معه وقتلت أعدائه، وأما نصرته لي وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام، فلم تحصل بعد، لأنهم ماتوا قبل إمامتي، وبعد هذا سينصرونني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب، ويخرج الله لنصرتي الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء والكفار الأموات".[3]

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ١:١٨

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ١:١٧

٣ الأنوار النعمانية للجزائري ٢:٩٩

خامسا: رجعة الأئمة

يزعم الشيعة أن الأئمة سيرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة لينتقموا من أعدائهم، فهم يقولون: "إن القول برجعة علي بعد موته إلى الدنيا، وبرجعة رسول الله ﷺ أيضا، وأن عليا لم يقتل وأنه حي، وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه لابد أن ينزل إلى الأرض، فيملؤها عدلا، كما ملئت جورا"،[1] ويقول أحد دعاة الشيعة: "إن إيمان الشيعة بالرجعة لا يتعدى إيمانهم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا﴾ "[2] ومفهوم الآية واضح، وهو يريد الحشر من كل أمة فوجا ولا يريد حشر القيامة، وإلا كان اختصاص الحشر بفوج من كل أمة لغوا باطلا، وهو محال على الله تعالى أن يريده، فلا يجوز حمل كلامه عليه، لذا تراه لما أراد حشر القيامة عبر بما يفيده، فقال تعالى: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾.[3] فعلمنا من ذي وتلك أن الآية الأولى تريد الرجعة، وتختص بها، والثانية تريد حشر القيامة".[4]

سادسا: الإمام الغائب

تنتظر الشيعة خروج الإمام الغائب من السرداب الذي دخله سنة ٢٥٦ هـ، وتؤمن الشيعة أن الإمام الغائب هو: محمد المهدي بن الحسن العسكري، ويسمونه صاحب الزمان، وقائم الوقت، وبرغم أن الحقائق التاريخية تقرر أن الحسن العسكري مات ولم يعقب وليس له ذرية، فمن أين جاءت الشيعة بهذه الفرية، ومن يرجع إلى حكاية محمد المهدي في كتب الشيعة، سيجد نفسه يقرأ أسطورة من الأساطير، ونعرضها باختصار خشية الإطالة، فهم يزعمون أن جارية تدعى نرجس وهبت نفسها للحسن العسكري، فعاشرها عدة أيام قبل وفاته، وبعد موته زعمت أنها ستلد الليلة، ولم يكن عليها أي آثار لحمل أو خلافه، فكان حملها وولادتها يوما أو بعض يوم، فلما ولدته حضر الروح القدس على هيئة طير من السماء، فحمله وغاب عنهم شهرا، ثم أعاده وعمره سنة، إلى أن كان يوم خاف الوليد على نفسه، فدخل السرداب وسيخرج آخر الزمان، وطبعا طالما غاب الإمام فلا تجوز الصلاة

---

١ الخطط للمقريزي ٢:٣٥٦ - ٣٥٧

٢ سورة النمل آية ٨٣

٣ سورة الكهف آية ٤٧

٤ الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ٣٤٤ - ٣٤٥

في جماعة حتى يخرج، وتراهم يكثرون من الدعاء له بالفرج والخروج من السرداب.

* الخضر والإمام الغائب

والشيعة تروج لفكرة حياة الخضر وإلياس عليهما السلام في أوساط السنة، حتى إذا صدق أهل السنة ذلك تمكنوا من ترويج حياة الإمام الغائب، بل إنهم ربطوا بين القصتين وجعلوا لحياة الخضر مهمة أخرى ألا وهي تسلية المهدي في وحدته.

وهذا ما تقرره الحكاية الآتية: "قال الحسن العسكري لأحمد بن إسحاق، وقد أتاه ليسأله عن الخلف بعده، فلما رآه قال مبتدئا: مثله مثل الخضر، ومثله مثل ذي القرنين، إن الخضر شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور، وإنه ليحضر الموسم في كل سنة، ويقف بعرفة، فيؤمن على دعاء المؤمن، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته، فله البقاء في الدنيا مع الغيبة، وهو (أي الخضر) من الأنصار".[1]

* سفراء المهدي إلى شيعته

تزعم الشيعة أن محمد المهدي ولد في ١٨ شعبان سنة ٢٥٦ هـ، وأنه دخل السرداب في عام ٢٦١ هـ، وادعى السفارة أي الدخول إلى السرداب للقاء المهدي، والخروج بخطابات موقعة منه، أربعة من رجال الشيعة هم: عثمان بن سعيد العمري، ومحمد بن عثمان، والحسين بن روح، ومحمد بن علي السمري، وظلت هذه التوقيعات تخرج من السرداب حتى هلك هؤلاء الأربعة عام ٣٢٩ هـ، والشيعة تسمي المدة من تاريخ دخول المهدي إلى السرداب إلى تاريخ انقطاع التوقيعات بالغيبة الصغرى، وتسمي المدة من ذلك التاريخ إلى اليوم الذي يظهر فيه المهدي من سردابه بالغيبة الكبرى، لذا ترى أشهر دعاء للشيعة أن يعجل الله فرج مهديهم ليخرج من السرداب.

---

١ منتخب الأثر في بيان مناقب الإمام الثاني عشر أمير الكاظمي ٢٨٢

سابعا: علي يحاسب الناس يوم القيامة

سارت الشيعة على درب النصارى، فكما زعمت النصارى أن يوم الدينونة يكون أمام الابن الذي يحاسب الناس على ما قدمت أيديهم، زعمت الشيعة أن عليا سيكون المتصرف الأول يوم القيامة، يقول أحد دعاتهم: "فالإله هو الله، والملك المرفوع في القيامة محمد، والحاكم المتصرف عن أمر الملك والمالك هو علي، لأنه والي هناك عن أمر الله وأمر محمد، فملك يوم الدين، وحكم يوم الدين، والتصرف في ذلك اليوم مسلم إلى خير الوصيين، وأمير المؤمنين".[1]

ورب قائل يقول: هذا قول الغلاة من الشيعة، أما الإمامية فلم تصل إلى هذا الحد، لذا نسرد هذه المرويات من كتبهم، منها ما ينسبونه للنبي ﷺ : "إذا كان يوم القيامة، أقام الله ﷻ جبريل ومحمد عليهما السلام على الصراط، لا يجوز أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب، وإلا هلك، وأنزله الله الدرك الأسفل"، وكذا روي "أنه لا يدخل الجنة أحد إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب".[2]

ويروى عن علي الرضا أنه قال: "إنما سُمي النبي ﷺ أبا القاسم لأنه ربى عليا في حجره، لما أخذه من أبي طالب عام القحط، وعلي قاسم الجنة والنار، والنبي أبوه فهو أبو القاسم"،[3] ولذلكم لا غرابة أن تقول الشيعة: "أن الله يبعث رضوان بمفاتيح الجنة، ومالكا بمفاتيح النار، فيدفعهما إلى علي بن أبي طالب"،[4] ويزعمون أن ابن عباس روى عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله نصَّب عليا بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن ساواه بغيره كان مشركا".[5] ومن جملة ما يزعمونه رواية يكذبون فيها على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ وذلك قولهم: "لأدخلن الجنة من أطاع عليا وإن عصاني، ولأدخلن النار من عصاه وإن أطاعني".[6]

---

١ مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي ١٧٩

٢ الأنوار النعمانية للجزائري ٢١

٣ الأنوار النعمانية ٢٢

٤ الأنوار النعمانية ٢٢

٥ مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي ٥٢

٦ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي ٦٦

وجاء في مقدمة تفسير البرهان ان الله تعالى قال: "علي بن أبي طالب حجتي على خلقي، لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني".[1]

وجاء في تفسير منهج الصادق: "أن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة"، قال: "وإن حبنا آل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما يحط الريح الورق عن الشجرة".[2]

أعتقد أن هذا المفهوم الذي تعرضه هذه الروايات غير مسبوق بين فرق المسلمين، ولم تزعمه ملة من ملل الكفر من قبل، ولكنه مفهوم مقتبس من المسيحية فمن أطاع الإمام وإن عصى الله دخل الجنة، يقابله الإيمان بالمسيح يدخل الجنة، وإن عاش المسيحي عاصيا للآب، ومن يطع الآب ويرفض الإيمان بالمسيح دخل النار.

---

١ مقدمة تنفسير البرهان صفحة ٢٣

٢ تفسير منهج الصادق للشيخ فتح الله الكاشاني ٨:١١٠، وكتاب مع الخطيب للشيخ الشيعي عبدالله الأنصاري ٨١، نقلا عن كتاب حوار هادئ بين السنة والشيعة لعبدالله بن سعيد الجنيد ٣٣

الفصل الثالث

الشيعة والقرآن

١- مصحف علي

٢- مصحف فاطمة

٣- الشيعة وتحريف القرآن

٤- الشيعة المعاصرون والقرآن

٥- أمثلة من التحريف المزعوم

الفصل الثالث: الشيعة والقرآن

استحفظ الله تبارك وتعالى اليهود على التوراة حيث قال: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾[1] ثم استحفظ النصارى على الإنجيل، وكانت النتيجة تحريف الرسالتين، وضياع النورين، ولما كانت رسالة سيدنا رسول الله ﷺ هي الخاتمة لكل الرسالات فقد تعهد الحق تبارك وتعالى بحفظ كتابه، قال جل شأنه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[2] ورغم أن دلالة الآية واضحة ومعناها محكم لا يحتمل أي تأويل إلا أن الشيعة لها رأي غريب نطالعه معا في السطور التالية:

أولا: مصحف علي

تدور عقيدة الشيعة كلها حول فلك الإمامة والسبب الرئيسي وراء انحرافهم عن السنة، ينحصر في زعمهم بأن الله ﷻ ألزم الأمة بوصاية علي بن أبي طالب، وأن رسول الله ﷺ قد أخذ العهد على الصحابة بإمامته، وإمامة ذريته من بعده. ويتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه ألا وهو: إذا كانت الإمامة على هذا المستوى من الأهمية، فكيف لا ترد صراحة في القرآن الكريم؟ أو بمعنى آخر إن القرآن ليس فيه التصريح المطلوب فأين الدليل؟ ولم تجد الشيعة بدا من القول بأن القرآن المتداول حاليا بين يدي المسلمين قد ناله التحريف، وكان لابد من قصة تجيب على أسئلة الناس: من حرف القرآن؟ ولمصلحة من؟ وتجيب النصوص الشيعية التالية وما سنعرضه في الفصل التالي على هذه الأسئلة:

من المعلوم أن عدد آي القرآن الكريم ٦٢٣٦ آية، وللشيعة رأي يقول: "أن القرآن الذي نزل به جبريل عليه السلام سبعة عشر ألف آية".[3] وتروي كتب الشيعة عن محمد الباقر وولده جعفر الصادق أنهم قالوا: "نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن، وربع فرائض وأحكام".[4] ويعلل الشيعة اختفاء ثلثي القرآن الكريم بقولهم: "لما انتقل سيد البشر محمد بن عبدالله ﷺ من دار الفناء إلى دار البقاء، وفعل صنما قريش

---

١ سورة المائدة آية ٤٤

٢ سورة الحجر آية ٩

٣ الكافي للكليني ١:٢٣٩ - ٢٤٠

٤ نقلا عن الشيعة والقرآن إحسان إلهي ظهير ١٥٨

(يقصدون أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) ما فعلاه من غصب الخلافة الظاهرية، وجمع أمير المؤمنين (علي) القرآن كله ووضعه في إزاره، وأتى به إليهم وهم في المسجد، فقال لهم: هذا كتاب الله سبحانه، أمرني رسول الله أن أعرضه إليكم، لقيام الحجة عليكم يوم العرض بين يدي الله تعالى، فقال: فرعون هذه الأمة ونمرودها (يشيرون إلى عمر رضي الله عنه) لسنا محتاجين إلى قرآنك، فقال: لقد أخبرني حبيبي محمد بقولك هذا، وإنما أردت بذلك إلقاء الحجة عليكم، فرجع أمير المؤمنين به إلى منزله، وهو يقول لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لا راد لما سبق في علمك، ولا مانع لما اقتضته حكمتك، فكن أنت الشاهد لي عليهم يوم العرض عليك، فنادى ابن أبي قحافة أبو عبيدة بن الجراح، وعثمان وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبدالله، وأبو سعيد الخدري، وحسان بن ثابت، وجماعات المسلمين، وجمعوا هذا القرآن، وأسقطوا ما كان فيه من المثالب التي صدرت بعد وفاة سيد المرسلين".[1] ويروى عن أبي جعفر أنه قال: "إن القرآن طرح منه آي كثير، ولم يزد فيه إلا حروفا اخطأت به الكتبة، وتوهمتها الرجال".[2]

ثانيا: مصحف فاطمة

ويروي الكافي بسند شيعي إلى أبي جعفر يقول: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده"، ويبدو أن لهذا المصحف عدة أسماء: فتارة يسمونه مصحف علي، وتارة أخرى مصحف فاطمة، ويروي الكافي حديثا عن الأئمة يقول فيه: "وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد".[3] وتزعم الشيعة بهذا النص أن القرآن الكريم الذي نتلوه الآن ليس فيه حرف واحد مما أنزل الله على رسوله ﷺ فالأمر إذن ليس حذفا متعمدا لثلثي القرآن وإنما هو مصحف آخر، ويروي الكليني حديثا على لسان أحد الأئمة يشرح فيه كيفية نزول مصحف فاطمة فيقول: "إن الله تعالى لما قبض

---

١ إلزام الناصب لشيخ فقهاء الشيعة وحدثيهم: علي اليزدي الحائري ٢:٩٦

٢ نقلا عن الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ١٤٣

٣ الكافي للكليني ١:٢٣٩

نبيه عليه الصلاة والسلام دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، فأرسل إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين يكتب كلما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفا"، نحن إذا أمام:

وحي جديد، ونبوة جديدة، ومصحف جديد، وأمر خفي...

وليس هذا استنتاجا من عندنا وإنما هو نقل لنصوص من أجلّ كتبهم، فيروى عن أبي جعفر قوله: "يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا تأخذه في الله لومة لائم".[1]

ومن الثابت أن السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ماتت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، وتقول روايات الشيعة أن عليا عكف خلال نفس الفترة يجمع سبعة عشر ألف آية نزلت على النبي ﷺ فكيف فرغ أيضا من كتابة وحي الملك على فاطمة رضي الله عنها، ولا نعرف هل نَسَخَ ما جاء في مصحف فاطمة، ما جمعه علي في مصحفه، وكيف صار لأهل السنة مصحف عثمان، وللشيعة مصحف فاطمة ومصحف الإمام.

ثم أين هي مصاحف الشيعة؟ وجوابهم: أن الإمام الغائب قد أخذها معه إلى السرداب، وسيظهرها آخر الزمان، أما ما حكم قراءة الشيعة لمصحف عثمان وهم يعتقدون التحريف فيه؟ فتأتي الإجابة في رواية الكافي على لسان عليّ بن موسى الرضا المتوفي سنة ٢٠٦ هـ، حين سأله سائل فقال: "جعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا تحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا اقرؤا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم".[2]

١ نقلا عن الشيعة والقرآن لإحسان ظهير ١٥٧

٢ الكافي للكليني ١:٢٨٩

ثالثا: الشيعة وتحريف القرآن

من الثابت عند جمهور الشيعة إعتقادهم أن القرآن الكريم قد ناله التحريف، ولم ينفي التحريف من قدمائهم إلا أربعة فقط من باب التقية،[1] وأن هذا التحريف قد تم على يد الصحابة، إلا أن أحد علماؤهم الذي لايختلف الشيعة المعاصرون حوله مكانته - ومنهم الخميني - ويدعى ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ، قام بما لم يقم به شيعي قبله، لذا كافئوه بعد موته بالدفن في أقدس البقاع عندهم، في بناء المشهد المرتضوي بالنجف، ولم يقم الرجل في سنة ١٢٩٢ هـ، إلا بوضع كتاب أسماه: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، جمع فيه ما يزيد عن ألف رواية بإسناد الشيعة، تحكي التحريف والتبديل والزيادة والنقصان الذي تتوهمه الشيعة في القرآن الكريم، وهذا الطبرسي هو أول من أعلن وصرح وألف وجمع مروياتهم المتناثرة في كتبهم، وأخرجها لشيعته. وقد أحدث هذا الكتاب ضجة هائلة في إيران عند صدوره، يعلل هذه الضجة العلامة محب الدين الخطيب بقوله: " لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في

---

١ القائلون بالتحريف من أعيان الشيعة، إمام محدثي الشيعة وعمدتهم في الحديث الكليني صاحب الكافي، وأستاذه القمي شيخ مشايخ الشيعة في التفسير، وعين عيون الشيعة وصاحب أقدم تفسير شيعي محمد بن مسعود العياشي، ومحمد بن الحسن الصفار صاحب الحسن العسكري الإمام المعصوم عندهم، وفرات بن إبراهيم الكوفي المفسر الشيعي القديم، أستاذ والد القمي وشيخ شيخه، ومحمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد أستاذ شيخ الطائفة الطوسي، ومحمد بن إبراهيم النعماني تلميذ الكليني وصاحب كتاب الغيبة، والمفسر بن العباس الماهيار، شيخ المتكلمين أبوسهل إسماعيل بن علي، الفيلسوف أبو محمد حسن بن موسى، الشيخ الجليل إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق الكاتب، ورأس الشيعة الذي ربما قيل بعصمته أبو القاسم حسين بن روح السفير الثالث بين الشيعة والإمام الغائب، وشيخ الأقدمين فضل بن خالد البرقي، وعلي بن الحسن الفضالي، ومحمد بن الحسن الصيرفي، وأحمد بن محمد السيار من المتقدمين، ومن المتأخرين الكثيرون ممن لا يعدون ولا يحصون من مفسري الشيعة ومحدثيهم وفقهائهم ومتكلميهم.

ومن قال بعدم التحريف أربعة لا خامس لهم وهم: ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق، والسيد المرتضى الملقب بعلم الهدى، وأبو جعفر الطوسي، وأبوعلي الطبرسي نقلا عن الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ٧١ والشيعة وأهل السنة صفحة ٧٧ - ٧٨

صحة القرآن محصورا بين خاصتهم، ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، يطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم، ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات، خالفهم الطبرسي، وألف كتابا آخر أسماه: رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، وقد كتب كتابه هذا في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافئوه على هذا المجهود بأن دفنوه في بناء المشهد العلوي في النجف".[1]

رابعا: الشيعة المعاصرون والقرآن

سئل الخميني مرة: لماذا لم يذكر القرآن الكريم صراحة اسم الإمام؟ فقال في كتابه كشف الأسرار تحت عنوان مخالفات أبي بكر لنص القرآن، ثم مخالفات عمر لكتاب الله، وبعد أن ضرب أمثلة لذلك عقب بقوله: "يفهم من الأمثلة التي قدمناها عن مخالفة الشيخين (أبي بكر وعمر) أنهما خالفا الأحكام القرآنية الصريحة علانية في وجود المسلمين، وهذه المخالفة لم تكن بالنسبة لهما أمرا هاما، أو غير عادي، وفي ذلك الوقت كان أمام المسلمين خياران: إما أن ينضموا إلى حزبيهما، يشتركوا معهما في تحقيق هدفهما من أجل الحصول على الحكم والسلطة، ويتعاونوا معهما لتحقيق ذلك، وإما أن يخرجوا عن حزبيهما ولا يكونوا معهما. إلا أنهم لم يجرؤا على الحديث ضد هذين المنافقين المتسلطين الظالمين اللذين ظلما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ".[2]

ويستكمل الخميني افتراءاته بقوله: "إذا ذكر الله تعالى اسم الإمام صراحة في القرآن الكريم قام أولئك الناس الذين ارتبطوا بالإسلام والقرآن من أجل الدنيا والحكومة فقط، واتخذوا من القرآن وسيلة لتحقيق أغراضهم الفاسدة، بإخراج تلك الآيات القرآنية (أي التي فيها ذكر الإمام)، وهكذا يظل هذا العمل باعثا على الخزي والعار للمسلمين ولقرآنهم حتى يوم القيامة، والاعتراض الذي يعترضه المسلمون على كتب اليهود والنصارى المحرفة نفس

---

١ الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ١٠ - ١١

٢ كشف الأسرار للخميني صفحة ١١١، نقلا عن كتاب الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للشيخ محمد منظور نعماني كبير علماء الهند، والذي ترجمه إلى العربية د. سمير عبدالحميد إبراهيم

الاعتراض سيوجه لهم ولقرآنهم".[1]

لذلك يحذر علماء الشيعة أتباعهم أن يأخذوا شيئا من الدين مهما كان شأنه. وينسب الشيعة إلى الإمام الرضا أنه قال: "لا تأخذ دينك من غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم، وإنهم ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه فعليهم لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة آبائي البررة الكرام، ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة".[2]

خامسا: أمثلة من التحريف المزعوم

ذكر الطوسي في كتابه المشئوم: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ١٠٦٢ خبر من أخبار الشيعة، يزعمون في أغلبها حذف مناقب الأئمة أو آل البيت من مواضع متعددة من القرآن نعرض بعض الأمثلة - على سبيل المثال لا الحصر - لما افتروه على القرآن وسنضع افتراءاتهم بين العلامات التي اخترناها للآيات القرآنية:

* ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في ولاية علي والأئمة بعده ﴿فقد فاز فوزا عظيما﴾
* ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين﴾ بولاية علي ﴿ليس له دافع﴾
* ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ آل محمد ﴿أي منقلب ينقلبون﴾
* ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ في ولاية علي
* ﴿فبدل الذين ظلموا﴾ آل محمد حقهم ﴿قولا غير الذي قيل لهم﴾
* ﴿بئس ما اشتروا به أنفسهم ﴾ أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغيا
* ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ في علي ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾
* ﴿والذين كفروا﴾ بولاية علي بن أبي طالب ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾
* ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران﴾ وآل محمد ﴿على العالمين﴾
* ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ويعترض الشيعة على وجود هذه الآية في القرآن

---

١ كشف الأسرار للخميني صفحة ٥٥، نقلا عن كتاب الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للشيخ محمد منظور نعماني كبير علماء الهند، والذي ترجمه إلى العربية د. سمير عبدالحميد إبراهيم

٢ دائرة معارف الشيعة ٣:٩٠

الكريم، وسبب اعتراضهم يرويه القمي عن أبي عبدالله أنه قال: "يقتلون الحسن والحسين ويكونون خير أمة أخرجت للناس؟ فقيل له: فكيف نزلت قال نزلت "أنتم خير أئمة أخرجت للناس".

* ﴿ليس لك من الأمر﴾ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون لآل محمد".

وهكذا وعلى نفس الوتيرة تتوارد أخبارهم إلى آخر القرآن، ففي سورة الكوثر يقولون:

* ﴿إنا أعطيناك﴾ يا محمد ﴿الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك﴾ عمرو بن العاص ﴿هو الأبتر﴾.

كما يزعمون أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أتلف السور التي كانت في فضل علي وأهل بيته منها سورة الإمامة.

ومن جملة ما وضعوا من الأحاديث قولهم عن أبي جعفر بسند شيعتهم إلى رسول الله ﷺ يقول فيه: "إني تارك فيكم كتاب الله وعترتي، قال أبو جعفر: أما الكتاب فحرفوا، وأما العترة فقتلوا".[1]

ويحتار المرء في أمر الشيعة، فقد أشركوا مع الله أئمتهم، وضاع إيمانهم في قرآن ربهم، وحصروا أنفسهم في مسألة وصاية الإمام، ونراهم في الفصل التالي يصبون - خيبهم الله - غضب كفرهم على أصحاب النبي ﷺ.

---

١ بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ١٧:٨

الفصل الرابع

الشيعة والصحابة

١- ارتداد جمهور الصحابة

٢- دعاء صنمي قريش

٣- أسماء رمزية للصحابة

الفصل الرابع: الشيعة والصحابة

أولا: ارتداد جمهور الصحابة

جعل رسول الله ﷺ آية الإيمان حب الأنصار، ولا يخفى ما للمهاجرين من الفضل والسبق والتضحية بكل شيء في سبيل إعلاء دين الله ﷻ وقد حذر رسول الله ﷺ من التطاول على أصحابه حيث قال: ﴿ لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾.[1]

ورغم هذا فالشيعة عندما حصرت نفسها في دائرة الإمامة، واضطرت إلى الزعم بتحريف القرآن الكريم، فإنهم راحوا يصبون حقدهم على الصحابة رضوان الله عليهم، بل تراهم يسبونهم بأشنع الصفات، حيث لم يساندوا عليا رضي الله عنه. وترى كتبهم تطفح بكراهية الصحابة رضي الله عنهم، وأيضا حقدهم الشديد على أزواج النبي ﷺ وخاصة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، يقول الكليني بسنده الشيعي: "عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري". وفي موضع آخر من نفس المصدر يروي حديثا يزعم فيه أن "رسول الله ﷺ أصبح يوما كئيبا حزينا، فقال له علي: ما لي أراك يا رسول الله كئيبا حزينا؟ قال: وكيف لا أكون كذلك، وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تميم (قوم أبي بكر رضي الله عنه)، وبني عدي (قوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، وبني أمية (عشيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه) يصعدون منبري هذا، يردون الناس عن الإسلام القهقري، فقلت (أي الرسول): يا رب في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك".[2]

ويعترف أحد علماء الشيعة أن أول من سب الصحابة هو عبدالله بن سبأ اليهودي المعروف بابن السوداء، يقول النوبختي: "عبدالله بن سبأ كان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، قائلا إن عليا أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم، وأضاف النوبختي: وكان ابن سبأ يقول عندما كان يهوديا بوصاية يوشع بن نون بعد موسى،

---

١ حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري ٣٣٩٧، ومسلم ٤٦١١، والترمذي ٣٧٩٦، وأبي داود ٤٠٣٩، وابن ماجة ١٥٧، وأحمد في مسنده ١٠٦٥٧، ١١٠٩٢، ١١١٨٠

٢ الكافي للكليني كتاب الروضة ٢٤٨:٨

فلما أسلم قال بوصاية علي بعد النبي ﷺ .. وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي... فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية".[1]

ثانيا: دعاء صنمي قريش

يقولون في الأمثال الخطاب يظهر من عنوانه، ويؤكد ذلك ما أورده الكاشاني في المقالة الثامنة حيث جعل عناوين فصول كتابه يحكي مضمون عقيدته، ومنها ما يلي:

* "نفاق طائفة من الصحابة في زمان النبي ﷺ وارتدادهم بعده".
* "ارتداد أكثر هذه الأمة بعد نبينا ﷺ والسبب في ذلك"
* "علة ضلال جمهور الأمة عن أنوار الأئمة"
* "أن أرذل المخلوقات صنما قريش عليهما لعائن الله"

ويخصص المجلسي في بحار الأنوار بابا بعنوان: "باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم".[2] وللشيعة دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش منتشر عندهم ومطبوع في كتاب مفتاح الجنان، وهذا الكتاب يشبه دلائل الخيرات عند الصوفية، يقولون فيه: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما...."[3]

وجاء في كتاب الكافي: "أن أبا بكر وعمر فارقا الدنيا، ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما فعلاه بعلي، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".[4]

وقالوا عن أبي بكر إنه قرين الشيطان، وإنه وصاحبه عمر منافقان وظالمان وكاذبان، وإن من اعتقد إمامتهما مات ميتة جاهلية وضلالة".[5]

وقالوا عن عمر رضي الله عنه بأنه: "ابن زانية اسمها صهاك، زنا بها عبدالمطلب فولدت منه عمر".[6] وقالوا عن عثمان: "إنه كان على الباطل ملعونا".[7]

---

١ فرق الشيعة للنوبختي ٤٤ - ٤٥

٢ بحار الأنوار للمجلسي ٢٠٨:٨ - ٢٥٢ ط: المطبعة الحجرية

٣ مفتاح الجنان ١١٤، نقلا عن الخطوط العريضة للإسس التي قام عليها دين الشيعة ٢٠

٤ الكافي للكليني ٢٤٦:٨

٥ الطرائف في معرفة المجالس لابن طاووس ٤٠١

٦ الأنوار النعمانية ٦١:١ نقلا عن حوار هادئ بين السنة والشيعة لعبدالله بن سعيد الجنيد ٤٣

٧ حديقة الشيعة للمقدسي الأردبيلي ٢٧٥

وقال المجلسي في كتابه حق اليقين: "إن من يعتقد بأن عثمان مات مظلوما يكون ذنبه أشد من الذين عبدوا العجل".[1]

ثالثا: أسماء رمزية للصحابة

يطلق أعداء الإسلام من الباطنية الأشرار أسماء رمزية للصحابة يتداولونها فيما بينهم، من باب التورية والتقية منها، فمن جبنهم تراهم يستخدمون هذه الأسماء في حضور أهل السنة منها: "الجبت والطاغوت" أو "صنمي قريش"، وهم يطلقونها على أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما. كما يقولون "ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا": وهم يقصدون بالترتيب طلحة والزبير وعثمان بن عفان ومعاوية وعمرو بن العاص، رضي الله عنهم أجمعين ولو كره أعداء الدين. وحين يتلون "الحمار يحمل أسفارا" لعنهم الله أنى يؤفكون يومئون إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ونحن ندعو قائلين اللهم العن من لعن الصديق الحبيب أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وقبح اللهم من لعن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضوان الله عليها زوج النبي في الدنيا والآخرة ولو كره الكافرون، واطمس اللهم على قلب من لعن الفاروق عمر بن الخطاب من الخليفة الراشد العادل الذي أعز الله به الدين، ومن بشره الرسول ﷺ أنه الحاجز بين الأمة وبين الفتنة، وأن الله سيغلق به باب الفتنة طول حياته، وما نطق هؤلاء الحاقدين إلا بعد مقتل الفاروق عمر فكُسِر الباب، وأطلت الفتنة على الأمة إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ندعوه سبحانه أن يذل من لعن أم المؤمنين بنت الفاروق: حفصة رضي الله عنها. والله نسأل أن يحشرنا في زمرة أصحاب نبيه وآل بيته والمهاجرين والأنصار وأن يجعلنا من أحبابهم وشيعتهم، حتى يدخلنا مدخلهم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.[2]

---

١ حق اليقين للمجلسي ٢٧٠

٢ من أراد أن يتعرف على فساد الشيعة وخطورتها على الإسلام فليقرأ مجموعة مؤلفات المرحوم الأستاذ/ إحسان إلهي ظهير، الذي اغتالته أيدي الباطنية الحاقدة، ومنها: "الشيعة والتشيع، بين أهل السنة والشيعة، والشيعة والقرآن، والشيعة وآل البيت".

الفصل الخامس

قيام
دولة الشيعة

١- بدء ظهور المهدي
٢- المهدي يخرب مكة ويهدم الكعبة
٣- المهدي يصلب أبي بكر وعمر
٤- انتقام الشيعة من عائشة
٥- المهدي يشيد هيكل سليمان
٦- من هو مهدي الشيعة؟



الفصل الخامس: قيام دولة الشيعة

أولا: بدء ظهور المهدي

تتوعد كتب الشيعة أهل السنة بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولسنا نتجنى عليهم، إنما هي كتبهم وما عبرت به عن اعتقادهم، وسنعرض أفعال المهدي بمجرد خروجه من السرداب حيث يتوجه إلى مكة ثم يبدأ سلسلة أفعال نوردها حسب ترتيب حدوثها كما تزعم وتبشر بها مروياتهم، ويقول أحد دعاتهم أن أول ظهور للمهدي: "أن يقف بين الركن والمقام، ويصرخ صرخة: يا معشر نقبائي وأهل خاصتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض ايتوني طائعين، فترد صيحتهم عليهم وهم على تجارتهم، وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل، فيجيئون نحوه ولا يمضي لهم إلا كلمح بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام، حتى إذا اجتمعوا إليه، منهم من يأتي راكبا السحاب، ومنهم من يسير على الماء، فإذا التقوا عنده خطب فيهم قائلا:

"يا معشر الخلائق:
ألا من أراد منكم أن ينظر إلى آدم وشيث، فها أنا ذا آدم وشيث،
ألا من أراد منكم أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل، فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل
ألا من أراد منكم أن ينظر إلى عيسى وشمعون، فها أنا ذا عيسى وشمعون
ألا من أراد منكم أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين، فها أنا ذا محمد وأمير المؤمنين
ألا من أراد منكم أن ينظر إلى الحسن والحسين، فها أنا ذا الحسن والحسين
ألا من أراد منكم أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين، فها أنا ذا الأئمة
أجيبوا مسألتي فإني أنبئكم بما نبئتم به أولم تنبؤا به، ثم يقرأ جميع الكتب والصحف والرسالات السماوية ويصدقه جميع الأمم، حتى يقول: "ثم يتلوا القرآن (ولم تحدد هذه المفتريات أي مصحف يقرأ: مصحف فاطمة أم مصحف علي) فيقول المسلمون هذا والله القرآن وما حرف وما بدل"[1]

---

١ الأنوار النعمانية للجزائري ٢:٨٢ - ٨٤

ثانيا: المهدي يخرب مكة ويهدم الكعبة

تنتظر الأمة الإسلامية المهدى المنتظر الذي سيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا، ولكن المهدي الذي تترقبه الشيعة سيبدأ أول أفعاله بقتل قريش والعرب وهذا ما ترويه أخبار الشيعة حيث تقول: "ثم يبدأ أول أفعاله بقتل قريش وصلبهم الأحياء منهم والأموات، ويضع السيف في رقاب العرب، وينسب إلى جعفر الصادق أنه قال: "لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس أما إنه لا يبدأ إلا بقريش، فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس هذا ليس من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم، فهو سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف ولا يستتب أحد".[1] انظر كراهية الفرس واليهود للعرب الذين نشروا الإسلام في ربوع الدنيا.

وسأل أحد أتباعهم أبا جعفر الإمام الخامس عن المهدي فقال: أيسير بسيرة محمد ﷺ؟ قال: هيهات يازرارة ما يسير بسيرته وقلت: جعلت فداك، لم؟ قال: إن رسول الله ﷺ سار في أمته بالمنّ كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل، بذاك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل، ولا يستتيب أحدا"،[2]

وسئل أبي عبدالله عن سيرة المهدي فقال: يصنع كما صنع رسول الله ﷺ يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام الجديد"،[3] وقبل أن نكشف عن الكتاب الجديد، والدين الجديد الذي سيدعو إليه المهدي، ويهدم من أجله الإسلام كما هدم رسول الله ﷺ الجاهلية.

تعالوا نرى أفعال المهدي بعد قتل العرب وإعمال السيف في رقاب قريش والعرب:

"إن القائم ينقض البيت (الكعبة) فلا يدع منها إلا القواعد، والله ليعفين آثار الظالمين بمكة والمدينة والعراق وسائر الأقاليم".[4]

---

١ الأنوار النعمانية ٢٣٣

٢ كتاب الغيبة للنعماني ٢٣١

٣ بحار الأنوار للمجلسي ١٩٤:١٣

٤ يوم الخلاص ٤٦٥ يرونه عن جعفر الصادق

ثالثا: المهدي يصلب أبا بكر وعمر

ينسب الشيعة إلى أئمتهم روايات تصف دخول المهدي إلى المدينة بأنه:

١- "وأجيء إلى يثرب وأهدم الحجرة (التي تضم قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما) وأخرج من بها وهما[1] طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بالخشبتين يصلبان عليهما".[2]

٢- "إن المهدي إذا ظهر ودخل المدينة ووقف عند قبر سيدنا رسول الله ﷺ فيقول: يا معشر الخلائق هذا قبر جدي، فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد، فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: ضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول وهو أعلم الخلق مَنْ أبو بكر وعمر: وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله ﷺ وعسى أن يكون المدفون غيرهما؟ فيقول الناس: يا مهدي آل محمد ما هيهنا غيرهما، وأنهما دفنا معه، لأنهما خليفتاه، وآباء زوجتيه، فيقول: هل يعرفهما أحد؟ فيقولون: نعم نحن نعرفهم بالوصف، ثم يقول: هل يشك أحد في دفنهما هنا؟ فيقولون: لا، فيأمر بعد ثلاثة أيام، ويحفر قبرهما ويخرجهما فيخرجان طريين، كصورتهما في الدنيا، فيكشف عنهما أكفانهما، ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها".[3]

رابعا: انتقام الشيعة من عائشة أم المؤمنين

لا يقف حقد الشيعة وكراهيتهم عند حد، حتى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق يتهمونها بالفاحشة، قبحهم الله في الدنيا والآخرة، ثم راحوا يتوعدونها على يد مهديهم المنتظر، وتقول رواياتهم المتناثرة هنا وهناك ما نصه: "لو قام قائمنا رد الحميراء (يومئون إلى أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما) حتى يجلدها الحد، وينتقم لجده محمد ﷺ".[4]

---

١ وهما أي جسد أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما

٢ البرهان في تفسير القرآن ٢:٤٠٧

٣ الأنوار النعمانية ٢:٨٦ - ٨٧

٤ تفسير الصافي ٣٥٩

خامسا: المهدي يشيد هيكل سليمان

تزعم الشيعة أن معجزات الأنبياء ستتجمع عند المهدي وقت ظهوره ومنها:

١- "يستخرج المهدي كتبا من غار أنطاكية، ويستخرج الزبور من بحيرة طبرية، وفيها مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، وفيها الألواح وعصى موسى".[١]

٢- "أول ما يبدأ القائم بأنطاكية فيستخرج منها التوراة من غار فيه عصا موسى، وخاتم سليمان، وأسعد الناس به أهل الكوفة، ويسمى المهدي لأنه يهدي لأمر خفي".[٢]

٣- أن المهدي يخرج إرم ذات العماد، والقصر الذي بناه سليمان بن داود، ويخرج التابوت الذي أمر به أرميا أن يرميه في بحيرة طبرية، فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ورضاضة اللوح، وعصا موسى، وقباء هارون، وعشر أصواع من المن والسلوى والشرائح التي ادخرها بنو إسرائيل بعدهم، فيفتح بالتابوت المدن كما استفتح به من كان قبله".[٣]

٤- "إن المهدي يسير إلى أورشليم لتعميرها وإقامة دعائمها".[٤]

لا شك أن معالم الأمر الخفي بدأت تتضح أمام القارئ الكريم، فالمهدي بعد أن يهدم الكعبة ويقتل العرب، يذهب إلى المدينة فيصلب الشيخان، ثم يذهب إلى أورشليم لتعميرها وإقامة دعائمها لذا يستخرج أولا التوراة، ثم القصر الذي بناه سليمان، وهو بالطبع هيكل سليمان ولكن للتقية أحكام، ولا يخفى أنه لكي يستخرج القصر الذي بناه سليمان لابد أن يهدم المسجد الأقصى، حيث يزعمون أن قصر سليمان أو هيكله يقع تحت المسجد.

ونحتاج إلى قراءة هذا النص الذي يوضح الصورة تماما، ولا يدع في الأمر أدنى شك، ويفسر لنا سر ارتباط الشيعة وعلومها باليهود وعلماء بني إسرائيل، فهم في النهاية يعملون لخدمة أغراضهم وتحقيق مخططاتهم: "إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بحكم داود وسليمان! لا يُسْأَلُ بينة".[٥]

---

١ إلزام الناصب ١:٢٣٥ ، ويوم الخلاص ٢٠٥

٢ دائرة معارف الشيعة ١٤:٣١٦

٣ يوم الخلاص ٢٣٥

٤ إلزام الناصب ١:١٣١ ، ٢:١٦٧

٥ الأصول من الكافي ١:٣٩٧ - ٣٩٨

فالأمر الخفي أصبح واضحا جليا إن الشيعة ينفذون بروتوكولات آل صهيون ومخططات اليهود وهم من اللحظة الأولى لظهور عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء، ثم بالدور المشبوه الذي لعبه ميمون بن ديصان القداح، هي خطوات مرسومة لإخراج المسلمين عن دينهم، وإحداث الفرقة بينهم، ثم استخدام أتباعهم في تنفيذ مخططاتهم الجهنمية، فاليهود مهما اشتد عودهم وعلا صوتهم لا يستطيعون هدم المسجد الأقصى، فهم في النهاية يخشون إيقاظ المسلمين من ثباتهم العميق، ولكن ماذا لو تطوعت الشيعة للقيام بهذا الدور نيابة عنهم، وهم أمام العالم مسلمون مختلفون في دينهم ويصفون حسابات قديمة، منذ عهد الفتنة الكبرى. وعامة الشيعة البسطاء يتحركون من خلال عقيدة سطرتها أيدي اليهود والباطنيين، وأعانهم عليها آيات الله، وتنفذ الآن بتعاون وثيق بين إسرائيل وإيران ليس لتصدير الثورة كما يزعمون، وليس لتطبيق الإسلام وتنفيذ تعاليمه، وإنما لتطبيق شريعة داود وسليمان، وإنما لنشر الفكر الشيعي وتهيأة المسلمين للقيام بالمشهد الأخير من عمر هذه الحياة الدنيا.

وهذه نصوصهم فمن شاء فليحذر، ومن شاء فليستمر في نومته التي نخشى عليه أن لا يقوم منها أبدا: "إذا خرج المهدي فليس له عدو مبين إلا الفقهاء (أهل السنة)، ويبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق (الشيعة) عن شهود وكشف وتعريف إلهي".[1]

وفي رواية واضحة لا تقية فيها: "حين يظهر المهدي يبدأ حسابه وعمله أولا من السنيين، وخاصة علماء السنة، وذلك قبل الكافرين، فيقتلهم جميعا، ويبيدهم عن آخرهم".[2]

ومما يثبت ارتباط الشيعة بالصوفية وامتزاج معتقداتهم أن تجد شيخ الصوفية الأكبر يكرر نفس أقوال الشيعة حيث يقول: "وإذا خرج هذا الإمام المهدي، فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة، فإنهم لا تبقى لهم رياسة ولا تمييز عن العامة، ولا يبقى لهم علم بحكم إلا القليل، ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام، ولولا أن السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم، فيطمعون ويخافون فيقبلون حكمة من غير إيمان، بل يضمرون خلافه".[3]

---

١ يوم الخلاص ٢٢٣ - ٣٤٣

٢ حق اليقين نقلا عن الثورة الإيرانية لمحمد منظور نعماني ١٤٨

٣ الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي ٣٣٦:٣

سادسا: من هو مهدي الشيعة المنتظر؟

تنتظر الشيعة ظهور المهدي ليهدم الكعبة، ويقتل أهل السنة والفقهاء عامة، والعرب خاصة، ثم يدخل المدينة فيصلب الشيخان رضي الله عنهما، ثم يدخل أورشليم فيهدم المسجد الأقصى، ويعيد بناء هيكل سليمان، ثم يظهر الدين الجديد ويحكم بشريعة سليمان وداود. بينما الأحاديث الصحيحة الواردة في مصادر السنة تصف المهدي بأنه: "يخرج المهدي في أمتي خمسا أو سبعا أو تسعا سنين، ثم قال: يُرْسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الأرض من نباتها شيئا، ويكون المال كدوسا، قال: يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي أعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل".[1]

فأفعال المهدي عند الشيعة هي أفعال المفسدين في الأرض، وأفعاله عند السنة هي أفعال المصلحين، فترى من يكون مهديهم المنتظر؟

وللإجابة على هذا السؤال، نجد في كتب السنة الجواب الشافي: يحذرنا رسول الله ﷺ من فتنة الدجال في عدة أحاديث متواترة روتها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: أبو بكر الصديق وحذيفة وأنس وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وأبو بكرة والمغيرة بن شعبة وسعد ومعاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح ومجمع بن جارية والنواس بن سمعان وجابر بن عبدالله وعمران بن حصين وأبو أمامة وهشام بن عامر وعائشة وأسماء بنت أبي بكر وفاطمة بنت قيس، ويلقي كل حديث من هذه الأحاديث ضوءا على فتنة الدجال: سواء مبدء أمره، وأين يظهر، ومن أعوانه، ووصفه وعلامته، وأفعاله، وتحركه، والاستعاذة من فتنته، حتى هلاكه، ولا يتسع المجال لدراسة هذه الأحاديث، وإنما ما يخص بحثنا الآن هو بيان الجهة التي يظهر منها؟ ومن يعاونه؟.

يروي أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الإيمان يمان، والكفر من قبل المشرق﴾،[2] ويزيدنا إيضاحا حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ﴿إن

---

١ رواه أحمد في مسند أبي سعيد الخدري ٢٢:٣، حديث رقم ١٠٧٧٩، والحثو هنا العطية بملء الكفين

٢ أخرجه الترمذي باب ما جاء أن الدجال لا يدخل المدينة، حديث ٢٣٤٤ التحفة، وقال حديث صحيح.

الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان ﴾.[1]

وتخبرنا الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ أن قوما بالمشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم هم أصحاب الدجال، قال الرسول الله ﷺ : ﴿يخرج قوم من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما قطع قرن نشأ قرن، حتى يخرج في بقيتهم الدجال ﴾ لا ريب أن الشيعة تقرأ القرآن قرنا بعد قرن ولا يجاوز تراقيهم، وكيف يأتيهم الخشوع وهم يعتقدون أنه محرف، ويؤمنون أن المصحف الحق مختفي في السرداب.

ويكشف لنا رسول الله ﷺ أعوان الدجال في حديثه الذي يقول فيه: ﴿يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفا من اليهود، عليهم التيجان، في رواية "معه سبعون ألفا من اليهود﴾ .[2]

إن أفعال مهدي الشيعة المنتظر هي أفعال الدجال، ويخرج من جهة الشرق وبالتحديد من خراسان ويساعده يهود أصبهان. إيران اليوم تضم أجزاء من خراسان وأصبهان، هل المسيخ الدجال يعاونه يهود أصبهان هو مهدي الشيعة الذي سيعمل على قتل العرب وهدم الكعبة وعمارة هيكل سليمان، نسأل الله أن يعافينا من فتنة المحيا والممات، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

---

١ رواه أحمد بن حنبل في مسند أبي بكر الصديق ٤:١ حديث رقم ١٣، ورواه الترمذي في أبواب القدر، باب من أين يخرج الدجال ٢٢٣٨ تحفة الأحوذي وقال حديث حسن غريب، وصححه الألباني، وابن ماجة حديث ٤٠٧٢، والمجان هي الدروع المستديرة

٢ رواه أحمد في مسند أنس بن مالك حديث ١٩٧:٢٤ الفتح الرباني

الفصل السادس

مقارنات
ومناظرات

١- مقارنة هامة

٢- مناظرة بين سني وشيعي

٣- مناظرة مشهورة

الفصل السادس: مقارنات ومناظرات

أولا: مقارنة هامة

يجرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مقارنة هامة بين معتقدات اليهود والنصارى من ناحية، وبين الشيعة من الناحية الأخرى نوجزها فيما يلي:

١- قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود عليه السلام.

وقالت الشيعة: لا يصلح الإمامة إلا في ولد علي عليه السلام.

٢- واليهود حرفوا التوراة، والنصارى حرفوا الإنجيل، والشيعة حرفوا القرآن.

٣- اليهود يُنْقِصُون من قدر جبريل عليه السلام، بل ويقولون هو عدونا من الملائكة، والشيعة تزعم أنه غلط وأبلغ الرسالة لمحمد بينما المقصود علي.

٤- قالت النصارى لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الدجال، وينزل الابن من السماء، وقالت الشيعة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء اتبعوه.

٥- النصارى يزعمون أن الحواريين الذين اتبعوا المسيح أفضل من إبراهيم وموسى وغيرهما من الأنبياء والمرسلين، فهم بزعمهم تلقوا مشافهة من المسيح الذي هو الله، بينما الأنبياء لم ينلقوا من الله مشافهة.

والشيعة تجعل الأئمة الإثنى عشر أفضل من الأنبياء، لأنهم يعتقدون فيهم الألوهية.

٦- يقول اليهود والنصارى أن الدين مُسَلَّمٌ للأحبار والرهبان، فالحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه، والدين ما شرعوه.

ودين الشيعة مُسَلَّمٌ للأئمة، فالحلال ما أحلوه، والحرام ما حرموه، والدين ما شرعوه

ونستطيع من دراستنا هذه أن نضيف إلى ملاحظات شيخ الإسلام ما يلي:

١- تنادي النصارى بِقِدَم نور عيسى، وأنه نور انبثق من نور، والشيعة تقول بِقِدَم نور النبي وعلي والأئمة، وأنهم نور من نور.

٢- تقول النصارى إن يوم الدينونة سيكون أمام المسيح، فمن آمن به دخل الجنة، ومن كفر به استحق النار، والشيعة تقول إن عليا سيحاسب الناس، ولن يدخل الجنة إلا شيعته، ومن لم يؤمن بالإمامة دخل النار.

٣- تقول النصارى أن روح القدس حل بالحواريين فأصبحوا رسلا تلقوا الوحي بعد رفع المسيح، وكتبوا بتأييده الإنجيل، والشيعة تقول إن عليا كتب من الوحي المنزل على فاطمة مصحفا.

ونختتم هذه المقارنة بقول ابن تيمية: "فُضِّلت اليهود والنصارى على الشيعة بخصلتين:
الأولى: سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى
* وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى
* وسئلت الشيعة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد.
الثانية: أن اليهود والنصارى يترحمون على سلفهم، والشيعة أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم."[1]

---

[1] منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٢:١ بتصرف

ثانيا: مناظرة بين سني وشيعي

"يقول الشيعي: إن لله في عباده أسرارا وأحكاما والعقل لا يستقيم بدركها، فلا يعرف ذلك إلا من قبل إمام معصوم، يسأل السني: أمات الإمام المبلغ عن الله بعد التبليغ أم هو مخلد؟.

يجيب الشيعي: مات وليس هذا حقيقة مذهبه ولكنه أخذ بالتقية

يقول السني: هل خلفه أحد؟

يقول الشيعي: خلفه وصية علي بن أبي طالب.

السني يسأل: هل قضى بالحق وأنفذه؟

الشيعي يجيب: لم يتمكن لغلبة المعاندين له.

يقول السني: فهل أنفذه حين قدر؟

قال الشيعي: منعته التقيه و لم تفارقه إلى الموت، إلا أن قدرته كانت تقوى تارة وتضعف أخرى، فلم يكن إلا المدارة لئلا تنفتح عليه أبواب الاختلال.

يقول السني: وهذه المدارة حق أم لا.

قال الشيعي: باطل أباحته الضرورة.

السني يقول: فأين العصمة؟

قال الشيعي: إنما نعنى العصمة مع القدرة

نقول له: هل وجد الأئمة الواحد تلو الآخر القدرة أم لا؟

يقرر الشيعى: لا

يقول السني: فالدين مهمل، والحق مجهول مخمل.

يتدارك الشيعي قائلا: سيظهر، ويتسائل السني: بمن؟

يقول الشيعي: بالإمام المنتظر.

ويحسم السني المناظرة بقوله: لعله الدجال! وكيف يوصي من لا قدرة له، وأين عصمة الإمام حين يوصي من بعده من لا قدرة له، وبالتالي يضيع. وكيف يعين الله ﷻ إماما عاجزا عن أن يقول ما يعلم فكأنه ما علمه وما بعثه وهذا عجز وفجور".[1]

---

[1] الإعتصام للشاطبي ١٥٢

ثالثا: مناظرة مشهورة

التقى الشيخ أبا الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي - وهو من علماء السنة - ورئيس الشيعة الإمامية الذي اشتكى إليه فساد الخلق، وأن هذا الأمر لا يصلح إلا بخروج الإمام المنتظر.

فقال أبو الفتح: هل لخروجه ميقات أم لا؟
قال الشيعي: نعم.
قال أبو الفتح: معلوم هو أم مجهول؟
قال الشيعي: معلوم.
قال أبو الفتح: ومتى يكون؟
قال الشيعي: إذا فسد الخلق.
قال أبو الفتح: فهل تحبسونه عن الخروج إلى الخلق وقد فسدوا جميعهم إلا أنتم فلو فسدتم لخرج، فأسرعوا به وأطلقوه من سجنه وعجلوا بالرجوع إلى مذهبنا.
فبهت الشيعي.

ملخص الباب الخامس

١- بنت الشيعة عقيدتها على مبدأ الغلو في شأن الأئمة من آل البيت، حتى قالوا بقدم نورهم، وبالتالي اتصافهم بما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه.

٢- أن الأئمة أوصياء على الدين، وهم أفضل من جميع الأنبياء، وأن مناقبهم تشمل جميع ما للأنبياء من مآثر ومناقب.

٣- أن طبيعة الأئمة ليست كسائر البشر، بل هم مخلوقون من طينة مخزونة من تحت العرش، وأنهم نور من نور الله، وأن لهم وجود باطني قبل أن يولدوا في الدنيا.

٤- أن عليا بن أبي طالب أفضل من النبي، بل إن النبي ﷺ سيحارب بنفسه تحت راية علي قبل أن تقوم الساعة، والغريب أن يقرروا أن هذه الحرب لن تكون ضد الكفار أو اليهود بل هي حرب على أهل السنة، وتقتيل وفناء للعرب.

٥- أن الأئمة يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

٦- الإيمان بوجود إمام غائب دخل السرداب منذ عام ٢٥٦ هـ وسيظهر آخر الزمان. وأن الخضر يحيا ليسلي الإمام في وحدته، وأن للمهدي سفراء كانوا يدخلون إليه في السرداب ويحصلون على رسائل منه إلى شيعته.

٧- أن عليا يحاسب الناس يوم القيامة، وهذا مطابق تماما لمقولة النصارى عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

٨- أن الصحابة تآمروا على علي بن أبي طالب وغصبوه حقه في إمارة المؤمنين، وبالتالي فقد أسقطوا من القرآن الكريم جميع الآيات التي تشهد لعلي، وتتحدث عن مناقبه، وأهليته لإمامة الناس. وبذلك فقد ارتد جميع الصحابة ما عدا ثلاثة أو أربعة فقط. وبالتالي استحلت الشيعة لعن أصحاب رسول الله ﷺ وتسميتهم بأسماء رمزية حتى يلعنوهم في أي وقت ولا يعلم أهل السنة مرادهم من هذه الرموز.

٩- أخطر نتائج هذه الأكاذيب أن القرآن المتداول الآن بين يدي المسلمين قد ناله التحريف، ومن العجيب أن يقولوا أن هذا التحريف قد حذف من المصحف حوالي ٧٠ ٪ من آياته.

١٠- تنتظر الشيعة خروج المهدي المنتظر الغائب في السرداب الذي سيأتيهم بمصحف

جديد، ونبوة جديدة، ووحي جديد، وأمر خفي.

١١- إذا خرج المهدي في آخر الزمان فإنه يخرج أبو بكر وعمر من جوار رسول الله ﷺ ويصلبهما في البقيع، ثم يقيم الحد على عائشة رضي الله عنها، ثم يهدم الكعبة، ويقتل العرب ويُعمل في رقاب أهل السنة السيف دون أي شفقة أو رحمة. وأن الإنجاز الوحيد الذي سيفعله مهدي الشيعة حين يظهر هو بناء هيكل سليمان في القدس!

١٢- لا يعلم الشيعة وأعوانهم أن رسول الله ﷺ قد أنبأنا عن المهدي الذي تنتظره الشيعة وعرفنا يقينا أنه هو بعينة المسيخ الدجال.

الباب السادس

عقائد غلاة الباطنية

١- الباطنية والإمامة

٢- نظرية الدور والتناسخ

٣- الباطنية والإلهيات

٤- الباطنية والنبوة

٥- التوفيق بين الأديان

٦- إعادة بعث الباطنية في مصر

الفصل الأول

الباطنية
والإمامة

١- الإمامة أعلى دعائم الدين
٢- الغلو في الأئمة

* أئمة الإسماعيلية
* أئمة الدروز
* أئمة العلويين

الفصل الأول: الباطنية والإمامة

أولا: الإمامة أعلى دعائم الدين

يعتقد غلاة الباطنية من الإسماعيلية والدروز والعلوية أو النصيرية كما يعتقد أسلافهم من الشيعة أن إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي أصل الدين وجوهره، ويأولون قول الله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾[1] بأن الكلمة هي الإمامة، لذلك تنتقل الإمامة في عقيدتهم من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من الأخ إلى أخيه، إلا مرة واحدة لا تتكرر وذلك حين انتقلت من الحسن إلى الحسين رضي الله عنهما.

"ويتفق غلاة الباطنية في القول بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والنص على الإمام يكون من الإمام الذي سبقه بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب، وذلك بأن ينص الإمام على إمامة أحد أبنائه، ولكن الإسماعيلية لم يلتزموا هذا النص منذ عهد الفاطميين حين نص المعز لدين الله على إمامة ابنه عبدالله من بعده، فمات عبدالله في حياة أبيه، فلم ينص على إمامة ابن عبدالله من بعده، وإنما نص على إمامة ابنه الثاني العزيز"،[2] وكلما خالف الإمام هذا المبدأ في تعيين من يخلفه، كلما انقسمت الشيعة إلى فرق، وتسمت كل فرقة منها باسم الإمام الذي يوافق هواهم، وقد حدث أن مات المستنصر فقام الوزير الجبالي بتعيين ابن شقيقته المستعلي وأبعد نزارا صاحب النص وهو الابن الأكبر للمستنصر، مما تسبب في انقسامهم إلى مستعلية ونزارية.

وتدور عقيدة الباطنية حول مبدأ الإمامة، لذلك تراهم يؤمنون "أن للإسلام سبع دعائم بغيرها لا يكون المرء مسلما مؤمنا، أولها الولاية، ثم الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد"،[3] ونلاحظ أن الإمامة عندهم حلت محل شهادة التوحيد، وهي بالتالي مُقَدَّمَة على ما سواها من الدعائم، ليس هذا فقط بل إنهم يعتبرونها الدين كله، ومن ثم يقولون "وإذا بطلت من الدين ولاية الوصي والأئمة بطلت الطهارة والصلاة والصوم والزكاة

---

١ سورة الزخرف آية ٢٨

٢ إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ٢٥٢

٣ دعائم الإسلام للقاضي النعمان ١:٨، نقلا عن الحركات الباطنية في العلم الإسلامي للخطيب ١٠٠

والحج والجهاد".[1]

ويقرر أحد دعاة الباطنية المعاصرين هذه الأفكار بقوله: "فالولاية أفضل هذه الدعائم، فإن أطاع المؤمن الله تعالى، وأقر برسالة الرسول الكريم، وقام بفروض الدين كلها، ثم عصى الأمام أو كذب عليه، فهو آثم في معصيته، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول"،[2] ويعللون هذا المنطق المنحرف بقولهم: "إن من أشرك في إمامه سلطة أخرى، أو ارتاب في وجوب الطاعة له كان كمن أضاف للنبي نبيا آخر، أو كمن شك في الإمامة وأنكرها، صار نجسا، ليس بطاهر، وأصبح ما يقتنيه هذا الرجل مما لا يصح استعماله".[3]

ثانيا: الغلو في الأئمة

١- أئمة الإسماعيلية

ذكرنا في الباب الخامس غلو الشيعة في أئمتهم، وكيف جعلوا علمهم مطابق لعلم الله، وأنهم يعلمون ما كان وما سيكون، وما إلى ذلك، ولكننا هنا نركز على الغلو في ذات الأئمة، واختلاف تكوينهم عن باقي البشر، حيث تعتقد الباطنية أن ذوات الأئمة نور من نور الله، كما يعتقد أسلافهم من الشيعة، ويطرحون تأويلاتهم الباطنية حول مقام الأئمة بأن: "الإمام هو وجه الله، ويد الله وجنب الله، وأنه (أي الإمام) هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، فيقسم بين الجنة والنار، وأنه هو الصراط المستقيم، والذكر الحكيم، والقرآن الكريم، والواحد والأحد والفرد والصمد، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والرحمن، وكل هذه الصفات يوردونها في خطبة الكوفة التي ينسبونها افتراء إلى علي بن أبي طالب، وهو منها براء، والخطبة تتكون من مجموعة من الجمل تبدأ بأنا وفي كل جملة مثل وجه الله، ممد الخلائق، الظاهر والباطن، الفرقان، شديد القوى، .... وهكذا، ويزعم هؤلاء أن الإمام من نور الله، وجسمه أشرف الأجسام، وفي نفس الوقت جسمه يمثل العقل بالنسبة لأجسام البشر.

ومن يرجع إلى عقيدة النصارى حول المسيح نجد تطابقا تاما مع ما تؤمن به الباطنية،

---

١ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة تحقيق محمد كامل حسين ٧٠، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور الخطيب ١٠٠

٢ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٩٨

٣ العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر، نقلا عن مخطوط في جامعة ليدن ٢٤٥، ينقله لنا الدكتور الخطيب في كتابه الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ١٠١

فالسيد المسيح عندهم هو: الحق والحقيقة والقاضي والعدل والحي القيوم ورب العالمين وملك يوم الدين، وإليه الحساب يوم القيامة، وتقول الدراسات الإنجيلية: "هذه صورة المسيح المجاهد، ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا بفرس أبيض، والراكب عليه اسمه الأمين والصادق وهو يقضي ويحارب بالعدل"، فهو رب العالمين وملك يوم الدين: ها أنا ذا آت عن قريب، وجزائي معي، لأجازي كل واحد على حسب أعماله"، "وبامتلاكه السفر المفتوح ليشرف إلى يوم الدين على تنفيذ قضاء الله وقدره على رومة الفاجرة، ثم على يأجوج وماجوج، أهل الكفر وأهل الشر في الدنيا، وأخيرا يقضي على التنين، وساعديه وحش البحر، والنبي الكذاب، فالسيد المسيح هو القاضي والعدل مثل الله، وباسم الله يقوم مقامه في خلقه".[1]

إن اعتقاد الباطنية بحتمية وجود الإمام وأنه هو الذي يمسك الكون أن يزول، وأن الأرض لا تخلوا أبدا من إمام، وهذا الإمام إما ظاهر معروف، وإما مستور وبالتالي تكون شيعته في مرحلة الستر، وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن يكون دعاته وحجته معروفين ظاهرين، قد فرض عليهم أن يتمادوا في ضلالهم، فكيف يستقيم الكون قبل ميلاد أئمتهم؟، فالمخرج إذن أن يقولوا بتناسخ الأرواح، مع إضافة أخرى أطلقوا عليها نظرية الدور، حتى يثبتوا أن الأئمة لم يتركوا الكون طرفة عين، وسنفرد فصلا لعرض أفكارهم.

---

١ سفر الرؤيا ١١:١٩ ، ١٢:٢٢ نقلا عن صوفية المسيحية سفر الرؤيا ليوسف درة حداد ١٨٢

٢- أئمة الدروز

يقول الدروز وهي إحدى شعب الباطنية الإسماعيلية، أنه يجب على الدرزي أن يعتقد أن الإله المعبود أظهر ناسوته عشر مرات، وأن يعرف معبوده في هذه المقامات العشرة الربانية، وكلهم إله واحد لا إله إلا هو، وآخر هذه المقامات هو الحاكم بأمر الله، الذي ينتظرون رجعته، وقد استطاع أحد الملتصقين بالحاكم بأمر الله ويدعى حمزة بن علي أن يؤسس العقيدة الدرزية التي انشق بها عن الإسماعيلية، وقد زعم حمزة هذا أنه رسول من قبل الحاكم بأمر الله، وأنه تلقى عنه كتابا أسماه مصحف المنفرد بذاته، ويتكون مصحفه هذا من مجموعة من الأعراف (تقابل سور في القرآن الكريم)، تدور كلها حول زعم ألوهية الحاكم. ولا يعتنق أحد ضلال الدرزية حتى يكتب على نفسه ما ورد في المصحف المنفرد في عرف العهد والميثاق، ويوقع عليه أمام شاهد وكاتب ونصه ما يلي: "توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، من لا تأخذه سنة ولا نوم، ذي التجلي والإشراق، ومن هو في السماء إله، وفي الأرض إله، وقد أقر (فلان بن فلان يكتب اسمه) إقرارا أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه في جميع الأدوار، في صحة من عقله وجسمه وخالص أمره، طائعا غير مكره ولا مجبر، بظاهره وبباطنه، ومؤمنا غير منافق ولا مخاتن، بتباينها واختلافها، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده، وجميع ما ملكته يداه في جميع أدواره، ما كرّ الجديدان ومر الملوان، وما كوّر الليل على النهار، وكوّر النهار على الليل، هو وذريته في شتى أدوارهم ومحياهم لمولانا الحاكم - جل ذكره - ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض أو منكر شيئا من أفعاله ساءه ذلك أم سره، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم وهو ما كتبه على نفسه، وأشهدنا به على روحه، أو أشار بالرجوع عنه إلى غيره، أو خالف شيئا من أوامره، كان (فلان بن فلان) محروما من جميع الحدود، وكان مولانا الحاكم بريئا منه، والمؤمنون الموحدون في جميع أدوارهم، واستحق العقوبة من الباري العلي جل ذكره بأيدي المؤمنين، وأن (فلان بن فلان) هو قد أقر أن ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم، جل ذكره وتعالت مطالعه ومشارقه، وبذلك دخل (فلان بن فلان) وأصبح من الموحدين المؤمنين الفائزين السابقين، كتب في شهر.. من سنة.. من سني عبد مولانا جل ذكره، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين المنتقم من المشركين المرتدين، بسيف

مولانا جل ذكره، وبشدة سلطانه وحده".[1]

وقد أضاف زعيم الدروز في القرن الحالي - كمال جنبلاط - إلى الميثاق نصا آخر وكتبه في مصحف المنفرد بذاته قال فيه: "آمنت بالله، ربي الحاكم، العلي الأعلى، رب المشرقين ورب المغربين، وإله الأصلين والفرعين، منشئ الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهو رب الرجعى، وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن..."،[2]

وهذا ابن هانئ الأندلسي يمدح المعز لدين الله الفاطمي بقوله:

ندعوه منتقما عزيزا قادرا غفار موبقه الذنوب صفوحا

أقسمت لولا أن دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحا

شهدت بمفخرك السموات العلا وتنزل القرآن فيك مسيحا[3]

ويقول في قصيدة أخرى

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار[4]

وهذا شاعر آخر يمدح عبيدالله المهدي بقوله

حل برقاده المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها أحمد المصطفى حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح

والآن نستطيع أن نفهم أسرارهم وإشاراتهم ومرادهم منها، ولما يصف أحد الشعراء معبودهم الخليفة الفاطمي بأنه خليل الله وكليمه والمسيح الذي يحيى الموتى، نعرف أن الشاعر لا يمدح ويبالغ مبالغات تقتضيها طبيعة المهنة وإنما يقصد أن الإمام الفاطمي كان خليل الله في الدور الثاني، ثم انتقل إلى موسى في الدور الثالث وهكذا، ولا نجد غرابة في تتبع ما يرمي إليه الشاعر حيث يقول:

---

١ مصحف المنفرد بذاته ١١٢ - ١١٤، نقلا عن إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ٢٢٩

٢ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور الخطيب ٢٢٩

٣ شعر محمد البديل، أورده د. مصطفى الشكعة في إسلام بلا مذاهب ٢١٤

٤ قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي د. عبدالحليم عويس

سلام على العترة الطاهرة

وأهلا بأنوارها الزاهرة

سلام بديا على آدم

أبى الخلق باديه والحاضره

سلام على من بطوفانه

أديرت على من بغى الدائرة

سلام على من أتاه السلام

غداة أحفت به النائرة

سلام على قاهر بالعصا

عصاه فراعنة حائره

سلام على الروح عيسى

الذي بمبعثه شرفت ناصره

سلام على المصطفى أحمد

علي الشفاعة في الآخره

سلام على المرتضى حيدر

وأبنائه الأنجم الزاهرة

سلام عليك بمحصولهم

لديك أيا صاحب القاهره[1]

ويختلف الدروز عن غيرهم من ملل الباطنية بغلوهم الشديد في سلمان الفارسي، ولا ندري ما علة ذلك إلا كونه فارسي الأصل.

---

[1] الإسماعيلية كامل حسين ١٦٩ - ١٧٠ نقلا عن إسلام بلا مذاهب د. مصطفى الشكمة ٢١٣، ومن العجيب أن نجد هذه المعاني منسوبة إلى بعض رجال الصوفية، ومدونة في كتبهم كالمآثر القادرية، وكتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار.. أنظر الباب التالي.

٣- أئمة العلويين

يؤلف العلويون ثالوثا جديدا على غرار الأقانيم الثلاثة عند النصارى، ويضم هذا الثالوث:

١- المعنى: الغيب المطلق أي الله الذي هو علي بن أبي طالب، ويرمز إليه بحرف ع.

٢- الاسم وهو صورة المعنى الظاهر أي محمد ويرمز إليه بحرف م.

٣- الباب وهو طريق الوصول للمعنى أي سلمان الفارسي ويرمز إليه بحرف س.

ويتخذون من ذلك شعارا من حروف ثلاثة (ع م س) أو ما يسمى "سر عقد ع م س" وللعقيدة عندهم مفهوم شبه نصراني يتمثل في التثليث، ويدل على ذلك احتفالهم الكامل بالأعياد المسيحية مثل عيد الميلاد ورأس السنة وعيد الغطاس والشعانين ومريم المجدلية وغيرها، وأيضا يحتفلون بالأعياد الفارسية مثل عيد المهرجان والنيروز، مع أعياد ابتدعوها في الإسلام مثل عيد الغدير الأول والثاني (أي غدير خم)، وعيد الفراش التي بات فيها علي في فراش النبي قبل الهجرة.

يورد الدكتور عبدالرحمن بدوي تعاليم العلويين على شكل أسئلة وأجوبة تتألف من مئة سؤال وسؤال، نذكر منها قدرا يسيرا يوضح عقيدتهم من خلال إجاباتهم:

س١: من الذي خلقنا؟

ج١: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

س٢: من أين نعلم أن عليا إله؟

ج٢ مما قاله عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال:

أنا سر الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السموات، أنا سائق الدعوات، انا شاهد العهد، أنا زاجر القواصف، أنا محرك العواصف، أنا مزن السحائب، أنا حجة الحجج، أنا جوهر القدم، أنا الأول والآخر، وأنا الظاهر والباطن.[١]

س٣: من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

ج٣: محمد، كما قال في خطبة ختمها بقوله إنه (أي علي) ربي وربكم.

س٤: إذا كان علي الرب، فكيف تجانس مع المتجانسين؟ (أي اتخذ صورة بشرية)

---

١ هذه الخطبة يعتقد صحتها ويقر بما فيها شيخ الطريقة البرهانية – المنتشرة في السودان ومصر – المدعو محمد عثمان عبده البرهاني، وكتبها في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة ٢٩٤ – ٢٩٩

ج٤: إنه لم يتجانس بل احتجب في محمد في دور تحوله، واتخذ اسم علي.

س٥: كم مرة تحول ربنا ليتجلى في صورة إنسانية؟

ج٥: سبع مرات، فقد احتجب في شخص آدم باسم هابيل، وفي شخص نوح باسم شيث، وفي شخص يعقوب باسم يوسف، وفي شخص موسى باسم يوشع، وفي شخص سليمان باسم آصف، وفي شخص عيسى باسم باطره، وفي شخص محمد باسم علي

ونكتفي بهذا القدر من أفكار الدروز والعلويين حول الأئمة، ونستكمل باقي عقائدهم في الإلهيات، ثم النبوة.

الفصل الثاني

نظرية
الدور والتناسخ

١- نظرية الدور

٢- إيمان الباطنية بالتناسخ

الفصل الثاني: نظرية الدور والتناسخ

أولا: نظرية الدور

تقوم نظرية الدور على تقسيم الأنبياء إلى مجموعات، كل منها تمثل شريعة، وتضم المجموعة الواحدة سبع أنبياء، أول هؤلاء السبعة يسمى الناطق، وهو من جاء بالشريعة، فإذا مات أعقبه ست أنبياء يسمى كل منهم الصامت حيث يدعون الناس إلى شريعة النبي المسمى بالناطق، وتنصرم شريعة هذه المجموعة، ببعث نبي ينسخ الشريعة الأولى، ويسمى هذا النبي بالناطق لأنه جاء بشريعة نسخت ما قبلها، ثم يعقبه ست أنبياء يسمى كل منهم بالصامت، وهكذا.. ولفهم أفكار الباطنية نوضح المراد بمصطلحاتهم:

١- الدور: مدة شريعة كل نبي سبعة قرون، وتبدأ الدورة الجديدة مع نهاية الدورة السابقة.

٢- الناطق: هو الإمام (المقصود هنا النبي) الذي يبعثه الله لينسخ شريعة الأنبياء من قبله.

٣- الباب: هو الإمام الأول المبعوث بعد الناطق، ويسمى أيضا سوس، وهو الباب إلى علم الناطق في حياته، والوصي بعد وفاته، والإمام لأهل زمانه.

٤- الصامت: هم خمسة أئمة يبعثون بعد الباب وهم على شريعة الناطق السابق لهم، وهم قائمون على ما أسسه غيرهم (الناطق).

٥- مرتبة الاستيداع: هي مرتبة يمثلها الإمام المستودع، ويُقصد بها النبي منذ آدم وحتى محمد ﷺ ويسمونها أيضا حد النبي، وكما هو واضح من لفظ المستودع أن الرسالة عنده وديعة يبلغها لغيره.

٦- مرتبة الاستقرار: يمثلها إمام مستقر، أو الوصي، وهي حد الإمام أو الوصي.

ويمكن تقسيم الدور إلى نوعين:

"الدور الصغير: وهو الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق، ويضم كل دورة سبعة أئمة.

الدور الكبير: وهو الدور الذي يحتوي جميع الأدوار الصغيرة، لذا فالدور الكبير يبدأ من عهد الخليقة إلى قيام القائم المنتظر (المهدي)، الذي يسمى دوره السابع، فيكون بنفس الوقت متما لعدد النطقاء الستة".[١]

ويطبقون هذه النظرية بقولهم: "إن السبعة قرون التي تبدأ بنبي ثم السوس أو الباب، ثم

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠١

صامت، ثم صامت، ثم صامت، ثم صامت، ثم صامت يسمى دورا، وهذا الدور يتكرر بنفس الأسلوب منذ آدم الذي كان سوسه شيث، ولما تم دور آدم سبعة، ابتعث الله نوحا ينسخ شريعة آدم، وكان سوسه سام، فلما تم دوره ابتعث الله إبراهيم، ينسخ شريعته، وكان سوسه إسحاق، ثم موسى وسوسه هارون، فلما مات هارون في حياة موسى صار سوسه يوشع بن نون، ثم عيسى وسوسه شمعون، ثم ابتعث الله محمدا ﷺ وسوسه علي، وقد استتم (أي اكتمل) دوره بجعفر الصادق صارت شريعته ناسخة وهكذا يدور الأمر أبد الدهر".[1]

ويتأول الإسماعيلية قوله تعالى: ﴿ كلا إنها تذكرة، فمن شاء ذكره، في صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة، كرام بررة ﴾. فالأئمة هم السفرة الحاملين الصحف المطهرة، يسلمها الأول منهم إلى الثاني، ويأخذها الثاني منهم ممن سلف من الماضي، فيُظهر كل إمام منهم في زمانه، ما يرى أن المصلحة فيه، ويقيم للإبلاغ عنه من يتخيره لذلك ويرتضيه، وقال تعالى: ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾. فالقرآن العظيم حسب التأويل الإسماعيلي هو الكتاب المنزل، وقرينه في التأويل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأنه في زمانه قرين القرآن، والقرآن قرينه".[2]

لذلك يزعم الباطنية أن محمدا رسول الله ﷺ هو الإمام المستودع، ودوره فقط أن يتلقى ظاهر التنزيل كوديعة عنده، يعطيه عليا بن أبي طالب الذي يمثل مرتبة الاستقرار في الإمامة، وأن هذا التسليم تحقق يوم غدير خم، ثم انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، وترك إمامين: إمام صامت هو القرآن، وإمام ناطق هو علي بن أبي طالب، الذي قرأ يوما في المصحف حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ [3] فصاح علي ثلاث مرات قائلا: "يا كتاب الله انطق"، معلنا بذلك (أي علي): أنه هو الإمام الناطق، وأن القرآن هو الإمام الصامت".[4]

بهذه النصوص جعلوا كتاب الله صامتا، وإمامهم ناطقا، وله الحق في إظهار ما يراه مناسبا لقومه، كما أن الدور الذي انتهى بجعفر الصادق، قد نسخ شريعة الإسلام، الذي جاء به سيد

---

١ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ٣٧ - ٣٨

٢ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠٣

٣ سورة الجاثية آية ٤٥

٤ مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ليحي بن حمزة العلوي ٣٧

الأنام صلوات الله وسلامه عليه "ومحمد بن إسماعيل هو الناسخ والفاتح لعهد جديد، وصاحب شريعة عطلت بقيامها ظاهر شريعة محمد ﷺ.[1]

ولما كان محمد بن إسماعيل فاتحا لدورة جديدة، فلا بد حسب نظريتهم أن يروجوا لنبوة محمد بن إسماعيل، وهذا ما يقرره الحامدي حيث يقول: "ومحمد بن إسماعيل متمم شريعته وموفيها حقوقها وحدودها وهو السابع من الرسل".[2]

وبهذا ينسلخ الدروز بالكلية من الإسلام، فهم الآن على شريعة نبي جديد هو محمد بن إسماعيل، الذي نسخت شريعته ما جاء به محمد ﷺ ولذلك يخطئ كثير من المصنفين في الفرق الإسلامية حين يحسبوا الدروز فرقة من فرق المسلمين، نعم هم فرقة انشقت عن الإسلام من حيث النشأة التاريخية، إلا أنهم الآن يدينون بدين جديد!

---

١ مذاهب الإسلاميين د. عبدالرحمن بدوي ٢:٢٩٣

٢ كنز الولد للحامدي نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٩٧

ثانيا: إيمان الباطنية بالتناسخ

يشرح أحد دعاة الباطنية عقيدة قومه فيقول: "يُستدل من النصوص الواردة في الكتب الدرزية المقدسة بأن الدروز يعتقدون بالنسخ والتقمص، أي بانتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر، باعتبار أن النفس لديهم لا تموت، بل يموت قميصها الجسم ويصيبه البلى، فتنتقل إلى قميص آخر، ولا تنتقل إلى حيوان، لأن في انتقالها إلى جسم حيواني ظلم لها، لأن العقاب مرجأ إلى يوم الدين، وهي تمر في مختلف أدوار الحياة، والذي نلاحظه في أقوال حمزة هادي المستجيبين أن العذاب الواقع على الإنسان ينقله من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات الدين ، وقلة معيشته وعمى قلبه في دينه ودنياه، ويستمر تنقله من جسد إلى جسد تقل منزلته الدينية، أما الجزاء في الثواب ما دام يتكرر في الأجساد فهو زيادة درجته في العلوم الدينية، وارتفاعه من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ درجة حد "المكاسر" فيزيد في ماله، وينبسط في الدين من درجة إلى درجة إلى أرقى حد من حدود الدين، ويستطرد قائلا وقد تكون النفس صالحة في دور بينما تكون خاطئة في دور آخر، وحسابها على ما فعلت من خير أو شر يبقى معلقا إلى أن يُنصب الميزان، فإذا رجحت حسناتها كان لها الثواب، وإذا رجحت سيئاتها كان لها العقاب."[1]

ومن أغرب عناصر نظرية الدور القول أن الأحداث التي تقع في أي دورة هي تكرار لما سبق حدوثه في الدورات السابقة، فما حدث في عصر نوح عليه السلام، تكرر نفسه في عهد موسى الكليم، ويتكرر أيضا حاليا، وهو قول بتناسخ الأفعال، ثم زعموا أن للشخص الواحد حضور في كل دورة، يفنى جسده، إلا أن روحه تظهر مرة ثانية في الدور التالي.

وانحدروا نحو الهاوية حين أنكروا يوم القيامة، وأولوه على أنه يوم خروج المهدي، وهو السابع الناسخ للشرع، المغير للأمر، ومعنى القيامة انقضاء الدور الذي نحن فيه، أما المعاد فأنكروا ما جاءت به الرسالات، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنة ولا النار، ولكن قالوا أن معنى المعاد: عود كل شيء إلى أصله، ولذلك سُمي رجوعا، حيث أولوا قوله تعالى: "ارجعي إلى ربك راضية مرضية"، لمن آمن بأفكارهم، أما من خالفهم فإنهم يزعمون أن أرواحهم تبقى في العالم الجسماني، تتناسخها الأبدان، فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام، فلا تفارق جسدا، إلا ويتلقاها آخر، ويستدلون على هذه الأفكار الهندية القديمة،

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٦٣

بتأويلهم الباطني والرمزي لقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾.[1] فالنار تكون باستمرار التناسخ، والجنة في رجعة عوالم الإنسان إلى أصلها، فتتخلص بموتها من نار التناسخ"[2]

كما يؤمن الباطنية بقدرة الأئمة والمخلصون من أتباعهم على التشكل في أي صورة يريدونها، وقد ورد في كتبهم أمثلة كثيرة يسوقون بها فكرة تطور شكل أئمتهم ومن والاهم بحيث يراهم أتباعهم في هيئة معينة، ثم ينقلب شكله في أقل من لمح البصر إلى هيئة أخرى،[3] وهم يعتمدون على مجموعة من الحكايات يتناقلونها فيما بينهم، ويتسامرون بترديدها بين الحين والآخر، ومن تكرارها صدقوها وأثبتوا بها عقيدة التناسخ، ويقرر ذلك مصطفى غالب بقوله: "وإليك قصة أخرى قُصد من ورائها إثبات نظرية التقمص وتناسخ الأرواح في صور، فالروح الشقية برأيهم تدخل في صورة خنزير أو كلب أو ذئب، بينما الروح المؤمنة الطاهرة تنتقل إلى الأجساد البشرية والحدود النورانية غير المرئية...".[4]

وقد انتقلت هذه الخرافات إلى كتب الصوفية واتخذت مساحة كبيرة في طبقات الشعراني ولطائف المنن وغيرها، وربما تتاح لنا الفرصة لضرب أمثلة عن ذلك في باب التصوف. ومن هنا يتبين اتفاق الفرق الباطنية على أصول الضلال والغلو في مذاهبهم المختلفة، وإن اختلفت في تحديد الأشخاص الذين يغالون فيهم.

---

١ سورة النساء آية ٥٦

٢ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي

٣ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٧

٤ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٨

الفصل الثالث

الباطنية والإلهيات

١- عقيدة الإسماعيلية

٢- عقيدة الدروز

٣- عقيدة العلويين



الفصل الثالث: الباطنية والإلهيات

أولا: عقيدة الإسماعيلية

يقول الإسماعيليون "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ولكنهم في نفس الوقت ينكرون صفات الله ويعللون ذلك بأن الله فوق متناول العقل، فتراهم يقولون إن العقل قاصر عن إدراك كنه الله، فالأولى نفي الصفات الإلهية عن الله ﷻ. فهم يقولون في الله:

١- "لا نقول هو موجود، ولا نقول غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وعلى ذلك فلا يقولون بالإثبات المطلق ولا النفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق المتخاصمين، والحاكم بين المتضادين، وليس هو بالقديم، كما أنه ليس بالمحدث، فالقديم أمره وكلمته، والحديث خلقه وفطرته".[١]

٢- "أن الله لا يقال عليه حي، ولا قادر، ولا عالم، ولا عاقل، ولا كامل، ولا تام، ولا فاعل، لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل، ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات"،[٢] ويزعمون "أن جميع الأسماء والصفات الإلهية إنما تليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية، ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية"،[٣] ويتأولون قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" بأن المقصود بالأسماء هم الحدود، أي تطلبون الوصول إلى توحيد الله من جهتهم".[٤]

وقد تحول التوحيد عند الإسماعيلية إلى معرفة الحدود، ويرون سلب الإلهية عن الله هو قمة التجريد، وسلب الأسماء والصفات عنه سبحانه هو غاية التنزيه، لأنك إذا أثبت هذه الأسماء لله تكون مشركا، حيث جعلته متصفا بما وصف به سائر الموجودات.

ولا يجد داعي الإسماعيلية أي حرج في أن يقرر "أن الإسماعيلية يجردون الله من كل صفة، وينزهونه التنزيه كله، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية، وهي الأسماء والصفات، ويعتبرون نفي المعرفة هي حقيقة المعرفة، وسلب الصفة هي نهاية الصفة، ودعموا هذه المعتقدات بنظريات فلسفية

---

١ الملل والنحل لابن حزم الظاهري ١٧٢:١

٢ كنز الولد لابراهيم الحامدي ١٤، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ٨٥.

٣ ديوان المؤيد في الدين – داعي الدعاة ٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٥

٤ ديوان المؤيد في الدين ٩٠

وتأويلات باطنية، إما اكتسابا أو استنباطا، فأصبحت الفلسفة بنظرهم وسيلة لتقييم العقيدة، وطريقا إلى تكشف جوهر الخالق والدين".[1]

إذن فالرجل يعترف أن قومه دعموا عقيدتهم بالنظريات الفلسفية والتأويلات الباطنية. ولا ننسى ما سبق ذكره من رسالة عبيدالله المهدي إلى سليمان الجنابي التي يوصيه فيها بأسلوب دعوتهم مؤكدا على أهمية الفلسفة قائلا: "وإذا ظفرت بالفلسفي، فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة معولنا، وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء، وعلى القول بقدم العالم".[2]

ثم يزعم الإسماعيليون أن الإله المجرد عن جميع الأسماء والصفات، أبدع العقل الأول، الذي هو بمثابة الصور الناسوتية التي احتجب بها عن الناس، ويصفون العقل الأول بقولهم: "إذا كان الله عريا عن كل صفة، فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه الذي هو الحق والحقيقة، وهو الوجود الأول، وهو الوحدة، وهو الواحد، وهو الأزل، وهو الأزلي وهو العقل الأول، وهو العالم الأول، وهو القدرة، وهو القادر الأول، وهو الحياة، وهو الحي الأول"،[3] ولا ندري كيف قَبِلَ الباطنيون - وهم دعاة تعظيم العقل والفلسفة - أن يبدع من لا صفة له، إلها آخر متصف بجميع الأسماء والصفات، وفاقد الشيء لا يعطيه!

على كل حال يزعم القوم أن هذا الإله الثاني هو العقل الأول، ويطلقون عليه اسم السابق، وهو الإله ممثلا في مظاهره الخارجية، لذلك يمكن إدراكه وتوجيه العبادة له، فالسابق هو المعبود الحقيقي.

ويفسر الدكتور مصطفى الشكعة تصرف الإسماعيلية في عقيدتهم بهذا الشكل فيقول: "إن ما يقوله المسلمين عن الله سبحانه وتعالى خلعة الإسماعيليون على "العقل الكلي" الذي هو الإله عندهم، وهم لم يذهبوا هذا المذهب في التعريف بالله ولم يركبوا هذا المركب الصعب عبثا، بل عمدوا إلى ذلك لإسباغ صفة خاصة على الإمام، الذي قالوا إنه من البشر، فقالوا إن "العقل الكلي" في العالم العلوي يقابله الإمام في العالم الجسماني، وانتهوا من ذلك إلى أن جميع الأسماء والصفات التي خلعت على العقل الكلي هي أيضا أسماء وصفات خلعت على الإمام، لأن الإمام مَثَلٌ "للعقل الكلي"، فأسماء الله الحسنى جميعا هي أسماء للإمام".[4]

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٩٩

٢ راحة العقل للكرماني ١٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ٨٧

٣ راحة العقل للكرماني ١٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ٨٧

٤ إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ٢٥١

وتزعم الإسماعيلية أن "العقل الأول" هو الإبداع الأول عن الله، ثم أبدع العقل الأول ما يسمى ب "التالي" وهي "النفس الكلية"، ويرمزون "للسابق" بالقلم و "للتالي" باللوح المحفوظ، ثم زعموا أن جميع ما في الكون من موجودات وجدت من تفاعل "السابق" و "التالي".

وبهذا الإفتراء حولت الباطنية شهادة التوحيد، بمعناها البسيط، إلى تثليث لا يختلف كثيرا عن ثالوث النصارى، فالإله واحد له ثلاث أسماء، إله مجرد من أسمائه وصفاته، ثم "السابق" الموصوف بكل صفات الإله، ثم "التالي" الناتج عن إبداع "السابق".

ولو توقف الأمر عند هذا الحد لكانت عقيدة الإسماعيلية صورة طبق الأصل من نظرية أفلاطون الخاصة بالإنسان الأول، ولكنهم أضافوا القول "أن النفس الكلية انبعث عنها سبعة عقول بالتتابع، كل عقل منهم ينتج عنه عقل آخر كما يلد الوالد ولده، ثم حفيده، وهكذا"، ونستطيع أن نفهم ما يرمي إليه الإسماعيلية من وراء اعتناق أفكار أفلاطون أو الإنتصار لفلسفة السفروت العشرة عند فلاسفة اليهود، إذا طبقوا نظريتهم المثل والممثول التي تقول إن الموجودات في العالم الأرضي لها ما يماثلها في الملأ الأعلى، فالنبي أو الناطق عندهم يمثل العقل الكلي أو السابق، والإمام يمثل النفس الكلية أو التالي، والأئمة السبعة يمثلون العقول السبعة.

لذا يرى الإسماعيليون أن أئمتهم السبعة هم: إسماعيل، وجعفر الصادق، ومحمد الباقر، وعلي زين العابدين، والحسين، وهؤلاء هم خمسة أئمة، ثم الحسن وأبيه علي بن أبي طالب، يمثلون بالتتابع العقول العلوية السبعة الصادرة عن النفس الكلية والعقل الأول.

وهذه الأفكار تناقض بعضها البعض، وتوفر علي الناس بيان بطلانها، فتارة يقولون النبي يمثل السابق، وتارة أخرى الوحي هو السابق، وثالثة أن الوحي هو التالي، وأخرى أن الوحي هو العقول السبعة، والقوم يتبعون الظن والظن لا يغني من الحق شيئا، فتراهم في غلوهم في علي بن أبي طالب، يختلفون فمنهم من يراه إله، وآخرون أنه فوق النبي، وغيرهم يزعمون أنه الوحي من بعد النبي، وأنه أول الأئمة السبعة، وفريق يقول النبي والوحي والإمام يقابل السابق والتالي وأول السبعة.

ثانيا: عقيدة الدروز

يعبد الدروز الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي الذي ادعى الألوهية فترة من حياته، ثم زعم حلول الإله فيه، وقد بشر بألوهيته داعية من اتباعه يسمى نشتكين، كما كان لحمزة بن علي دوره البارز في وضع أسس العقيدة الدرزية من خلال رسائله العديدة التي ينص فيها صراحة على ألوهية الحاكم، ومنها:

"السيرة المستقيمة، وكتاب فيه حقائق ما يظهر قوام مولانا جلّ ذكره من الهزل، ورسالة البلاغ والتوحيد ورسالة الغيبة وغيرها.

وتقول الدروز بالتثليث كما تقول النصارى، مع اختلاف المسميات، فهم يؤمنون بثلاثة ألفاظ هي "المعنى - الباب - الاسم".

ويريدون بذلك أن المعنى دخل في الباب، واحتجب بالاسم واتخذه لنفسه، والثلاثة لا ينفصلون، كما في قولنا بسم الله الرحمن الرحيم، فالله هو المعنى، والرحمن هو الاسم، والرحيم هو الباب، وكذلك محمد هو الاسم، وعلي هو المعنى، وسلمان الفارسي هو الباب.

وكما تؤمن الإسماعيلية بحلول الإله في علي، تؤمن الدروز بأن الله حل في معبودهم الحاكم بأمر الله: "ومما لا شك فيه بأن الإمام الحاكم بأمر الله (ع) هو عند الدروز بشر في الأعين المجردة، ويعيش بين الناس كما يعيش غيره من البشر، ولكن الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة إنسية سماها الناس "الحاكم بأمر الله"، مثل ما يتخذ الإنسان ثيابه فيرتديها، ثم ينزعها ويرتدي غيرها، والثياب ليست من جنس من يرتديها، ولا تشبهه في شيء، وكذلك الإله المعبود ليس من جنس الصورة التي اتخذها ولا هي شبيهة به، وهو يظهر في هذه الصورة الناسوتية المتغيرة، ففي كل عصر ظهر فيه اتخذ صورة ناسوتية تختلف عن الأخرى، واعتقادي أن هذه النظرية لا تختلف عن النظرية الإسماعيلية التي تعتبر الإمام من حيث الظاهر من البشر، وأنه خلق من الطين، وتتعرض للأمراض والآفات والموت، مثل غيره من البشر، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه "وجه الله"، "يد الله"، و"جنب الله"، وأنه يحاسب الناس يوم القيامة.

ثالثا: عقيدة العلويين

تعتقد النصيرية أو العلويون بحلول علي رضي الله عنه في أتباعه، ويقولون: "بالإضافة إلى اعتقاد النصيرية بالمسوخية، فإنهم يؤمنون بالحلول أي حلول العلوية الروحانية بالأشخاص البشرية، ولهذا المعتقد ظاهر وباطن، فالظاهر أحرف معدودة تشير إلى أشخاص معلومة، والمعنوية قد استقرت أخيرا في علي الأعلى الذي ارتدى الحلة الزرقاء، وسكن في الشمس، وجميع ما في السماء من الكواكب فهي أنفس الصالحين، وفي كتبهم ورسائلهم السرية المقدسة يلتمسون الخيرات من علي الأعلى بحرمة الكواكب الزاهرة، والأحرف الظاهرة من الله فهي اسم يحتوي على ثلاثة أحرف، ويبتدئون باحرف الاسم من أوله، ويجعلون حرف الميم هو محمد بن عبدالله ﷺ ويسمونه الميم إليه التسليم، وحرف السين وهو الباب والحجاب سلمان الفارسي، والألف هو المقداد بن الأسود ويسمونه رب الناس، ويعتقدون بأن الباري تعالى ظهر بالنورانية ولم يزل ظاهرا، ولهم في ذلك ثلاث نظرات: النور - الدال على نظرة الاسم الأعظم، الضياء - الدال على نظرة الباب الأكرم، الظل - الدال على نظرة اليتيم الأفخم، وهذه النظرات تطبق على الترتيب عندما يكون القمر طفلا وشابا وشيخا"[1].

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٨

الفصل الرابع: الباطنية والنبوة

مفهوم النبوة عند الإسماعيلية يختلف عن مفهومها عند أهل السنة، فهم يقولون: "أن جبريل عليه السلام ليس خلقا من أشرف أنواع الملائكة، وإنما هو العقل الفائض عليه من السابق، وأن النبي له قوة قدسية صافية مهيأة يدرك بها الكليات العقلية عند شروق نور الفيض من السابق بواسطة التالي".[١]

والوحي عندهم هو "ما قبلته نفس الرسول من العقل، وقبله العقل من أمر باريه"،[٢] من علم والنبي عندهم هو "شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية، والقرآن إنما هو "تعبير النبي ﷺ عن المعارف التي فاضت عليه من العقل، ويسمى كلام الله مجازا، وهذه المعارف باطن لا ظهور لها، وكلام النبي وعبارته عنه ظاهر لا بطون له، وزعموا أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها، كما تستكمل النطفة الحالّة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر، فكذلك هذه القوة كمالها في أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت".[٣]

والإسماعيليون ينكرون قصص الأنبياء كما يفهمها المسلمون، ويقولون أن التفسير الظاهري يرمي الأنبياء بارتكاب المعاصي، ويقدمون لأتباعهم تأويلا باطنيا تجعل حياة الأنبياء رموز وإشارات ومعاني أدركوها وحدهم من هذه التأويلات منها:

"أن آدم لم يكن أول الخلق، وأن حواء ليست بزوجة له، وإنما كانت أقرب الدعاة إليه، وأنهما كانا ينعمان في دعوة الإمام الذي كان قبلهما، وهي دعوة إسماعيلية عبر الله عنها بالجنة، فتطلع آدم إلى مرتبة دينية أعلى من مرتبته، فأخرجه الإمام من الدعوة، ولكن آدم عاد إليها بعد أن تاب الإمام عليه".

"ومعنى أن المسيح لا أب له أنه لم يأخذ العلم عن إمام، وأن إحياءه الموتى إشارة إلى علمه الذي يهدي به".[٤]

وإذا أضفنا إلى تأويلاتهم عن حياة الأنبياء إلى قولهم بنظرية الدور نصل إلى حقيقة ما

---

١ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي

٢ تاج العقائد ومعدن الفوائد العلي بن محمد الوليد ٤٧، نقلا عن الحركات الباطنية للخطيب ٩٦

٣ فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي.

٤ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ٩٨ مختصرا

يقصده الإسماعيليون عن النبوة والأنبياء حيث يقولون: "أن الأنبياء والأئمة هم فيض من نور العقل الأول - وهو الإله الفعال المعبود على الحقيقة عندهم - وأن هذا النور يتسلسل في الأنبياء والأئمة في كل الأدوار، ولما كانت طبيعة النور واحدة، وهي من فيض وإبداع الإله، فإن آدم هو نوح في دورته، ونوح إنما هو موسى في دورته، وموسى هو عيسى، وعيسى هو محمد ﷺ وهو محمد بن إسماعيل في دورته، وهو أيضا المهدي القائم المنتظر صاحب الزمان، الوارث لكل الأنبياء ومن سبقه من الأئمة، فهو صاحب صفات الأنبياء والأئمة جميعا".

الفصل الخامس: التوفيق بين الأديان

بعد أن وفق الباطنيون بين الأديان ومزجوا بين أفكارها، حتى أن عقيدتهم أصبحت عقيدة تلفيقية، صبت فيها كل روافد الفلاسفة واليهود والفرس والهنود والنصارى، راحوا ينادون بالتوفيق بين الأديان، ويدعون الناس إلى ذلك، ولا يعنيهم من الناس إلا أهل السنة، الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فنحن بتوفيق الله تعالى ما زلنا على الصراط المستقيم، ولن نحيد عنه بإذن الله حتى نلقاه جل في علاه، وللباطنية في كل وقت أعوان يعيدون طرح قضية التوفيق بين الأديان وغيرها من الأفكار الهدامة، حتى يشغلوا الناس عن دينهم، وربما نجحوا في اكتساب جاهل منحرف، أو مثقف أحمق منبهر بالحضارة الغربية لا يعرف من أمر دينه شيئا، ولا يجرؤ دعاتهم أن يظهروا عقيدتهم الفاسدة إلا في آونة الضعف والهوان الذي يعيشه المسلم في هذه الأيام.

لذا لا غرابة أن تقرأ ما كتبه داعي الباطنية المعاصر د. مصطفى غالب الذي يقول فيه: "ولابد لنا من تقديم الدليل القاطع الذي يدعم قولنا بأن الإسماعيلية حاولوا أن يوفقوا بين كافة الأديان السماوية التي سبقت الإسلام، وهذا الدليل نجده في قول السجستاني عندما حاول أن يوفق بين الصليب وشهادة التوحيد فقال: "إن الشهادة مبنية على النفي والإثبات، فالإبتداء بالنفي، والإنتهاء إلى الإثبات، وكذلك الصليب خشبتان: خشبة ثابتة لذاتها، وخشبة أخرى ليس لها ثبات إلا بثبات الأخرى، والشهادة أربع كلمات، وكذلك الصليب له أربع أطراف، فالطرف الذي هو ثابت في الأرض منزلته منزلة صاحب التأويل الذي تستقر عليه نفوس المرتادين، والطرف الذي يقابله علوا في الجو منزلته منزلة صاحب التأييد الذي تستقر نفوس المؤيدين، والطرفان اللذان في الوسط يمنة ويسرة، دليل على التالي والناطق، اللذين أحدهما صاحب التركيب، والأخر صاحب التأليف، أحدهما مقابل الآخر، والطرف القائم دليل على السابق الممد لجميع الحروف، والشهادة سبعة فصول (كلمات)، وكذلك الصليب أربع زوايا، وثلاث نهايات، وللزوايا الأربع والنهايات الثلاث، دليل على الأئمة السبعة في أدوارهم.."[1] ولحديثه بقية اختصرناه لتفاهته

وبغض النظر عن هذه المحاولة الرخيصة للتوفيق بين شهادة التوحيد وشكل الصليب، فإن عقيدة الباطنية قد مهدت ووضعت الأسس التي جعلت التوفيق بين الأديان خطوة طبيعية،

---

١ الينابيع للسجستاني ١٤٨ - ١٤٩ نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١١٤

ومن هذه الأسس نظرية الدور التي وفقت بين الأنبياء وجعلت نوح هو نفسه إبراهيم وهو نفسه موسى وهكذا، فلم لا ينادي الباطنيون بفكرة التوفيق بين الأنبياء، ولا سيما أن عقيدتهم مؤلفة من أفكار فلاسفة اليهود والنصارى ومن كان قبلهم، لذا نجد داعيهم المعاصر يقول: "ولما كان الفلاسفة الإسماعيليون يتمتعون بخصائص عقلية نادرة وعمق نظر واستعداد فلسفي وإلمام واسع بجميع العلوم، فقد حاولوا التوفيق بين الأديان السماوية التي سبقت الإسلام، وبين ما جاء به الإسلام، وكانت مؤلفاتهم مصدر ثورة فكرية، بل ثورة عقلية وتعاليم فلسفية ينهل من ينبوعها الفياض كل متعطش للمعرفة" ثم يستطرد قائلا "ومن المؤكد أن الحركة الإسماعيلية أصبحت مع مرور الزمن وتطور أنظمتها ومعتقداتها حركة فكرية ثورية علمانية، تهدف إلى قلب النظم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية التي كانت تسيطر على البلدان الإسلامية، والى تحقيق أهداف انقلابية في النظم والأفكار والمعتقدات".[1]

---

١ الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ١٠٧ - ١٠٨

تنبيه وتحذير

ولا شك أن تصريح أحد دعاة الإسماعيلية بهذا الوضوح - والذي يشبه كلام أعضاء الإتحاد الإشتراكي في الستينيات - يفسر لنا أمرا تاريخيا والآخر حدث مستقبلي وعلى جانب بالغ الأهمية هما:

١- ما يخص تاريخ الإسلام: يفسر لنا الداعي كثرة حركات الخروج على الحكام المسلمين عبر التاريخ ودورهم التخريبي لإنهاك الإسلام ودولته، فمنذ ظهور دعوى الباطنية ولا يخلوا عصر في أي دولة سواء: الأموية أو العباسية وما بعدها من حركات وثورات وخروج على الدولة وسفك دماء، والدافع من وراء ذلك حسب تفسير الداعي الباطني هو القيام بحركة تهدف إلى قلب النظم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية.."

٢- أن تصريح الداعي وكشف أوراق الدعوة في هذا التوقيت، يمثل تغييرا خطيرا في أسلوب الدعوة وانتقالها من مرحلة الستر إلى مرحلة العلن معناه أنهم وجدوا المناخ مناسبا لإظهار دعوتهم، وسنلقي الضوء في الفصل التالي - بتوفيق الله تعالى - على محاولات تجري الآن لإعادة بعث الإسماعيلية والباطنية في مصر.

الفصل السادس

إعادة بعث الباطنية في مصر

١- الدعوة للإمام

٢- نظرية الدور عند الإسماعيلية

٣- أفكار باطنية

الفصل السابع: إعادة بعث الباطنية في مصر

لاشك أن الوصول إلى مصر والانتشار فيها والانطلاق منها أمل يراود الكثيرين منذ فجر التاريخ، فمكانة مصر ومكانها جعلاها مطمعا يود المغامرون أن ينالوه، وبرغم أن أحداث التاريخ أثبتت أن مصر دائما قاهرة الغزاة، ومحطمة آمال الجبابرة والبغاة، وأن وافد على مصر من العتاة يذوب في مصر ويتحلل ويندثر هو وجنده وخيله، دون أن يغير فيها، أو يبدل في ثوابتها، ويتجاهل القائمون وراء جماعة الوارثين هذه الحقائق، ولا يعلمون أن مصر التي عاشت ما يزيد على مئتي عام تنزح تحت نير دولة غلاة الشيعة من الفاطميين، إلا أنها وقفت وراء صلاح الدين الأيوبي حين أعاد مصر إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وزالت تلك الأيام ومرت تلك السنين وبقيت مصر كما هي قلعة الإسلام وقلبه النابض على مر الأيام، واليوم يعيد الوارثين الكرة، ويجتمعون في مسجد النور في كوبري القبة ويحاولون إعادة بعث الباطنية في مصر، بعد أن ارتدى شيخهم "يحيى كامل أحمد قنديل" ثياب حضرة العارف بالله الشيخ، يحسبهم الناس طريقة من طرق الصوفية، وما هم بصوفية، بل هم الباطنيون في قالب جديد وهدف محدد هو نشر الفكر الباطني في مصر، ويكتبون كتبا تحت عنوان الإسلام دين العقل.

وأنَّى لهم ذلك، فالله سبحانه وتعالى يرعى مصر ويصونها من كيد الكائدين، فهي البلد الوحيد الذي ورد في القرآن الكريم خمس مرات، ونرجع إلى موضوعنا ونتعرف على أفكار الباطنيون الجدد فيما يلي:

أولا: الدعوة للإمام.

يقول الباطني الجديد "إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ولفظ جاعل يفيد دوام هذا الأمر واستقراره ويستشهد بالحديث الشريف: ﴿يبعث الله على رأس كل مائة عام رجل من أمتي يجدد لها أمر دينها﴾

فهو إذن المصطفى من خاصة المحسنين في الأمة الإسلامية ليقوم بتجديد الصحبة المحمدية والمعرفة الإلهية، ويفند ويدحض كل ما أضيف إلى الدين من البدع وأباطيل وخرافات على مدار القرون، وإن من شروط خليفة الإيمان أن يكون مدركا لكل أسرار القرآن عالما بكل صغيرة وكبيرة فيه فهو الوارث لكتاب الله، المجدد لأمر دينه وأن علمه هو علم وهبي إلهي يقذفه الله نورا في القلوب"، ثم يحاول من ناحية أخرى إثبات الإمام

الناطق والصامت أو النذير الناطق والصامت حيث يوجه السؤال التالي: لماذا لا يكون النذير بعد سيدنا هو القرآن، أليس هو كتاب الله؟

ثم يجيب نفسه قائلا: إن القرآن وحده لا ينذر ولكن لابد أن يكون هناك من ينذر به، والقرآن وحده لا يذكر، ولكن لابد أن يكون هناك من يذكر به، ويوضح القرآن ذلك فيقول: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به﴾ [1] ويقول تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾. [2]

ثانيا: نظرية الدور عند الإسماعيلية

يقول الباطني القديم في ثوبه الحديث أن قول الله تعالى: ﴿وأنه أهلك عادا الأولى﴾ يذكرنا الحق تبارك وتعالى بأنه يتوعد الآن أمثالهم، عادا الثانية والثالثة إلى ما شاء الله، ويحاول إثبات باطله فيقول في الآية ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ كلنا يعلم أن ثمودا الأولى لم يأتها غير نذير واحد وهو سيدنا صالح عليه السلام، ولكن المولى ﷻ يقول: ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾. إذن فهو يقصد ثمودا التي تأتي من بعد دائما أبدا وتمثل خط الإنكار في الأمة.

وقوله تعالى على لسان قوم ثمود: ﴿فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه﴾. يعني أن النذير في وقته يكون دائما نذيرا ولا يتعدد أبدا، وقوله تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ إشارة إلى مجموع الرسل والمرسلين إلى أقوام عادا الأولى والثانية وهكذا، ثم يقرر بناء على هذا التأويل أنه هو شخصيا النذير والوارث الوحيد في هذا الزمان، وهكذا يتضح لنا أن المولى ﷻ قد شرف الأمة المحمدية بأن جعل فيها دائما وارثا نذيرا، يقوم على هداية المؤمنين إلى طريق الحق ويجدد لهم أمر دينهم ويبين لهم الغث من الثمين والصحيح من المدسوس ويزيل الخرافات ويبين العقائد من واقع الدين لا من الإلهام أو الاجتهاد أو الظن أو التخمين بل من واقع النبيين كما قال تعالى: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾

---

١ سورة الأنعام آية ١٩

٢ سورة الأنعام آية ٥١

ثالثا: أفكار باطنية

١- نظرية المثل والممثول.

ينقل الباطني المعاصر تأويلات سلفه من الإسماعيلية لآيات سورة النحل حتى يثبت أن النحل المراد به المؤمن الصادق فيقول: ﴿أوحى ربك إلى النحل﴾ (أي المؤمن النقي الصادق) أن يتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر أي يبحث عن مصادر العلم والرسالات الحقة، ثم كلي من كل الثمرات أي تعلم هذا العلم من هذه المصادر ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ أي أتبع عندئذ الطريق المستقيم ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾ أي أن معاني العلم والمعرفة تتعدد - ﴿فيه شفاء للناس﴾ - أي فيه شفاء للمتاهات الفكرية الموجودة في التفسيرات المختلفة للقرآن.. إلى آخر هذه التأويلات الفاسدة ثم يصل إلى ما يريده من ذلك بقوله "كما أن النحل له ملكة يرتبط بها كرمز للأخوة والمحبة في الله، فإن للأتقياء رجلا من أهل الذكر تحلى بالتقوى والإيمان فربط القلوب حوله.

٢- إنكار الجنة

يُؤَوِل الباطنيون الجدد قول الله تعالى: ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ وفق نظرية المثل والممثول فيقول: أي يدخلهم الجنة في الآخرة، عرفها لهم في الدنيا، بأن عاشوا في مثل إقامه لهم في الدنيا، وهل هناك نعيم أسمى من القرب الإلهي، وهل هناك ظلال أعظم من ظلال الرحمة الإلهية، وهل هناك شرابا أطهر من شراب المعرفة الإلهية العظيمة، ومن هذا المنطلق فلابد أن تكون هنا جنة في الدنيا يضربها لنا المولى عز وجل مثلا لجنة الآخرة، وهذه الجنة تجري فيها هذه الأنهار المتنوعة إذن فما تكون الأنهار؟ الأنهار هنا تشير إلى الفيض الإلهي، وإلى مجالات المعرفة الإلهية المتعددة التي ينعم بها المولى عز وجل على عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة على السواء.

٣- إنكار جهنم

يزعم الباطنيون أن جهنم موجودة في الدنيا وأن أبوابها السبعة ما هي إلا صفات الفطرة الإلهية التي أودعها المولى ﷻ في الإنسان، وهي صفات نورانية إذا ما تعهدها الإنسان بالإيمان السليم والتقوى الصادقة، زكاها الله لهم، فكانت هى الأبواب التي يدخل منها إلى الجنة في الدنيا ثم الآخرة، أما إذا طمسها الإنسان ولم يسلك بها طريق المولى ﷻ وأنطلق بها في طريق الشيطان كانت مصادر نقمة عليه، وأصبحت هي الأبواب التي ينفذ فيها إلى

جهنم في الدنيا ثم الآخرة.

٤- إنكار إبليس

يقول "إن إبليس هذا ليس شخصا واحدا، ولم يكن طاووس الملائكة كما يفترون ولكن بمثل جنس العاصين من الجن الذين يكفرون بالخليفة كل في وقته ويرفضون تأييد رسالة الحق التي يدعو إليها"، ولنا هنا وقفة مع إشارته لوجود الإمام أو الخليفة في كل وقت الذي يأتي الناس برسالة الحق، لاحظ أنه يسمى كتابه "رسالة الإسلام"، فالرجل يزعم أنه الخليفة، ويلمح بذلك في مواضع كثيرة، وفي نفس الوقت تراه يصرح في مواضع أخرى بأخطر من مجرد تأويلات باطنية.

٥- إنكار خلق آدم من الطين

ينكر الوارثون وجود نبي الله آدم في كثير من مطبوعاتهم حديثا في مصر، منها:

* "إن المراد بآدم في القرآن ليس أبو البشر وإنما هو كل البشر".

* "أن كل مخلوق على وجه الأرض منذ خلقها الله هو آدم بالنسبة لذريته".

* "فقد خلق آدم من أمر الله إذ قال له كن فيكون، لأن الله تعالى غير مفتقر إلى الأسباب لإيجاده من العدم إلى الوجود"، "ومن ثم فإن اسم آدم الذي ورد في هذه الآيات يدل أو يشير إلى عموم الجنس، ولا يمكن أن يعني اسم الرسول حتى لانقع في تعارض خطير في هذه الآيات"، يسوق كل هذه المقدمات حتى يستطيع أن يفصح عن اعتقاده الفاسد فيقول "إن آدم الخليفة قد تواجد فعلا بمقتضى الأمر الإلهي كما يقول تعالى: ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ إذن فالتمثيلية التي تحكي كيف خلق الله آدم من طين في أربعين سنة والتي تمتليء بها كتب التفسير - هى افتراء على الله بالكذب - ومن أظلم ممن أفترى على الله كذبا"

٦- إنكار تحويل القبلة

ينكر شيخ الوارثين كل ما جاء عن تحويل القبلة ويقول "لم يكن هناك تحويل للقبلة على الإطلاق في الصلاة، وأن الرسول ﷺ كان دائما متوجها في صلاته إلى الكعبة"

٧- إنكار الناسخ والمنسوخ

يقول "وهكذا نرى أنه لا ناسخ ولا منسوخ ولكنه قول بغير علم وكذب وافتراء على الله ورسوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم

مثوى للكافرين ﴾.[1] ويقول أحد تلامذة الشيخ: "وبالتالي فعلم الناسخ والمنسوخ علم باطل مفترى على الله فيه".[2]

لعلنا بعد أن عرضنا أفكار الباطنية ومن قبلهم الشيعة نكون قد وفقنا في بيان عقيدة القوم وأوضحنا مدى خطورتها على الإسلام، وقد جعلنا عنوان هذا الفصل: إعادة بعث الباطنية في مصر، ليس من باب المبالغة أو التحذير الأجوف، وإنما هي القراءة الدقيقة للأحداث وما نحن مقبلون عليه، وللأسف الشديد فإن كبار الدعاة والإسلاميين في مصر لا يدركون حقيقة أن الشيعة والباطنية قد انتقلت من مرحلة العمل السري إلى مرحلة الدعوة النشطة، ولن أدلل على ذلك بمسار الأحداث التي تقع على الساحة السياسية، وإنما أسوق الأدلة التالية:

١- ظهور جماعة الوارثين الذين يكتبون الكتب تحت عنوان: "الإسلام دين العقل"، ويهاجمون فيها السنة من خلال أبحاثهم مثل كتاب: تطبيق الشريعة الإسلامية بين الحقيقة وشعارات الفتنة، وكتاب: حقيقة الحكم بما أنزل الله، .... وهذه الكتب تؤلفها لجنة من الجماعة ويقدم لها حضرة العارف بالله الشيخ يحيى كامل أحمد مؤسس الجماعة في مصر.

٢- ظهور كتب مصطفى غالب الداعية الباطني المعاصر الذي يفصح عن اعتقاده ويدافع عنه بحرارة شديدة.

٣- ظهور الشيخ حسن شحاته مناديا لأفكار الشيعة من فوق منبر أحد المساجد في قلب القاهرة قرب كوبري الجامعة، ومكفرا الصحابة حيث يقول عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه كافر ابن كافر وأبوه كافر، كما يهاجم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ويدعو إلى نكاح المتعة وغيرها من عقائد الشيعة، وهيهات أن يتصدى له أحد، فنحن في زمن الحرية التي يستغلها أصحاب الأفكار الهدامة لنشر مبادئهم.

٤- انتشار مؤلفات باسم الصحفي المصري صالح الورداني تدعو إلى التشيع ومنها كتاب: الخدعة رحلتي من السنة إلى الشيعة، يشرح فيها الرجل كيف تحول من السنة إلى الشيعة، وكتبه تفيض بالمغالطات والتناقضات.

أليس في هذه الأحداث ما يلفت انتباه الأزهر الشريف وعلماء المسلمين وولاة الأمر لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بردع هذا المد الشيعي، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

---

١ خطبة لأحد مشايخ الباطنية من جماعة الوارثين عن الناسخ والمنسوخ في القرآن صفحة ٥، والخطبة مكتوبه على الآلة الكاتبة مليئة بالأخطاء وموزعة على أتباع الباطنية الجدد

٢ وصايا إسلامية إعداد مهندس عادل محمد رشاد الغمري صفحة ١

ملخص الباب السادس

١- لم تتوقف الباطنية عند حد التشيع لآل البيت كما ذهبت الشيعة الإمامية الإثنى عشرية بل غالت وفاقتها في الغلو حتى جاوزت المدى.

٢- أن الإمامة أصبحت حجر الزاوية، أو عمود الرحي الذي تدور حوله دين الباطنية.

٣- أن الغلو في الأئمة قد بلغ مداه حين عبد الفاطميون والدروز الحاكم بأمر الله، وعبد العلويون عليا بن أبي طالب.

٤- أن نسبة الباطنيون إلى الإسلام لا تعدو أن تكون عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله، قولا باللسان، ثم يتبعها تكذيب بالجنان، وهدما لكل الأركان.

٥- إيمان الباطنية بتناسخ الأرواح.

٦- ترويج الباطنية لأفكار الدور والناطق والباب والصامت ومرتبة الاستيداع والاستقرار.

٧- يسلب الإسماعيليون معبودهم من جميع الصفات التي أتت بها الشرائع السماوية، وهم يظنون بذلك أنهم ينزهونه التنزيه كله.

٨- إقرار الباطنيون بأن مذهبهم يعد مذهبا تلفيقيا، تداخلت فيه الفلسفة والأفكار الباطنية، وشطحات العقل مع بقية من حقائق الدين بعد تأويلها وصرفها عن مرادها.

٩- أوصل التأويل الباطني أتباعه إلى إنكار حقائق الدين بالكلية، حتى قصص الأنبياء التي ذكرها القرآن الكريم ينكرونها، ويزعمون أن لها دلالات باطنية ولا وجود تاريخي لهؤلاء الأنبياء.

١٠- إيمان الباطنيين بمبدأ التوفيق بين الأديان، ودمج عقائد الناس في عقيدة من تأليفهم، لذلك تراهم منسجمون مع أعداء الإسلام، ويتودد لهم كل من يريد أن ينال من الإسلام.

١١- أن أتباع الباطنية قد انتقلوا من مرحلة السكون إلى التحرك النشط لنشر أفكارهم، وما ذلك إلا لأنهم وجدوا المسلمين في سبات عميق، وأن الأجواء مهيئة لهم الآن عن ذي قبل، فراحوا يروجون لبضاعتهم تحت مسميات جديدة.

خاتمة

الحمد لله المستحق للحمد وحده، سبحانه وتعالى هو الكبير المتعال، الذي لم يكن له ولي من الذل، ولا شريك ولا مشير ولا وزير ولا شفيـــع بيـــن يديه إلا مـــن بعـــد إذنه، والصلاة والسلام على محمود الخصال، وكريم الفعال، الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آلـه الطيبيـن، وأصحـابه الغـر الميـامين، وعلـى أزواجه أولى الفضـل والجـاه العظيـم، وبعد

فإننا قد استكملنا بتوفيق الله تعـالى الحديث الذي بدأناه بدراســة الأســس التـي قـام عليها الفكـر الباطني، وذلك فـي كتابنا الأول من هـذه السلسلة، وقد عني كتابنا الثاني بدراسة فكرة تقسيم العلم والـدين إلـى ظاهر وباطـن، وحجـج القائلين بالتقسيم، ومناهجهم فيه، ثم ختمنا بفضل من الله تعالى كتابنا الثالث في هذه السلسلة الذي فرغت يا أخي الكـريم من قراءته، ونسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في تقديم عرض تاريخي لنشأة الفكر الباطني، بدأناه من قبل التوراة، ثم أظهرنا دور فلاسفة اليهود، ثم تتبعنا دور الفلسفة اليونانية في انحراف عقيدة النصارى، وكيـف تحول التوحيد إلـى الثالوث والأقانيم، ودور مجمـع نيقية وغيره فـي إعادة صياغة العقيدة، ولا نهدف من كتابنا هذا أن نتتبع عقيدة اليهود أو النصارى، وإنما أردنا فقط أن نركـز علـى الفكر الباطني ودوره فـي انحـراف عقيدة المسلمين، ولما كان هذا الإنحراف ليس من تأليف المسلمين ولا من اختراعهم، لذلك أردنا بيان الروافد التي استقت منها الفرق الإسلامية هذه المفاهيم.

كمـا تتبعنـا المنهـج الذي سار عليـه الباطنيون فـي مـراحل تسـربهـم إلـى الأديان الثلاثة، ووجدنا أنه يبدأ بالتأويل والرمز، ثم ينتهي بتفريغ العقيدة من محتواها، والإبتعاد عن التوحيد السهل الواضح، وإذا نجح الفكر الباطني في نفي صفات الإله، وإيجاد الوسيط بين الله وبين خلقه، شرع في تعطيل الشـريعة، وجعلها نصوص للعامة يتعبون في تنفيذ أوامرها، بينما هم استـراحوا مـن عناء افعل ولا تفعل. وبالتالي أصبح الدين ظاهرا للعامة، وأسـراره وفتوحاته ملكا للخاصة.

ولمـا كان هدفنا أن ندرس خطورة الفكر الباطني، وأنه يهدم الـدين، وبرغم كـون ملة الانحـراف واحدة، وبعد أن كنا نحسبهم جميعا، فقد وجدنا قلـوبهم شتى، لذلك تجد مبدأ انحـرافهم واحد، ثم إذا نظـرت إليهم بعد جيل أو اثنين وجدتهم فـرقا وأحزابا، لها أسماء

متباينة، ثم تجد كل فريق يتمخض عن غلاة، يتجاوزون المدى في الغي والضلال، وما كان لهم أن ينبتوا شجرة هذه الأفكار في عقولهم إلا أن الهوى قد ملأ قلوبهم، وأصبحت أفئدتهم هواء، ولو أنهم اتبعوا ما أنزل الله إلى رسوله ﷺ وتمسكوا بالدين الكامل والهدي التام، لكان خيرا لهم، ولكن ما نراه من الباطنية وغيرهم من أهل الملل والنحل البعيدة عن جوهر الدين، يزيدنا تمسكا بهدي رسول الله ﷺ الذي أنبأنا بهذه الفرق، وحدد عددها، وأنها امتداد لفرق اليهود والنصارى، واتباع لهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع.

ويبقى لنا حتى نستكمل هذا الموضوع أن نضيف إلى هذه السلسلة كتابا عن عقائد الصوفية، ودراستنا للصوفية لم تأت من باب حب العلم والرغبة في نشره فقط، وإنما هي بالنسبة لي أمانة ومسئولية، لأنني كنت صوفيا، بل وشيخا من مشايخ الصوفية، وظللت أكثر من عشر سنوات وأنا أتصدر الحضرات وأستفتحها، وأتحدث في المجالس عن مناقب الصوفية، وخصائص الأولياء وكراماتهم، وبالرغم من ميلي منذ اليوم الأول إلي السلوك الصوفي إلا أني كنت متوجها إلى الكتاب والسنة، وحريصا على طلب العلم، وكنت أدرك خطورة الإفتاء بغير علم، وبطبيعة الحال كان المريدون يتوقعون أن أجيبهم على كل ما يطرحونه من أسئلة، لذلك فقد كان شغفي بالعلم عظيما، وطلبي له بإخلاص شديد، حتى أكرمني الله تعالى بكشف مواطن حيود الصوفية عن الكتاب والسنة، وقد استغرقت مرحلة التحول من الصوفية إلى الكتاب والسنة بضع سنوات، طالت لأنني حرصت أن أجد إجابة عن العديد من الإستفسارات دارت حول كل مظهر من مظاهر هذا الحيود.

ولم أكتف بمعرفة الحق في كل قضية بل حرصت على البحث عن أصل كل اختلاف ومن أول من قال به، ومراحل التدرج في كل انحراف، وقد كان هذا هو السبب الأساسي في الدخول في موضوعات الفلسفة، وتتبع نشأة هذه الأفكار قبل الإسلام، ثم عدت أتساءل: هل هذا الإنحراف الذي وجدته أهو خاص بطريق واحد فقط؟ أم أن هناك طرق صوفية أخرى وقعت في نفس المطب؟ ومن هنا شرعت في جمع أوراد الطرق الصوفية المعاصرة، وعكفت على دراستها، وسيعرف القارئ الكريم نتيجة هذا البحث في الكتاب القادم من هذه السلسلة، وسأضع له عنوان: "عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة" ولن يكون كتابا نظريا، بل هو في حقيقته محاكمة شاملة للفكر الصوفي، ودراسة وافية لجذوره التى ضربت في أرض الباطنية الإسلامية وشربت منها كثيرا، حتى وصلت هذه الجذور إلى أرض باطنية

المسيحية واليهودية والأفكار الفلسفية اليونانية وغيرها.

إن الأمر بالنسبة لي أمانة أريد أن أؤديها لكل سالك إلى الله تعالى، سواء سمع مني أمورا رجعت عنها، أو سمع مني تصحيحها فانتفع به، أو لم يبلغه ما هدانا الله إليه من الحق، فإليه وإلى مشايخ الطريق الذين طال النقاش بيننا وامتدت ساعاته الطوال، إليهم وإلى أتباعهم أكتب هذه السلسلة، والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السبيل.

فليكن موعدنا أخي الكريم مع عقائد الصوفية والكتاب الرابع من هذه السلسلة، إن كان في العمر بقية. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. واستغفر الله العظيم والحمد لله الذي قامت بحمده السموات والأرض.

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إعداد النسخة الأولى من الكتاب في القاهرة يوم الخميس الموافق ١٩٩٤/٨/٢٤ م، الموافق ١٧ ربيع الأول ١٤١٥ هـ

مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم

٢- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري - دار المعرفة بيروت

٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي - كتاب الشعب

٤- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر للطباعة والنشر

٥- التفسير الكبير للفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي

٦- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - دار الفكر

٧- البرهان في تفسير القرآن - تفسير شيعي

٨- تفسير الصافي

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل - دار إحياء التراث العربي

١٠- الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد لأحمد عبدالرحمن البنا - دار شهاب القاهرة

١١- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي - دار الكتب العلمية بيروت.

١٢- برنامج موسوعة الحديث الشريف تطوير شركة صخر للبرامج

١٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي

١٤- صحيح مسلم بشرح النووي - دار إحياء التراث العربي

١٥- صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي - دار الكتاب العربي

١٦- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري - المكتبة السلفية المدينة المنورة

١٧- عون المعبود بشرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية

١٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين الهندي - الرسالة.

١٨- الإيمان لابن منده - مؤسسة الرسالة

١٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة والسنن الأربعة والضعيفة للألباني - مكتب التربية

٢٠- الإعتصام الشاطبي - دار المعرفة

٢١- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار عالم الكتب بالرياض

٢٢- الأصول من الأصول لمحمد بن صالح العثيمين - مكتبة المعارف الرياض

٢٣ الجواب الصريح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطابع المجد

٢٤- النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية

٢٥- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية

٢٦- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد - دار صادر بيروت
٢٧- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر
٢٨- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - دار الكتب العلمية
٢٩- الأصول من الكافي للكليني - دار الصعب ودار التعاون
٣٠- الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب - دار الأندلس
٣١- التفسير الإسلامي للجاهلية للدكتور نوح محمود الغزالي
٣٢- أساس التأويل للنعمان
٣٣- الحقائق في محاسن الأخلاق للكاشاني دار الكتاب العربي
٣٤- الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي عام ١٩٨٧ طبعة لوس أنجيلوس
٣٥- رسالة الإسلام: القرآن تفسير أم تأويل - يحيى كامل قنديل
٣٦- بحث عن أسباب ظهور جماعة التكفير والهجرة - د. محمد حسان وآخرين
٣٧- خطبة بعنوان إن الدين لواقع بخط اليد
٣٨- العقد الفريد لابن عبد ربه - دار الكتب العلمية
٣٩- فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي
٤٠- إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة - الدار المصرية اللبنانية
٤١- دراسات في الفرق للدكتور صابر طعيمة - مكتبة المعارف بالرياض
٤٢- الملل والنحل للشهرستاني - دار المعرفة بيروت
٤٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري - دار المعرفة بيروت
٤٤- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق للدكتور إبراهيم مدكور
٤٥- طائفة الإسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين
٤٦- الفرق بين الفرق لعبدالله البغدادي الإسفرائيني
٤٧- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني - دار الزهراء
٤٨- ينابيع المودة للقندوزي
٤٩- الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري
٥٠- إلزام الناصب لعلي اليزيدي الحائري
٥١- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين - للحافظ الشيعي رجب البرلسي
٥٢- منتخب الأثر في مناقب الإمام الثاني عشر لأمير الكاظمي
٥٣- قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي د. عبدالحليم عويس

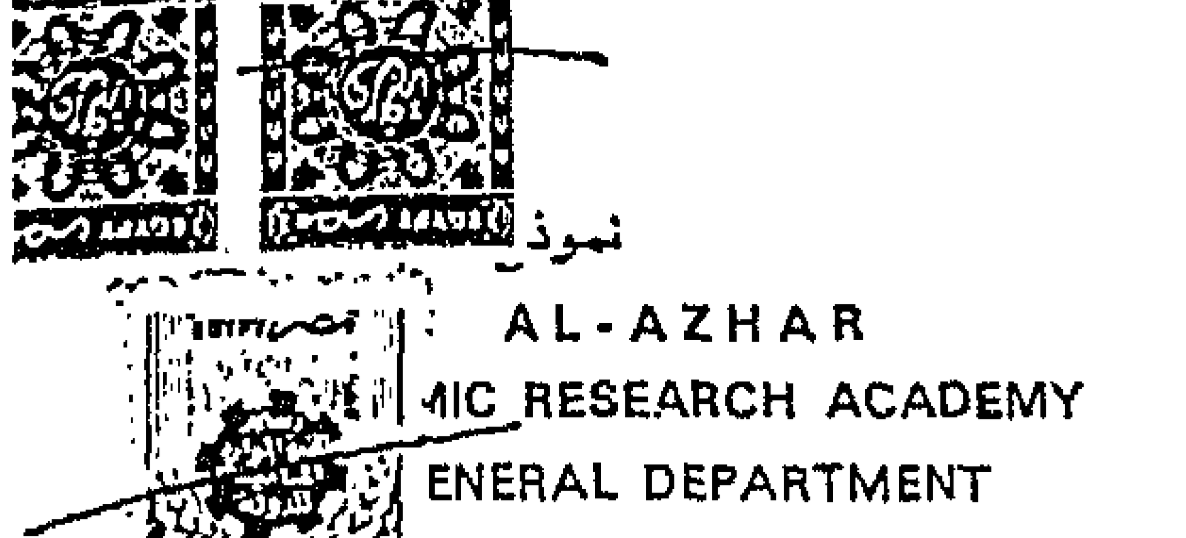
٥٣- مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ليحيى بن حمزة العلوي
٥٤- وصايا إسلامية رسالة من إعداد مهندس عادل محمد رشاد الغمري
٥٥- الناسخ والمنسوخ خطبة بخط اليد من إصدارات جماعة الوارثين
٥٦- مذاهب الإسلاميين للدكتور عبدالرحمن بدوي
٥٧- لسان العرب لابن منظور - كتاب الشعب
٥٨- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة
٥٩- الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة
٦٠- بين الشيعة وأهل السنة لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة
٦١- الشيعة وآل البيت لإحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة
٦٢- لمحة تاريخية عن مشهد الإمام علي في النجف لكاظم الحلفي
٦٣- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة لمحب الدين الخطيب
٦٤- الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للشيخ عمر منظور نعماني
٦٥- الغيبة للنعماني
٦٦- بحار الأنوار للمجلسي
٦٧- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار
٦٨- تاريخ الإسلام لمحمود شاكر - المكتب الإسلامي
٦٩- يوم الخلاص
٧٠- دائرة معارف الشيعة
٧١- فرق الشيعة للنوبختي - المطبعة الحيدرية النجف
٧٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط للمقريزي - دار صادر
٧٣- نشأة الفكر الفلسفي للدكتور النشار
٧٤- مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ليحيى العلوي - الدار اليمنية للنشر
٧٥- التفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبدالحليم محمود - دار المعارف
٧٦- التصوف الإسلامي للدكتور مصطفى حلمي
٧٧- عبدالكريم الجيلي ومكانته في الفكر الصوفي أطروحة الدكتوراه لنجاح الغنيمي
٧٨- مقدمة تاريخ ابن خلدون - دار الفكر
٧٩- دفاع عن السنة لمحمد محمد أبو شهبة - مجمع البحوث الإسلامية
٨٠- تبرئة الذمة في نصح الأمة لعبده عثمان البرهاني

٨١- الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق للدكتور إبراهيم مدكور - دار المعارف
٨٢- الفتوحات المكية محمد بن علي المعروف بابن عربي - دار الفكر
٨٣- الإنسان الكامل في الإسلام لعبدالرحمن بدوي - وكالة المطبوعات الكويت
٨٤- إنجيل يوحنا
٨٥- الإلهيات للقس صموئيل مشرقي - الكنيسة المركزية للمجمع
٨٦- النصرانية والإسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوي - دار الأنصار القاهرة
٨٧- محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي
٨٨- لماذا ولد المسيح؟ مكس ميشيل طبعة ثانية - دار يوسف كمال للطباعة
٨٩- تاريخ الأديان حبيب سعيد
٩٠- مناظرة بين الإسلام والنصرانية الرئاسة العامة للإفتاء السعودية - دار الحديث
٩١- صوفية المسيحية يوسف دره حداد - منشورات المكتبة البوليسية
٩٢- ما معنى المسيح ابن الله - نخبة من خدام الإنجيل - مراسلات الإسماعيلية
٩٣- حوار هادئ بين السنة والشيعة - عبدالله الجنيد - دار المنارة للنشر والتوزيع

فهرس كتاب تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحـوث والتـأليف والترجمـة



AL-AZHAR
...MIC RESEARCH ACADEMY
...ENERAL DEPARTMENT
...earch, Writting & Translation

السـيد / مجمود عـوض العراكـي .

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : موسـى و الخضـر
.... تاليفكم ....

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والاحاديث النبـوية الشريفـة ، وتصحيح الاخطاء الاملائية و النحوية و اللغوية وقواعد التنصيص .

واللــه المــوفق ،،،

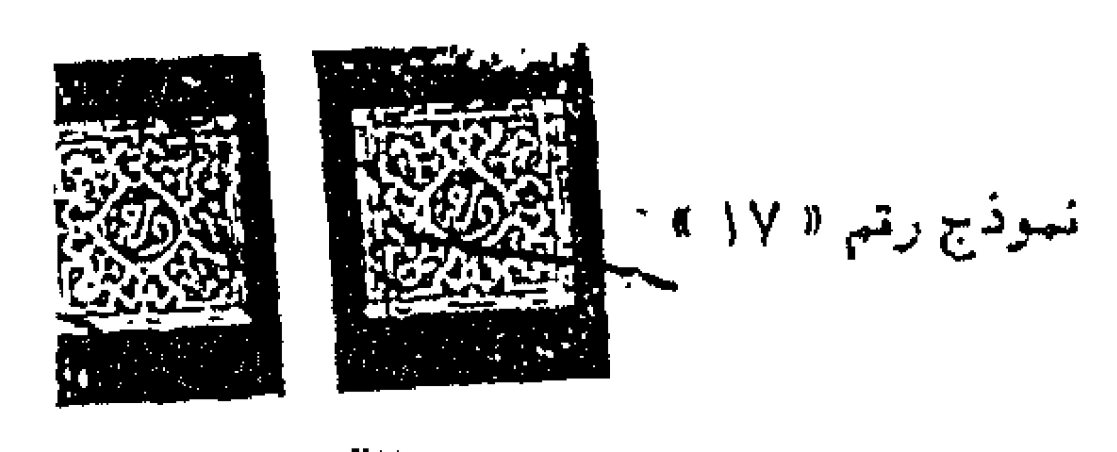
والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

١٩٩٥/١٢/٢١

(عبد العزيز عبد الحميد الجزار)

تحريرا فى ٨ / ٨ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٥ م



نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـــع البحــوث الاســلامية
الادارة العـــامة
للبحــوث والتأليف والترجمـــة

الســـيد / الاستاذ / محمود عوض البراكبى

الســلام عليكم ورحمــة اللــه وبركاته ــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : ..ظاهر الدين وباطنه
..........من.. تاليفكم..........................

نفيد بأن الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعــه ونشره على نفقتكم الخــاصة .

مع التــأكيد على ضرورة العنــاية التامة بكتــابة الآيات القــرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبــع .

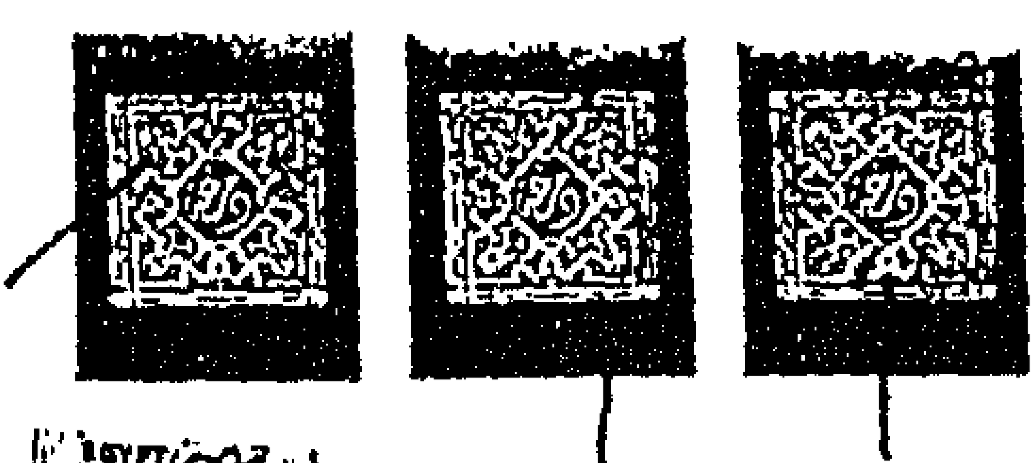
واللــــه المـــوفق ،،،

والســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ،،،

مــدير عــام
ادارة البحوث والتــاليف والترجمــة

تحريرا فى ٨ / ٥ / ١٤١٦هـ
الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩٥م

مبروك



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهــــر الشريف
مجمــع البحــوث الاســلامية
الادارة العــــامة
للبحــوث والتأليف والترجمــة

- AZHAR AL - SHARIF
IIC RESEARCH ACADEMY
ENERAL DEPARTMENT
earch, Writting & Translation

الســـيد / الاستاذ / محمود عوض المراكـــبي

الســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ــ وبعــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : تسرب الفكر الباطـــــنى الى الشرائع السماوية ــ من.. تأليفكم............................

نفيد بأن الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسـلامية ولا مانع من طبعــه ونشره على نفقتــكم الخــاصة .

مع التــاكيد على ضرورة العنــاية التامة بكتــابة الآيات القــرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبــع .

واللـــه المــــوفق ،،،

والســـلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ،،،

ممدوح ماهر

مــدير عــام
ادارة البحوث والتــاليف والترجمــة

تحريرا فى ٨ / ٥ / ١٤١٦ هـ
الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٩٥ م

٢/١٠/٩٥

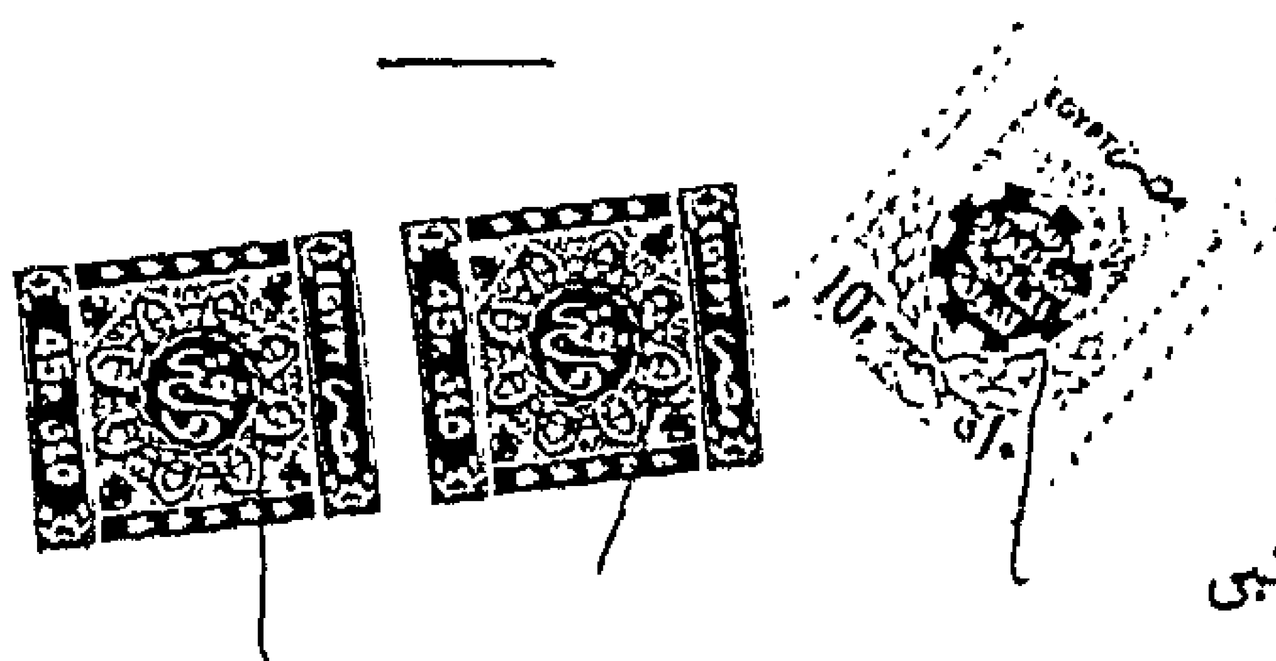
مبروك / ٠٠

نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــــر الشريف
مجمـــع البحـــوث الاســـلامية
الادارة العـــــامة
للبحـــوث والتأليف والترجمـــة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation



الســــيد / محمود . عوض . محمود . المراكبي

الســلام عليــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ـــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : عقائد . الصوفية . في . ضوء الكتاب . و السنة . تاليفكم ....

نفيد بأن الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعـــه ونشره على نفقتــكم الخـــاصة .

مع التـــاكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـــع .

واللـــــه المـــوفق ،،،

والســـلام عليــكم ورحمــــة اللــــه وبركاته ،،،

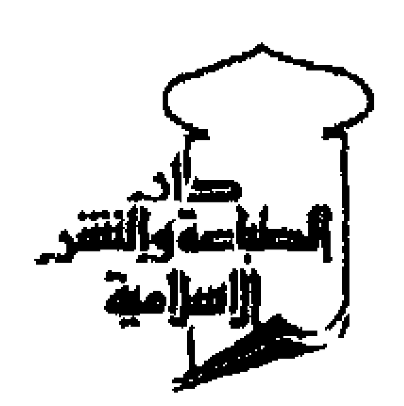
مـــــدير عــــام
ادارة البحوث والتـــاليف والترجمـــة

تحريرا فى ٢٧/ ٦ / ١٤١٦ هـ
الموافق ١٩/ ١١/ ١٩٩٥

٩٥/١١/١٩

رقم الإيداع : ١٠٣٨٩ / ١٩٩٦ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977 - 19 - 17 - 34 - x



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ تلفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانئ الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ تلفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

الكتاب في سطور

■ هو الثالث من سلسلة الظاهر والباطن ويتناول تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية، ونشأة علم الباطن قبل التوراة وبعدها، ثم تأثير الفكر الباطني والرمز على عقيدة النصارى حتى وصلت إلى الأقانيم الثلاثة، ويُعرف الشريعة والحقيقة عندهم، كما يتناول الكتاب فكر النصارى عن المسيح الذي هو أصل الموجودات ومن تحققت فيه وحدة الوجود والموصوف بالأسماء الحسنى والاسم الأعظم، ثم يوضح الكتاب حقيقة كلمة الله في الإسلام مع تأملات عميقة حول ميلاد عيسى ويحيى.

■ يتعرض الكتاب بالتفصيل للمراحل التاريخية التي تسرب الفكر الباطني من خلالها إلى الإسلام، ابتداءً من الفتنة الكبرى ومرورا بأطوار التشيع، وكيف نشأت الحركات الباطنية حتى تكونت أول دولة باطنية في الإسلام.

■ ويقدم الكتاب عقائد الباطنية من أمهات مصادرهم، وكيف غالت الشيعة الإمامية في علي بن أبي طالب حتى كفّروا الصحابة واتهموهم بتحريف القرآن وحجب ثلثي آياته التي تتناول مناقب الإمام وحقوق آل البيت، كما يرفع الكتاب الستار عما ينتظر أهل السنة إذا قامت دولة الشيعة وخرج إمامهم من السرداب.

■ ويستكمل الكتاب عرضه لعقائد غلاة الباطنية من الإسماعيلية والدروز والعلويين، ويقدم خلاصة أفكارهم وما يدعون إليه، كما يُلقي الضوء على محاولاتهم إعادة بعث الفكر الباطني في مصر حماها الله من كل سوء، وإلى الملتقى مع عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة.



سلسلة الظاهر والباطن

تتكون حلقات هذه السلسلة من أربعة كتب كل منها قائم بذاته ويُعالج موضوعا مستقلا يقوم عليه الكتاب التالي: وهذه الكتب هي:

١- موسى والخضر علمي الظاهر والباطن.
٢- ظاهر الدين وباطنه.
٣- تسرب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية.
٤- عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة.



